

١٣٦

من المسرح العالمى

لورانزاتشو

تأليف : الفريد دى موسيه
ترجمة وتقديم : ميخائيل بشاى
مراجعة : يوسف شاهين

أول يناير ١٩٨١

تصدر عن وزارة الاعلام الكويت

مسلسلة
من
المسرح العالمي

سلسلة يشرف عليها

أحمد مشاري العدواني

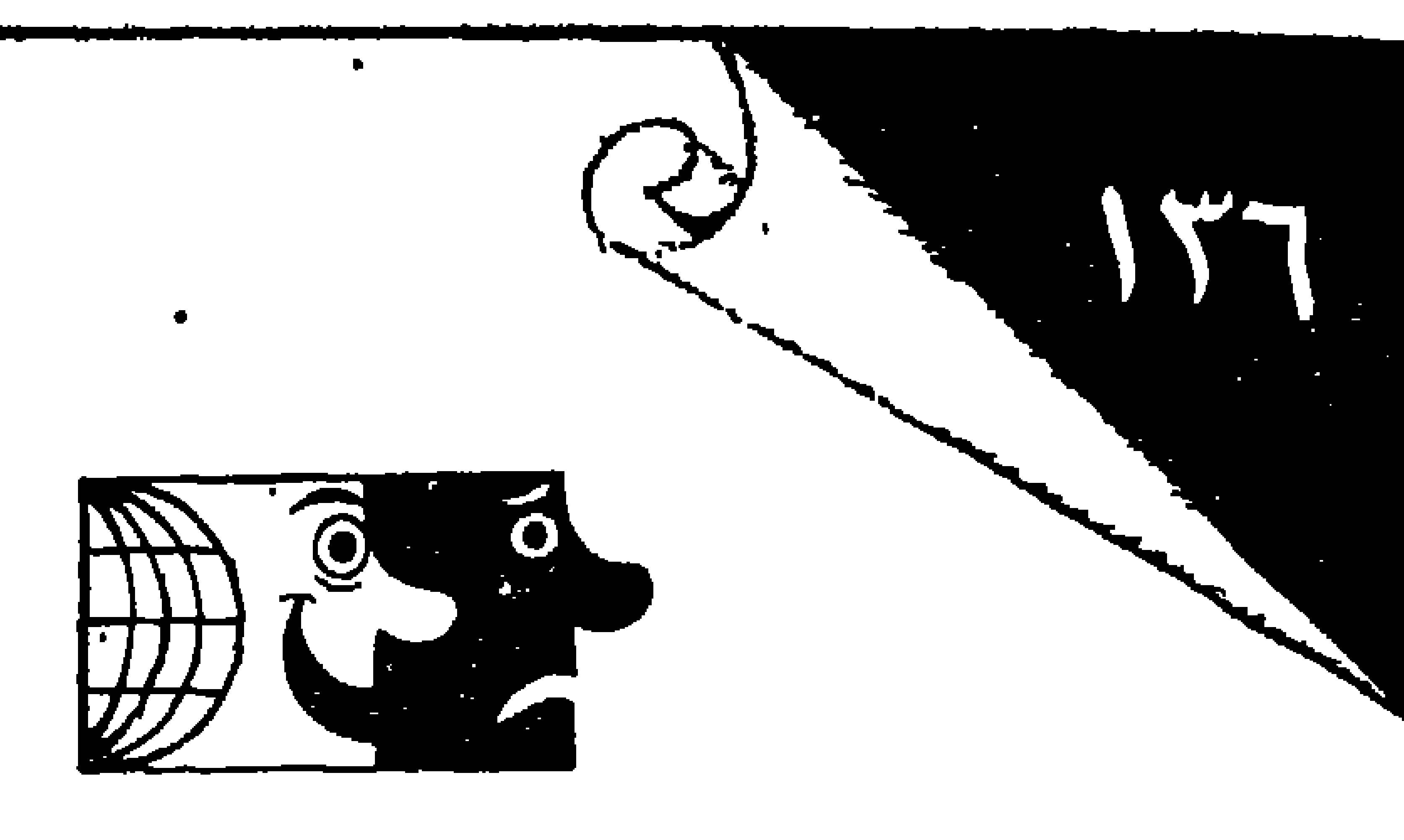
حمد يوسف الرومي
الوكيل المساعد للشئون الفنية

د. طه محمود طه
أستاذ الأدب الإنجليزي الحديث
- جامعة الكويت

المراسلات باسم :

الوكيل المساعد للشئون الفنية
وزارة الاعلام
ص.ب ١٩٣

١٣٦



من المسرح العالمي

لورانزاتشو

تأليف : ألفريد دي موسيه

ترجمة : ميخائيل بشاي

مراجعة : يوسف شاهين

تصدر عن : وزارة الإعلام - الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة بقلم المترجم

١ ـ الفريد دى موسيه

حياته :

ولد « ألفريد فيكتوردى موسيه باتاى » بمدينة باريس فى ١١ ديسمبر عام ١٨١٠ لاب من صغار النبلاء ، يشغل منصبا حكوميا مرموقا ، ويتذوق الاداب والفنون ، ويهتم بنشر اعمال الكاتب والفيلسوف الاجتماعى جان جاك روسو . وكان جده لامه . وهو رجل من رجال الحدم والتشريع ، يرتاد المحافل الادبية ، والعلمية ويصاحب الشعراء ، وينظم الشعر احيانا ، فورث ألفريد عنهما حب الادب والشعر ، الا أنه كان طفلا مدللا ، ملولا ، عصبى المزاج ، وقد بدا نضجه العاطفى المبكر عندما أحب ابنة عمه ، وشرع يقرأ روايات الحب والفروسية ، وهو غلام فى العاشرة من عمره . وعندما أدخل كلية هنرى الرابع فى عام ١٨١٩ ، لمع بين أقرانه بجمال طلعته ، وأناقة ملبسه . ونبوغه الذى أهله لنيل الجائزة الاولى فى الفلسفة ، والجائزة الثانية فى اللغة اللاتينية . وداعبت أهله الامال عندما ترك الكلية ، فى عام ١٨٢٧ ، وشرع فى دراسة القانون ، الا أنه هجر القانون الى الطب الذى ما لبث أن أعرض عنه بدوره ، وأخذ يرتاد المقاهى ومحافل الرومانسيين ، ومجتمعات أصحابه الماجنين ، المتأنقين ، فيرقص ، ويشرب الخمر ، ويصور ، ويمثل ، ويحب ، ويكتب القصائد ! .

وقد كان موسيه طموحا ، معتدا بنفسه وموهبته . كتب الى صديقه ، وزميله فى الدراسة « بول فوشيه » يقول : « أريد أن أكون شيللر أو شيكسبير أو لا أكون شيئا على الاطلاق ! . » ولكنه كان مريض النفس ، ضائقا بالحياة ، فريسة للسأم . كتب فى احدى قصائده وهو فى التاسعة عشرة من عمره ، يقول : « هل تعرفين كم من دموع ذرفتها لاحيا فحسب ، وكم يلتهم هذا الملل من قلبى ، عندما يفيق من سكرته ؟ » (١) .

وكان من أولئك الذين يؤلهون « الحب » ويؤمنون بأن « الالم » هو القربان المقدس الذى يقدمونه على مذبح ذلك الاله المزعوم ! .

---

(١) من قصيدة « السيدة الماكيزة » ١٨٢٩

فكان ـ في حياته تلك ـ عربيدا ، مطلق العنان ، عاكفا على الملذات، يرتوى جهده من كأس الحياة ، والشباب ، المترعة ، الا أن حلاوة هذه الكأس قد كانت تترسب فيأعماقه لتصبح في آخر الامر صابا، وعلقما: « لقد عرفت الالم ، أول ما عرفته ، عندما هجرتني حبيبة خائنة ! »(٢).

وكان حتى عام ١٨٣٢ يعيش بمساعدة أهله ، وما يدره عليه قلمه،فقد نشر في غضون ذلك ترجمته لرواية توماس دى كوينسى(٣): « الانجليزى آكل الافيون » ، وديوانه الشعرى : « حكايات اسبانيا وايطاليا » وثلاث قصص منظومة هي « دون باييز » و « بورشيا » و « ماردوش » ومسرحيتي **صك الشيطان** و **ليلة البندقية** وديوان « مشهد في فوتى » الذى تضمن مسرحيتي **الكأس والشفاه** و **أحلام البنات** وقصيدة « نامونا » ٠ كما نشر في مجلة « العالمين » Les Deux Mondes

ـ ابريل ومايو ١٨٣٣ ـ مسرحيتي **أندرية دل سارتو** و **نزوات ماريان** ٠

وفي يونية عام ١٨٣٣ بدأت علاقته بالكاتبة الروائية أورور دوبان ، التي عرفت باسم « جورج صاند » وكانت جورج صاند (١٨٠٣ ـ ١٨٧٦) تحيا ـ بعد أن انفصلت عن زوجها البارون دوديفان ـ حياة شاذة ، متحررة ، فتعلقت بالكاتب جول صاند وثم تسمت باسمه بعد تحريف يسير ، وأخذت ترتاد المحافل الادبية في أزياء غريبة ٠٠ فلما جمعت مائدة الطعام بينها بين موسيه ، في مقر مجلة العالمين ، وهي ترتدى صدارا مطرزا بخيوط الذهب ، وتحمل في خاصرتها خنجرا ، لم يجدها الا امرأة سيئة الذوق ، ولم تره الا فتى مسرفا في التأنق ، ولكنه لم يلبث أن خطب ودها ، فأهدته كيسا جميلا للنقود ، ثم أصبحا عشيقين وقاما برحلة الى ايطاليا ٠ وهناك أصيب موسيه باضطراب نفسى ، فكان يهذى ، ويرى شبحه سائرا بجانبه في حلة سوداء ! ثم مرض بالتيفوئيد فتفانت في خدمته الى أن عاده الطبيب الايطالى باجيللو فانتقلت الى ذراعيه ! وكان أن نشبت المعارك ، وتكررت المشاهد العاصفة بينها وبين الشاعر المريض الذى لم يجد بدا من العودة الى باريس ، فرجع اليها تاركا وراءه تلك المرأة الغادرة التي خاطبها بقوله في « ليلة اكتوبر » : عار عليك ! يا من كنت أول امرأة علمتني الخيانة !

لقد خلفت هذه العلاقة جرحا عميقا في قلب الشاعر ٠ ولكنها

(٢) من قصيدة « رسالة الى لامرتين » ١٨٣٦

(٣) كاتب انجليزى ولد في منشستر (١٧٨٥ ـ ١٨٥٩)

جعلته أكثر ميلا الى التأمل الرصين ، والفلسفة . فكتب « لياليه » الاربع (١٨٣٥ ـ ١٨٣٧) ورسالته الى لامرتين (١٨٣٦) • وكانت جورج صاند هي التي قدمت اليه موضوع آيته الكبرى لورنزاتشو • ولكنها لم تكن ملهمته الوحيدة ، فهنالك : لويز كوليه ، وايميه دالتون، وراشيل(٤) ، وبلجويوزو ، وأوجستين بروهان ، وبياتريس لوردانو •• ولكل منهن نصيب في حياة هذا الشاعر ، وأعماله ، ومأساته •

وفى الفترة الواقعة بين اغسطس ١٨٣٧ وفبراير ١٨٣٩ كتب موسيه عددا من القصص النثرية والقصائد • وساءت حالته المادية ، وفشلت حطبته ، واضطر الى الاشتغال أمينا للمكتبة فى وزارة الداخلية • وما أن حل عام ١٨٤٣ حتى كان الشاب الجميل قد هرم قبل الاوان : لقد انتابه المرض ، واعتراه الشحوب ، واشتدت عليه وطاة الملل •• فهو يقول : « لقد فقدت قوتى ، وحياتى ، وأصحابى ، وبهجة أيامى • لقد فقد حتى تلك الكبرياء التى كانت تجعلنى أؤمن بعبقريتى (٥) ! » •

ويقول : « انك تتركنى وحيدا ، ملولا ، ولكن أملى فى عودتك يمنحنى ، رغم مكاره الحياة ، شجاعة طفل يصر على أن يشيخ (٦) ! •

وعبثا كان يرتاد المسارح ، ويلعب الشطرنج فى المقاهي،ويشرب الابسنت القاتل فقد كان ينحدر سريعا الى المغيب • لقد كان الهامه يهرب منه • وقد عزل من وظيفته ، وسجن لتهربه من الخدمة فى الحرس الوطنى ، كما سجن معاصراه بلزاك وجوتييه • ولكن مكانته الادبية قد كانت أقوى من ظروفه تلك ، فمنح وسام الليجيون دونير ، وانتخب عضوا فى الاكاديمية الفرنسية ، بعد أن فشل فى دخولها مرتين ، ثم عين أمينا لمكتبة وزارة التعليم العام فى مارس ١٨٥٣ •

وفى اليوم الثانى من مايو عام ١٨٥٧ مات ألفريد دى موسيه بين يدى أخيه بول • ولم يشيعه الا ثلاثون رجلا من أصدقائه الى مقابر بير لاشيز • وفى ٢٣ مارس عام ١٨٥٨ نقل رفاته الى مقبرة أخرى قد غرست فوقها صفصافة « باكية » كما كان قد أوصى فى قصيدته الجميلة « لوسى » ونقشت على شاهدها هذه الوصية • !

---

(٤) اليزا راشيل فليكس وشهرتها : مدموازيل راشيل • ممثلة فرنسية ولدت فى سويسرا • وقد أحيت المأساة الكلاسية على المسرح الفرنسى، ومثلت مسرحيات كورنى وراسين (١٨٢٠ ـ ١٨٥٨)

(٥) من قصيدة « الحزن » ١٨٤٠

(٦) من قصيدة الى الفريد تاتيه ١٨٤٣

فنه :

عندما قدم بول فوشيه صاحبه ألفريد الى فيكتور هيجو وأنصاره طربوا ، وهللوا • فقد راوا فيه خامة طيبة لرومانسى مثالى حقا : فتى فى الثامنه عشرة من عمره ، جميلا ، انيقا، ذكيا ، متأجج العاطفة، متحررا ، تبشر قصائده الاولى بميلاد شاعر رومانسى كبير . وقد حقق موسيه آمالهم ، فتوالت قصائده ، ومقالاته النقدية ، التى حقق فيها مفهومه لهذه الحركة الجديدة ، الثورية ، التى أرادوا ان يحتلوا بها مواقع الكلاسيين • يقول موسيه : « الرومانسية ، يا سيدى العزيز ؟ كلا ، بالتأكيد ، انها ليست رفض الوحدات(٧) او الجمع بين الكوميدى والتراجيدى ، أو أى شىء فى العالم يمكن أن تذكره • وعبثا تمسك بجناح الفراشة ، فلن يبقى فى أصابعك الا دقيقها الذى يلونها • ان الرومانسية هى النجم الباكى ، والريح الصرصر ، والليل المرتعد ، والزهرة العاطرة ، والطائر المحلق ، انها الرمية اليائسة ، والحبور الفاتر •• والامل القرمزى •• والملاك ، واللؤلؤة ، وثوب الصفصافة الابيض (٨) •• » •

ولكن موسيه سرعان ما أصبح بمثابة « الولد المزعج » عند أقطاب المذهب الجديد ! صحيح أنه كان من المبشرين بفن شخصى ، متحرر ، حافل بالعواطف • وكان يؤمن بأن الالم منشأ الجمال والفن • ولكنه كان يسخر من البهرج الزائف ، والاسراف العاطفى ، و « مدرسة النظامين » • وكان شديد الاعجاب بشعر بيرون وليوباردى ، ورواية جوته ، ومسرح شيكسبير ، وفى نفس الوقت كان راشيل تبهره وهى تقرأ له فى بيتها مسرحية **فيدر** للشاعر الكلاسى راسين (٩) • وكان ينتقل من بكائية « الصفصافة » وغنائية « قصيد الى القمر » الى الرصينة فى « الافكار الخفية » و « الليالى » و « رسالة الى لامرتين »• وكان يحترم تقاليد بلاده ، وتاريخها ، والتراث الانسانى الذى ينتقل عبر الاجيال(١٠) ، ومن ثم فقد كان يصر على أن يجمع العمل الادبى بين الطابع العالمى الذى تتسم به الاعمال الكلاسية ، والطرافة التى تميز الانتاج الرومانسى ، وكان يرفض الوصف ، والاساطير ، والرموز ، وجزالة اللفظ ، ويوفق دائما بين بساطة البناء الكلاسى، وحرية اختيار الشكل التى تبيحها الرومانسية لاصحابها ، فكان

---

(٧) الوحدات الثلاث التى ينبغى أن تتوفر للمسرحية الكلاسية ، وهى : وحدة الزمان ، ووحدة المكان ووحدة الحدث •

(٨) الرسالة الاولى من « رسائل ديبوى وكوتونيه »

(٩) الفريد دى موسيه : « عشاء عند مدموازيل راشيل » ١٨٣٩

(١٠) « كلمة عن الفن الحديث » أول سبتمبر ١٨٣٣

لاعماله سحر خاص تستعده من نقاء اللغة ، وبساطة التركيب ،وجملة القول ان موسيه قد كان رومانسيا يجنح الى الكلاسيه ٠٠ كما كان كورني ذا ميول رومانسية ٠٠ وكلاهما قد أثرى الفن بأكثر مما فعل الاتباع الخلص للمذهبين ٠

* *

لقد ظهر موسيه فى عصر كان الشعر والمسرح لا يزلان مرتبطين فيه ارتباطا وثيقا ٠ ورغم أن المذهب الرومانسى قد أباح كتابة المسرحية نثرا ، فان شعراء هذا المذهب قد كتبوا مسرحياتهم الاولى شعرا ، وكأنهم كانوا يتحدون بها شعراء المذهب الكلاسى ، قديمه وحديثه ٠

وقد كان موسيه بفطرته شاعرا مسرحيا « ففي ديوانه الاول حكايات اسبانيا وايطاليا » نجد مسرحيته الصغيرة **مخلب القط** ٠ كما **يضم ديوانه الثاني«مشهد في فوتى» قصيدة درامية هي«الكأس والشفاة»** وفي القصائد الاولى حوار بين دون باييزوكل من بليزا وجوانا ٠ وما الليالى الاربع فى ديوانه « قصائد جديدة »ـ الا حوار متصل بين ربة الشعر والشاعر ٠ ولكنه لم يكن يقيد نفسه بالدراما الرومانسية التي تمتزج فيها الملهاة بالمأساة ، بل كان ينزع الى الملهاة الخالصة احيانا ، وهذه خطيئةأخرى قد أضيفت الى رصيده من الخطايا عند الرومانسبين ـ وقد كان له مثله عند الكلاسيين ، بالطبع ٠٠ فأغفل أولئك وهؤلاء مسرحيته النثرية **ليلة البندقية أو عرس لوريت** عندما عرضت فيأول ديسمبر عام ١٨٣٠ ٠ومنيت المسرحية بفشل ذريع،فغضب موسيه ، وأقسم ألا يكتب للمسرح بعد ذلك ، فكانت مسرحياته التالية للقراءة لا للتمثيل ٠ واستمرت الجفوة بينه وبين خشبة المسرح الفرنسى سبعة عشر عاما حتى تثلت له مسرحية **نزوة** على مسرح الكوميدى فرانسيز فى ٢٧ نوفمبر عام ١٨٤٧ ٠ وكانت الممثلة الفرنسية آلان ديبريو قد زارت مدينة بطرسبورج ، ووجدت هذه المسرحية تمثل هناك باللغة الروسية ، فلما عادت الى باريس اقترحت على مدير المسرح الفرنسي اخراجها ، وقامت بدور البطولة فيها، فحققت نجاحا ملحوظا ، واعتبرها الشاعر تيوفيل جوتييه حدثا أدبيا كبيرا ، وعندئذ تنبه الجمهور والنقاد الى مسرحيات موسيه ، وعرض بعضها بنجاح كبير ، فعاد يكتب للمسرح لا لمجرد القراءة ٠

ويعزى نجاح مسرحيات موسيه الى ماتمتاز به من الجدة ، والطرافة ، والتحرر من قيود المذاهب الفنية ـ فى فترة خصامه مع خشبة المسرح خاصة ـ والى سماته الشخصية الظاهرة فى أبطاله ، والى سحر الفضيلة عندما يضفيه ذلك العربيد على نساء مسرحياته،

والى ذلك المزج اللطيف بين السخرية والعاطفة ، وذلك الاسلوب الرشيق الذى يفيض شبابا وحيوية ·

لقد أخذ موسيه من راسين تغلغله في أعماق القلب البشرى ، ومن ماريفو براعته في التحليل النفسي · ومن شكسبير اتساع افاقه ومشاهده · ومن بوكاشيو سخريته الرقيقة · ولم تكن ملاهيه دامية ولكنها لم تكن تخلو من لذعة الالم · يقول هنريك هايني(١١) : لقد قبلته ربة الكوميديا على شفتيه ، وربة التراجيديا على قلبه ·

ولقد أخذ النقاد عليه أنه لم يعن في أعماله ــ ماخلا مسرحية **لورنزاتشو** ، وبعض القصائد الفلسفية ــ بغير الحب · ولكن : أى ضير في أن يكون الحب موضع اهتمام الشاعر · كذلك وجه اليه اللوم على كثرة « اقتباساته » من غيره · فهو ، مثلا ، قد استعار عنوان «مخلب القط» من حكاية لافونتين المشهورة، وموضوعها من «**أندروماك**» راسين ، واقترض شعار « ليلة البندقية » ــ خائنة كموجة البحر ــ من عطيل شكسبير وموضوعها من « تاريخ حياة جون كريسلر » لهوفمان · وأخذ موضوع «مغزل باربيرين» من القصاص الايطالي بانديللو (ولماذا لا نقول : من أسطورة بنيلوبى الاغريقية) وفكرة «الاتان وجدول الماء» من مسرحية « **العاشق رغم أنفه** » لكارمونتيل ···

وقد رد موسيه على نقاده(١٢) ، فميز بين الاستلهام والاستيلاء وقال ان الفنان الحقيقي هو الفنان المتواضع الذى لا يجد مانعا من البحث عن كنوزه في أقل الاثار الفنية شأنا · وان رفائيل العظيم كان يقف الساعات الطوال أمام أعمال الفريسك ، المتوسطة القيمة ، في مقابر الكامبوسانتو ، بمدينة بيزا · ويقول موسيه في اهداء قصيدته الدرامية «الكأس والشفاة» الى صديقه ألفريد تاتيه : لقد قيل لى ، في العام الماضى ، انني أقلد بيرون · ولكنك ، وأنت تعرفنى ، تعلم أن هذا غير صحيح ، انني أكره السرقة الادبية كما أكره الموت · وكأسى ليست كبيرة ، ولكنني أشرب من كأسى ···

---

(١١) شاعر المانى ، ولد في دوسلدوف ، ويمتاز شعره بالغنائية ، والسخرية الحزينة · عاش في باريس بعد عام ١٨٣٠ · ومن أعماله : انترمزو وكتاب الاغانى (١٧٩٧ ــ ١٨٥٦)

(١٢) مقدمة الجزء الثانى من ديوان « مشهد في فوتى »

٣ ـ مسرحية لورانزاتشو :

عندما عرضت مسرحية «لورانزاتشو» على مسرح جاستون باتى، فى عام ١٩٤٥ ، وشاهدها الفيلسوف الوجودى جبرييل مارسيل أدهشه «أن يكتب موسيه وهو فى الرابعة والعشرين من عمره ، هذا العمل الدرامى الكبير » (١٣) الذى وصف بأنه العمل الشيكسبيرى الوحيد فى فرنسا ، وآية المسرح الرومانسى • والحق أن مسرحية **لورنزاتشو** هى مركز الثقل فى أعمال موسيه • وهى أكبر أعماله جميعا • وترجع مكانتها الفنية الى طابعها الفريد الذى يضيف الى الحرية والعاطفة والخيال والاعتراف الشخصى ـ وكلها من خصائص الرومانسية ـ رصانة وتأملا كلاسيا ، نجدهما ، مثلا ، فى منولوج لورنزو (٤ : ٩) وفى الفصل الاخير من المسرحية •

ورغم أنها قد نشرت فى اليوم الاول من أغسطس عام ١٨٣٤ فأن التفكير الجدى فى اخراجها لم يبدأ قبل عام ١٨٦٣ عندما أعدها بول دى موسيه للتمثيل ، وقدمها الى مسرح الكوميدى فرانسيز فرفضها • ثم قدمها فى العام التالى الى مسرح الاوديون ، فمنعت الرقابة عرضها • وظلت المسرحية رهن الظلام حتى أخرجتها الممثلة الكبيرة ساره برنسار على مسرحها فى ٣ ديسمبر ١٨٩٦ ومثلت دور لورنزاتشو وهى فى الثانية والخمسين من عمرها ، فأحدثت دويا شديدا ، واستمر عرض المسرحية خمسا وثمانين ليلة متوالية • ثم أعادت عرضها فى الموسم التالى ، ثم فى شهر مايو عام ١٩١٢ وكان النجاح حليفها فى كل مرة •

وفى عام ١٩١٨ مثلت الكوميدى فرانسيز مقتطفات منها ، ثم مثلتها كاملة فى الرابع من يونيو عام ١٩٢٧ • وفضلا عن ذلك فقد حولت لورنزاتشو الى مسرحية غنائية (١٤) ، وأعدت للسينما ، وما زالت تحمل امكانيات جديدة •••

وكانت جورج صاند هى التى أوعزت الى موسيه بكتابة هذه المسرحية عندما عرضت عليه مشاهد من مسرحية كانت تكتبها بعنوان

---

(١٣) مجلة « الآداب الجديدة » بتاريخ ١٨ اكتوبر ١٩٤٥

(١٤) وضع موسيقاها ارنست موريه ، وعرضت فى مسرح الاوبرا اكوميك عام ١٩٢٠ •

« مؤامرة فى عام ١٣٥٧ » ولكنها لم تستطع أن تمضى فى كتابتها ، وفقدت الرغبة فى اتمامها · فلم يكد يلم بفكرتها حتى أدرك أنه قد وقع على جوهرة ، فأمسك بها ، ورجع الى مصدرها التاريخى وخلقها هذا الخلق الجديد ·

وقد كان المصدر الرئيسى لكل من صاند وموسيه ، ذلك الفصل من كتاب **تاريخ فلورنسا** للمؤرخ الايطالى بنديتو فاركى ، الذى يتناول حياة لورنزو دى مديتشى ، ومقتل الكساندر ــ دوق فلورنسا ــ بيده فى عام ١٥٣٧ · وقد وضع فاركى كتابه هذا بايعاز من كوزمو ــ الدوق الجديد بعد مقتل الكساندر ــ وذكر له لورنزو بنفسه كيف ارتكب هذه الجريمة ·

ونعلم مما ذكره فاركى أن لورنزو قد ولد فى فلورنسا ، فى الثالث والعشرين من شهر مارس ، عام ١٥١٤ ، لاب خائب ، مجنون ، هو : بيير فرانسوادى مديتشى ، وام راجحة العقل ، رائعة الجمال ، طيبة القلب ، هى : ماريا سوديرينى · وقد ترملت ولورنزو صغير فكرست حياتها لتربيته ، وأظهر من ناحيته ذكاء حادا ، ولكنه لم يكد يبلغ سن الرشد ، حتى تكشفت طبيعته القلقة ، الجانحة الى الشر ، وأحاط نفسه بجماعة من أصدقاء السوء ، وراح يطارد النساء ، ويرتكب كل موبقة ولم يكن يضحك قط ، بل كان يبتسم فحسب · ولم يكن جميل الطلعة الا أنه كان رقيق الحاشية ، أسمر اللون ، سوداوى المزاج · وبينما كان فى روما حطم رؤوس التماثيل التى كانت فى قوس قسطنطين ، فأبعده البابا الى فلورنسا وهناك أخذ يتقرب الى الدوق الكساندر · واستطاع أن يخدعه بمظهره وأن ينفذ له كافة مآربه · وكان يتجسس لحسابه ، فيتصل بأعداء الدوق المنفيين من فلورنسا ، ويطلعه على رسائلهم · وكان يظهر الجبن ، ويزعم أنه لا يجرؤ على حمل السلاح أو لمسه أو ذكره ، فيطرب الدوق لذلك ، ويجعله مادة للهوه وسمره · وكان يدرس ، ويقرأ ، ويسير وحده كثيرا ، فيدعوه الدوق بالفيلسوف ، بينما كان الاخرون الذين يعرفون حقيقته يدعونه لورنزاتشو (١٥) · لهذا كله أولاه الدوق ثقة لا حد لها ، واتخذ منه قوادا ، ولم يصغ الى من كانوا يحذرونه من مغبة التصاقه به ، واطمئنانه اليه، رغم كثرة الشواهد التى كانت تدعوه الى التزام الحذر ·

---

(١٥) ان اللغة الايطالية غنية بصيغ التصغير التى تعطى الاسم الواحد مدلولات مختلفة · وهنا يضيف خصوم لورنزو الى اسمه المقطع الاخير accio للتحقير · وفى مشهد الاغماء (١ : ٤) يؤنثه الدوق فيدعوه ساخرا باسم لورنزيتا ، بينما تدلله أمه باسم رنزو أو لورنزينو ·

ولم يبعد موسيه قيد أنملة عن شخصية لورنزو التاريخية · وقد وجد من أوجه الشبه بينه وبينها ما مكنه من أن يسبر أغوارها ، ويصورها هذه الصورة الحية الاليمة · لقد كان يشرح نفسه وهو يصور لورنزو · وليس هذا كل ماتتسم به المسرحية من الواقعية · فلقد صور المؤلف مدينة فلورنسا كما شاهدها وما عرف من تاريخها· وكان الصائغ والتاجر وماريا سود يريني وكاترينا جينوى ، وغيرهم، أشخاصا من واقع الحياة ، وأشخاصا معاصرين للكاتب ، قد كانت لهم أدوارهم في المجتمع الباريسي ، وربما كانت أمه ، من بعده ، أبرز الجميع · ويحتمل ــ فيما يتعلق بالجانب السياسى من المسرحية ــ أن يكون قد أفاد من ثورة يوليوعام ١٨٣٠في فرنسا ، ومن تأسيس «ايطاليا الفتاة » عام ١٨٣١ ، ومناداة ماتسيني بالوحدة الايطالية وبالجمهورية·

وقد التزم موسيه الدقة التاريخية التزاما يكاد أن يكون تاما · فلم يبتكر من أحداث المسرحية شيئا · ولم يكن أمامه غير هدفين اساسيين هما : سلامة التركيب ، واجتلاء شخصية البطل · وقد تحقق له الهدف الاول رغم طول المسرحية · فالحدث يتطور فى سياق منتظم والمشاهد الموجزة يخدم بعضها بعضا · والحوار سلس ، دقيق · أما لورنزو فقد عرضه موسيه عرضا دراميا بالغ القوة ، يعطينا صورة متعددة الجوانب للتمزق المدمر · فهو فى بلاط الكساندر : الفاسق العربيد ، والجبان الهياب ، والمتملق الذليل ، وفى بيت فيليب : الثائر الناقم ، الذى يتأجج فى صدره لهيب الحقد ، واليائس من اصلاح نفسه وصلاح البشر ، والبطل المأساوى الساعى الى تحقيق هدف يعلم أنه عقيم ، وأنه سيقضى عليه · وهو فى بيت أمه : الطاهر ، النقى ، الذى يقاوم عنصر الشر فيه ، والساخر اللاذع من صغار بعض الرجال · وهو ، في ذلك كله ، لا يفكر الا فى قتل الكساندر · ودافعه الى ذلك دافع مركب · فلقد اعتزم أن يقتل الكساندر ليقضى على الطغيان في شخصه ، تشبها بقاتل يوليوس قيصر · وضحى بطهارته ، وأخلاقه السوية ، حتى يصل اليه من هذا الطريق الوحيد ، ولكن صحبة ذلك الشيطان الداعر قد جعلته يدمن الرذيلة ، ويلتذ بها ، ولا يستطيع الخلاص منها · لقد كتبت عليه اللعنة الابدية ، وثأره الان ثأر شخصى يتطلب الانجاز ·

قد يذكرنا لورنزو ، وهو يفكر فى الثأر ، بهاملت · وهو نفسه يذكرنا ، في المشهد الثالث من الفصل الرابع ، بأوريست · ولكن ، بمن يذكرنا ، فى الفصل الخامس ، عندما يخرج رغم تحذير فيليب ، لملاقاة الموت فى يأس مرير ، واستهانة فاجعة · فى هذا الموقف الختامى ، وذروة المأساة : موقف رجل قد سعى سعيه الحثيث الى الفناء · ان لورنزو لم يكن غير الصورة الدرامية ، والوجه الحقيقى

لموسيه ، ذلك العربيد الذى يحن الى الفضيلة · والسياسى الــــذى يفسد ارتيابه فى الناس ايمانه بقدرتهم على تغيير مقدراتهم·والنابغة المريض الذى هرم فى مقتبل عمره ، ولكنه وهب مسرحياته ، واشعاره شبابا دائما ···

لورانزاتشو

تأليف : الفريد دى موسيه
ترجمة : ميخائيل بشتاى
مراجعة : يوسف شاهين


BORDAS
pcb
MUSSET
Lorenzaccio

شخصيات المسرحية

الكساندر دى مديتشى ، دوق فلورنسا		Alexandre de Médicis
لورنزو دى مديتشى (لورنزاتشو)	ابنا عمه	Lorenzo de Médicis
كوم دى مديتشى		Côme de Médicis
الكاردينال تشيبو		Le Cardinal Cibo
الماركيز تشيبو ، اخوه		Le Marquis Cibo
سير موريتشه ، رئيس « الثمانية »(١)		Sire Maurice
الكاردينال باتشو فالورى ، القاصد الرسولى		Le Cardinal Baccio Valori
جوليان سالفياتى		Julien Salviati
فيليب ستروتسى		Philippe Strozzi
بيير ستروتسى	اولاده	Pierre Strozzi
توماس ستروتسى		Thomas Strozzi
ليون ستروتسى ، عمدة كابو(٢)		Léon Strozzi
روبرتو كورسينى ، حاكم القلعة		Roberto Corsini
باللا روتشيلاى	جمهوريون	Palla Ruccellai
الامانو سالفياتى		Alamanno Salviati
فرانسوا باتسى		Francois Pazzi
بندو التوفيتى ، عم لورنزو		Bindo Altoviti
فنتورى ، رجل ثرى		Venturi

(١) مجلس قضائى ، كان يتألف من ثمانية قضاة .

(٢) prieur أو magistrat وهو منصب مدنى رغم أن شاغله قد كان من رجال الدين .

تيبالديو ، مصور — Tebaldeo

سكورونكونكولو ، قاتل محترف — Scoronconcolo

الثمانية — Les Huit

جويتشياردينى — Guicciardini

جومو الهنغارى ، حامل سلاح الدوق — Giomo Le Hongrois

مافيو ، من العامة — Maffio

ماريا سوديرينى ، أم لورنزو — Marie Soderini

كاترينا جينورى ، خالته — Cathrine Ginori

الماركيزة تشيبو — La Marquise Cibo

لويزة ستروتسي — Louise Strozzi

سيدتان من البلاط ـ ضابط ألماني ـ صائغ ـ تاجر ـ معلمان وطفلان ـ اتباع ـ جنود ـ رهبان ـ أفراد من الحاشية ـ منفيون ـ تلاميذ ـ خدم ـ عامة ـ .... الخ ، الخ .

المكان : مدينة فلورنسا ، ومدينة فينتسيا

الفصل الاول

المشهد الأول

بستان . ضوء القمر . كوخ في الصدر ، وآخر في المقدمة يدخل الدوق ولورنزو « متخفيين في معطفيهما » وجومو » يحمل مصباحا في يده »

الدوق : إذا جعلتنا ننتظر ربع ساعة آخر . سأمضى ! البرد قارس للغاية !

لورنزو : صبرا ، ياصاحب السمو . صبرا !

الدوق : كان ينبغي أن تخرج من عند أمها في منتصف الليل . وها هو الليل قد انتصف دون أن تأتي !

لورنزو : إذا لم تأت فقل انني رجل مغفل . وان أمها العجوز امرأة شريفة !

الدوق : ويحى ! إن ألف دوكا (١) قد سرقت منى ، مع كل هذا !

لورنزو : إننا لم ندفع غير نصف الأجر مقدما ، وأنا كفيل بالصغيرة ! إن عينين واسعتين ، متيمتين ، لا تخدعان . وأى شيء أهم عند الخبير من خطيئة في مهدها ؟ إنه يرى في طفلة ذات خمسة

(١) عملة ذهبية قديمة ، سكت لأول مرة بمدينة فلورنسا فى القرن الثالث عشر الميلادى .

عشر عاما داهية المستقبل . ويدرس ، ويبـــدر
البذرة ، ويدس بطريقة أبوية عرق الرذيلـــــة
الخفى ، في نصيحة صديق ، ومداعبة للذقن . .
فيقول كل شيء ، ولا يقول شيئا . . وفقـــا
لطبع الأبوين . . وفي رفـــق ، يُعَوِد المخيلةَ
التى تمضى في تجسيد أشباحها ، والعبث بمايخيفها ،
وازدراء ما يحميها ! ويتم هذا بأسرع مما يظن .
وميزته الحقيقية في أن يضرب ضربا محكمـــا
ويالها من كنز ، هذه الفتاة ! إنها كل ما يمكن
أن يتيح ليلة ممتعة لسموك ! وما أشد حياءها !
إنها قطة صغيرة تشتهى الفطائر ، ولكنها لاتريد
أن تلوث كفها ! إنها نظيفة كقطة فلامندية !
إنها تمثل الطبقة الدنيا من البورجوازية . ثم إنها
ابنة قوم بسطاء لم تسمح لها رقة حالهم بتربيـــة
قويمة ،فلم تتأصل مبادئها ،ولم تكن سوى طلاء
خفيف ، ولكن : أية موجة عارمة ، في نهـــر
رائع ، تحت هذه القشرة من الجليد الهش الذى
يتكسر في كل خطوة ! ما من شجرة مزهـــرة
قد وعدت قط بثمار أبدع من هذه الثمـــرة !
وما تنشقتُ يوما ، في جوٍّ طفولى ، ألذ مـــن
ذلك عطرا للفجـــور !

الـــدوق : ويحى ! لست أرى الاشارة . وينبغى أن أذهب
إلى الحفل الراقص عند نازى ! إنه يزوج ابنته
اليـــوم .

جـــومو : هيا ، إلى الكوخ ، يامولاى ! ومادام الأمـــر لا يتعدى خطف فتاة قد دفع لها نصف الأجر ، فنستطيع أن نقرع زجاج النافـــذة .

الـــدوق : تعال من هنا . الهنغارى على حق (يبتعـــدون . يدخل مافيو)

مافيـــو : لقد كان يبدو لى في الحلم أننى أرى أختى تعبر بستاننا ، ممسكة بمصباح مستور ، مرصـــع بالاحجار الكريمة ! ولقد استيقظت فزعـــا ، ويعلم الله أن ذلك ليس إلا وهما ، ولكنه وهم أقوى من أن يقاومه النوم ، ولا يلوذ امامـــه بالفرار ! شكرا للسماء ! ها هى ذى نوافـــذ الكوخ الذى تنام فيه الصغيرة ، مغلقة كالعادة ، وأكاد ألمح ضوء مصباحها بين أوراق تينتنـــا القديمة . الآن تتبدد مخاوفي الحمقاء . وتجعـــل ضربات قلبي المتلاحقة مكانا لاطمئنان جميل . مجنون ! تمتلىء عيناى بالدموع كأن أختـــى المسكينة في خطر حقيقى . . ماذا أسمع ؟ من يتحرك هناك بين الأغصان ؟ (أخت مافيو تمر من بعيد) هل أنا يقظ ؟ هذا شبح أختى ، وهى تمسك بمصباح مستور ، وعلى صدرها قـــلادة لامعة تتلألأ تحت أشعة القمر ! جابرييـــــل ! جابرييل ! إلى أين تذهبين ؟

(يعود جومو والدوق)

جـــومو : إنه بالتأكيد أخوها الأبله ، سائرا في نومه . .

سيقود لورنزو فتاتك الجميلة إلى القصر عن طريق الباب الصغير . أما نحن فماذا نخاف ؟

مافيو : من أنتما ؟ ياهذان ! قفا ! (يجرد سيفه)

جومو : إننا صديقاك ، أيها الريفي الشريف !

مافيو : أين أختي ؟ عم تبحثان هنا ؟

جومو : لقد أطلقتْ أختك من العش ، أيها الوغد الشجاع ! افتح سياج بستانك .

مافيو : جرد حسامك ، ودافع عن نفسك ،أيها السفاح !

جومو : (يثب عليه ويجرده من سلاحه) قف مكانك ! ليس بهذه السرعة أيها الأحمق !

مافيو : يا للعار ! ويالفرط الشقاء ! لو كان في فلورنسا قوانين ، ولو كان شيء من العدالة لم يزل حيا على وجه الأرض ، بفضل ما هو حقيقي ، ومقدس ، في الدنيا ، فاني ساطرح نفسي عند قدمي الدوق ، وسيأمر بشنقكما انتما الاثنين !

جومو : عند قدمي الدوق ؟

مافيو : نعم ، نعم ، إني اعلم ان الاوغاد من نوعكما يذبحون الاسر بلا عقاب ! ولكني لومت — ولتسمعا — فلن اموت في صمت كالكثيرين واذا لم يكن الدوق يعلم ان مدينته غابة مملوءة باللصوص ، مملوة بالقاتلين بالسم ،وبالفتيات اللواتي تهتك أعراضهن ، فهذا واحد سيقول له

ذلك . آه مذبحة ! آه ! سلاح ودم ! ستقتص لي العدالة منكمــــا !

جـــومو : (والسيف في يده)هل أضرب ، ياصاحب السمو؟

الـــدوق : أوه ! تضرب هذا المسكين ! اذهـــب ونم ، ياصديقى . وسنبعث اليك غدا ببعض الدوكات (يخـــرج)

مافيـــو : إنه الكساندردى مديتشى !

جـــومو : انه هو نفسه . ايها الريفى العزيز . الشـــجاع ! اياك والتباهى بزيارته إذا كنت حريصا عـــلى اذنيك ! (يخـــرج)

المشهد الثانى

طريق . في مطلع النهار . أقنعة كثيرة تخرج من بيت تضيئه الانوار .

تاجر اقمشة حريرية ، وصائغ ، يفتحـــــان دكانيهمـــا .

تاجر الحرير : هيه ! هيه ! ايها الأب مونديللا ، هذه ريـــح طيبة لاقمشتى (ينشر قطعه الحريرية)

الصـــائغ : (متثائبا) إنه شيء يصدع الراس ! لعنة الله على عرسهم ! إننى لم اغمض عينى طيلة الليـــل !

التاجـــر : وزوجتى ايضا ، ياعزيزى ! لقد كانت تلك الحبيبة الغالية تتقلب ، وتتقلب ، كثعبان الماء !

آ ه ! أجل ! عندما يكون المرء شابا ، لاينـــام على صخب الكمان !

الصـــائغ : شابا ! شابا ! هذا فضل منك ! لا يكون المرء شابا وله لحيـــة كهذه ! ويعلـــم الله ان كانت موسيقاهم اللعينـــة هذه تثير عنـــدى رغبة في الرقص ! (يمـــر طالبان)

الطالب الأول : ما من شيء يسلي أكثر من هذا . نندس أمـــام الباب في وسط الجنود . ونراهم(٢)وهم يهبطون الدرج في ملابسهم الملونة بجميع الألوان . انظر ؛ ها هو بيت عائلة نازى (ينفخ في أصابعه) إن لوحتى (٣) تثلج يدىّ .

الطالب الثاني : وهل يسمحون لنا بأن نقترب ؟

الطالب الأول : وبأى حق يمنعوننا ؟ إننا فلورنسيون . انظر إلى هذا الزحام كله حول الباب . خيول وأتبـــاع وخدم ! والكل يروح ويجيء . وما علينا إلا أن نتعرف عليهم قليلا . . إنى أستطيع أن أذكـــر أسماء الشخصيات الكبيرة كلها ، وما هو إلا أن أتأمل الملابس كلها جيدا ، لأقول مســـاء في المرسم : إن عندى رغبة فظيعة في النوم ! لقـــد قضيت الليلة في الرقص عند الأمير ألدوبراندينى وعند الكونت سالفياتى ، وقد كان الأمـــير يرتدى ملابسه بهذه الطريقة أو تلك ؛ والأميرة

---

(٢) المدعوين ، فى ملابسهم التنكرية .

(٣) لوحة الرسم . وسوف يتضح ان المتكلم كان يتعلم هذا الفن .

ترتديها بطريقة أخرى ، ولا أكون كاذبا !
هيا ، تعلق بذيل معطفى (يقفان أمام باب البيت)

الصـــائغ : هل تسمع الأحمقين الصغيرين ؟ وددت أن يفعل واحد من صبيانى هكذا !

التاجــــر : لا بأس ، لا بأس ، أيها الأب مونديللا ! لايخسر الشباب شيئا عندما تكون المتعة بالمجان ! وإنى لتفــــرح قلـــبى ، من هؤلاء الصغـــار ، كل هذه العيون التى تتسع دهشة وإعجابا ! لقد كنت هكذا ، أتشمم الهواء ، وأتنسم الأخبار . يبدو أن إبنة نازى فتاة طروب ، جميلة ، وأن إبن مارتيللى ولد سعيد الحظ . هذه أسرة فلورنسية حقا ! أى مظهر لهؤلاء السادة العظام كافة ! أعترف بأن هذه المحافل تمتعنى عندما أجلس هادئا في فراشى ، وركن من ســـتائره مرفوع ، وأنظر من آن لآخر إلى الأضواء التى تروح وتجىء في القصر ؛ وألتقط لحنـــا راقصا صغيرا ، دون أن أدفع شيئا ؛ وأقول لنفسى ؛ حسنا ، حسنا ؛ تلك هى أقمشتى التى ترقص . . أقمشتى الجميلة ، بفضل الله ، على الأجســـاد الغالية لكل أولئك السادة الشجعان ! الأوفياء ،

الصـــائغ : هناك يرقص أكثر من ثوب لم يدفع له ثمن ، ياعزيزى ! وتلك هى الثياب التى يسكبون فوقها الخمر ، ويحكونها على الجدران ، بأقل قـــدر

من الأسف ! وأن يلهو السادة الكبار ، فشيء بسيط للغاية . لقد ولدوا لهذا . ولكن هناك أنواعا كثيرة من اللهو ؛ هل تعرف ما أعنى ؟

التاجر : نعم ، نعم ؛ كالرقص ، وركوب الخيل ، ولعب الكرة ، وأشياء أخرى كثيرة . ماذا تعرف أنت ، أيها الأب مونديللا ؟

الصائغ : يكفى هذا . إنى أعرف ما أقول . إنى أعرف أن جدران هذه القصور كلها لم تبرهن يوما على صلابتها خيرا من ذلك ، إنها – لكى تحمى الآباء من مطر السماء – قد كانت تحتاج إلى قدر من القوة أقل مما تحتاج إليه لتسندالأبناء عندما تسكرهم خمرهم !

التاجر : إن لكأس من الخمر أثرا طيبا ، أيها الأب مونديللا . ادخل إلى دكانى لأريك قطعة من المخمل .

الصائغ : نعم ؛ إن لها أثرا طيبا ، ومنظرا حسنا ، ياعزيزى إن لكأس طيبة من الخمر المعتقة منظرا حسنا في يد قد اكتسبتها بالعرق ! يرفعها المرء على مهل وهو مبتهج ؛ وتقوى قلب الرجل الشريف الذى يعمل من أجل عائلته . أما شباب البلاط المتأنقون هؤلاء فهم جميعا دنان خمر بلا حياء . ومن ذلك الذى يسرونه عندما تبلغ بهم البهيمية حدا يجعلهم كالضوارى ؟ لا أحد ، بل ولا أنفسهم ؛ فهم بالحرى لا يسرون الله !

التاجـــر : ينبغي الاعتراف بأن الكرنفال قد كان متسمـا بالخشونة ، وقد أتلف لى بالونهم اللعين من البضاعة ماقيمته خمسون من الفلورينات . حمدا لله ! لقد دفعها آل ستروتسى .

الصــائغ : آل ستروتسى ! لعنة الله على أولئك الذين آتتهم الجـــرأة فاعتقلوا ابن أخيهم(٤) ! إن فيليب ستروتسى أشجع رجل في فلورنسا .

التاجـــر : ان ذلك لم يمنع بيير ستروتسى من أن يجر فوق متجرى بالونه اللعين ويلطخ لى — بثلاث بقـــع كبيرة — ذارعا من المخمل المطرز . بالمناسبة ، أيها الأب موند يللا : هل نتلاقى في مونتوليفيه(٥) ؟

الصــائغ : إننى لا أحترف السير وراء الأسواق ، ولكننى سأذهب إلى مونتوليفيه التماسا للرحمة : إنه حج مقدس ياعزيزى ، وفيه تغتفر الخطايا جميعا .

التاجـــر : وهو محترم جدا يا جارى العزيز ؛ ويربح فيـــه التجار أكثر من أيام السنة الأخرى جميعـــا . ويبتهج المرء حين يرى أولئك السيدات الورعات وهن يلمسن ، ويختبرن الأقمشة كلها عنـــد خروجهن من القداس ! حفظ الله صـــاحب السمو ! إن البلاط شيء عظيم !

---

(٤) كانت العادة فى احتفالات المساخر هذه ان يسحبوا فى الشوارع بالونا ضخما يكتسح فى طريقه السائرين ، وواجهات المتاجر . وقد اعتقل بيير ستروتسى لهذا السبب .

(٥) كان الناس يحجون كل عام ، فى أيام الجمعة من شهر مارس ، الى كنيسـة سان مينياتو التى كان يقيم فيها رهبان جبل اوليفية . وكان التجار ينتهزون هذه الفرصة ليفتحوا متاجرهم هناك .

الصـــائغ : البلاط ! ألا فاعلم انه عبء على الشعب ! لقد كانت فلورنسا — قبل وقت ليس ببعيد — بيتـــا صالحـــا ، جيد البناء ؛ أعمدته كل هذه القصور الكبيرة التى تسكنها عائلاتنا الكبيرة . ولم يكن أى عمود من هذه الأعمدة كلها يرتفع فوق غيره قيراطا واحدا . وكانت تضم إليها جميعا قبة قديمة ، ومتينة ؛ وكنا نتجول تحتها دون أن نخشى سقوط حجر فوق رءوسنا ! ولكن هناك مهندسيّن يعوزهما ســـداد الرأى ، قد أفسدا ذلك الحال ! وأقول لك — فيما بيننا — إنهما : البـــابا ، والامبراطور شارل(٦) . لقد بـــدأ الامبراطور بأن دخل البيت المذكور من ثغـــرة ملائمه للغاية . ثم رأوا ، بالمناسبة ، أن يأخـــذوا عمودا (٧) من الأعمدة التى أحدثك عنها ؛ وأعنى به قصر مديتشى ؛ وأن يقيموا هنـــالك برجا للأجراس — هذا البرج الذى ارتفع فى ليلة واحدة كأنه فطر تعشش فيه التعاسة ! وبعـــد ذلك ، ياعزيزى ؟ كان البناء يهتز مع الريح ؛ فقد كان له رأس شديد الثقل وساق ناقصـــة ؛ ووضعوا مكان العمود ، الذى أصبح برجا للأجراس ، لطخة كبيرة لاشكل لها ، مصنوعة من الوحـــل والبصاق ، وأطلقوا عليها اســـم

---

(٦) الامبراطور الالمانى شارل الخامس او شارلكان (١٥٠٠ — ١٥٥٨) .

(٧) يعنى قصرا .

القلعة (٨) ! واستقر الألمـــان في هذه الحفـــرة اللعينة كالجرذان في قطعة من الجبن ! ومن الخير أن تعلم أنهم يراقبوننا وهم يلعبون الـــنرد ، ويشربون نبيذهم الحامض (٩) ! ولقد صرخت العائلات الفلورنسية كثيرا ؛ وقال الشـــعب ، والتجار ، كلاما كثيرا ؛ وآل مديتشي يحكمون بواسطة حاميتهم ، ويلتهموننا كما تلتهم القرحة السامة معدة مريضة ! وبفضل الحراب التي تتجول على الرصيف ، ينـــام في أسرة بناتنا ، ويشرب زجاجات خمرنا ، ويحطم زجاج نوافذنا ، نغل نصف مديتشي ، وجلف جعلته السماء ليكون صبي جزار أو خادما يجـــر المحراث ؛ وندفع له أجرا على ذلك !

التاجـــر : ويحك ! ويحك ! لشد ماتنطلق في الحـــديث ! يبـــدو أنك تحفظ هذا كله عن ظهر قلب ؛ وليس من الخير أن يقال هذا في جميع الآذان ، ياعزيزى مونديللا !

الصـــائغ : وماذا لو نفيت كالكثيرين غيرى ؟ أعيش في روما (١٠) ، كما أعيش هنا ! فليأخذ الشيطان

---

(٨) بنيت هذه القلعة لايواء الحرس الالمانى الذى بعث به شارل الخامس لحماية آل مديتشى بعد اعادتهم الى الحكم ، وما زالت موجودة باسم فروتتساداا باســو (القلعة السفلى) ٠

(٩) نبيذ الرين ٠

(١٠) كانت روما احدى المدن التى يلجا اليها المنفيون من فلورنسا رغم تحالف البابا وعائلة مديتشى ٠

حفل الزفاف ، وأولئك الذين يرقصون فيـه ، وأولئك الذين يقيمونه ! (يعود إلى دكانه . يختلط التاجر بالمتطلعين من الناس . يمر رجل من الشعب مع زوجته)

الزوجـة : إن جيوم مارتيللى رجل مهذب وغنى ، وإنه ليسعد نيكولو نازى أن يكون له صهر مثلـه . أنظر ! ما زال الرقص دائراً . . أنظر إلى كل

الرجـل : ونحن ، متى نزوج ابنتنا ؟

الزوجـة : كل شيء تغمره الأنوار ! ما أجمله حفـلا يستمر فيه الرقص حتى هذه الساعة ! يقولون إن الدوق هناك .

الرجـل : أن يجعلوا من النهار ليلا ، ومن الليل نهـارا ، فهذه وسيلة ملائمة لكي لا يروا شرفاء الناس ! وإنها لبدعة جميلة حقا : هذه الحراب المشرعة أمام باب يحتفلون وراءه بالزفاف ! فليحفظ الله المدينة ! يخرج لها في كل يوم شيء جـديد من أولئك الألمـان الكلاب وقلعتهم اللعينة !

الزوجـة : انظر إلى القناع الجميل ! آه ! والثوب البديع ! واحسرتاه ! كلها أشياء تكلف غاليا ، ونحن فقراء نعيش عيشة الكفاف

(يخرجان)

جنـدى : (إلى التاجر) ابتعد ، أيها الوغد ! دع الخيول تمـر .

التاجـــر : أنت الوغد ، أيها الألمـــانى اللعين ! (يضربه الجندى برمحه)

التاجـــر : (وهو يتراجع) هكذا ينفذون المعاهدة ! إن أولئك الأنذال يضطهدون المواطنين ! (يعود إلى دكانه)

الطالـــب : (لزميله) هل ترى ذلك الذى يخلع قناعه هناك ؟ إنه بالـــلا روتشيلاى . رجل جرىء ومعتـــد بنفسه ! وهذا الشخص الضئيل بجانبه ، هو توماس ستروتسي . ماساتشو(١١) كما يقولون .

تابـــع : (صائحا) جـــواد صاحب السمو !

الطالب الثانى : فلنمض . ها هو الدوق يخرج .

الطالب الأول : هل تعتقد أنه سيأكلك ! (يشتد الزحام عنـــد البـــاب) .

الطالب الأول : هذا نيكولينى (١٢) . وهذا حاكم القلعـــة (يخرج الدوق مرتديا ثوب راهبة ، مع جوليان سالفياتى مرتديا نفس الزى ، وكلاهما مقنع) .

الـــدوق : (يركب الجواد) هل تجىء ياجوليان ؟

ســـالفياتى : كلا ! ليس الآن ، ياصاحب السمو (يحـــدثه في أذنه) .

الـــدوق : حسناً ، حسناً . . تشجـــع !

---

(١١) تصغير توماس .

(١٢) حقيقة تاريخية .

سالفياتي : إنها جميلة كعرائس الجان ! دعني أتصرف . ولو استطعت أن أتخلص من زوجتي ... (يعود إلى الحفل) .

الدوق : إنك مخمور ، ياسالفياتي . ويحك ! إنك تترنح ! (يرحل مع حاشيته) .

الطالب الأول : الآن وقد رحل الدوق ، فلن يمضي وقت طويل إلا وينتهي الحفل (تخرج الأقنعة من كل جانب)

الطالب الثاني : أحمر وردى ، وأخضر ، وأزرق . لقد امتلأت بالألوان عيناى ، ورأسي يدور !

رجل من الشعب : يبدو أن وقت العشاء قد طال ، فهاهما اثنان لايستطيعان أن يتماسكا (حاكم القلعة يمتطي جواده . تسقط على كتفه زجاجة مهشمة)

الحاكم : أوه ! يا هذا ، سحقاً لك ! من السفاح هنا ؟

قناع : إيه ! ألا تراه ، ياسيد كورسيني ؟ انظر ! انظر إلى النافذة . إنه لورنزو في ثوب الراهبة !

الحاكم : خسئت يالورنزاتشو ! لقد جرحت جوادى (تغلق النافذة) لعنة الله على هذا المخمور ، وألاعيبه الصامتة ! وغد ، لم يبتسم ثلاث مرات في حياته ، ويقضي وقته في شقاوة تلميذ في إجازة ! (يرحل . تخرج لويزه ستروتسى من البيت ، وفي صحبتها جوليان سالفياتي . يمسك لها الركاب تعتلي الجواد ، ويتبعها سائس ومربية)

سالفياتي : يالها من ساق جميلة ، أيتها الفتاة العزيزة ! إنك

شعاع من أشعة الشمس ، وقد أحرقتِ النخاع في عظامى !

لويـــزه : ليست هذه لغـــة فارس ، ياسيدى !

ســـالفياتى : يالعينيك ، يامهجتى الحبيبة ! ويالهـــا من قـــدم جميلة خليق بها أن تعرى !

لويـــزه : دع قـــدمى ، ياسالفياتى !

ســـالفياتى : كلا ، وحق باخوس ! (تضرب لويزه جوادها فيمضى خببا)

قنـــاع : (إلى سالفياتى) لقد ذهبت الصغيرة ستروتسى ، ووجهها أحمر كاللهيب . . لقد أغضبتَها ، ياسالفياتى !

ســـالفياتى : لا يهم ! غضب الفتاة الصغيرة ، ومطر الصباح . . . . (يخـــرج)

المشهد الثالث

عند المـــاركيز تشـــيبو

المـــاركيز « في ثياب السفر » . المـــاركيزة . أسكانيو . الكاردينال تشيبو « جالسا »

المـــاركيز : (يقبل ولده) وددت ، ياصغيرى ، لو أستطيع أن آخذك معى ، أنت والسيف الكبير الـــذى يجرك وراءه وهو بين ساقيك . اصبر ، فإن

ماسا (١٣) ليست بعيدة ، وسوف أحضر لك هـــدية حســـنة .

المـــاركيزة : وداعا ، يالوران ؛ إلى عودة ، إلى عودة !

الكاردينـــال : هذه الدموع كثيرة جدا ، أيتها الماركيزة ! ألا يقول من يراها إن أخى راحل إلى فلسطين ؟ أعتقد أنه لايتعرض لخطر كبير في أراضيه !

المـــاركيز : يا أخى ، لاتقل كلمة ســـوء عن هذه العبرات الجميلة (يقبل زوجته)

الكاردينـــال : إنى أريد فقط ألا يتخذ الوفاء هذه الصـــورة الواضحة للعيان !

المـــاركيزة : ألا يملك الوفاء دموعا على الاطلاق ، ياسيدى ، الكاردينال ؟ أتكون كلها موقوفة على النـــدم أو الخوف ؟

المـــاركيز : كلا ، وحق السماء ! إن أفضلها للحب ! لاتجففى على وجهى هذه الدموع . لســـوف يتكفل بها هواء الطريق . دعيها تجف على مهل اما هذا ! ألا تحملينى شيئا لأحبائك ، ياعزيزتى ؟ ألن أنقل عنك – كعادتى – بعض الكلمات العاطفية ، الجميلة ، إلى صخور ضيعتى القديمة ، وشلالاتها الصغيرة ؟

المـــاركيزة : آه ! شلالاتى الصغيرة ، المسكينة !

---

(١٣) ماسا ـ كارارا : على بعد ٩٥ كيلو مترا شمال غرب فلورنسا .

المـــاركيز : هذه هي الحقيقة ، ياعزيزتي . إنهـــا كئيبة ، كلها ، بدونك (بصوت أكثر انخفاضا) لقد كانت بهيجة في المـــاضي ، أليس هذا صحيحا ياريتشـــياردا ؟

المـــاركيزة : خـــذني معك !

المـــاركيز : سأفعل هذا إن كنت مجنونا ! وإني لأكاد أن أكونه بهيئتي هذه العسكرية القديمة ! كفـــانا حديثا عن ذلك . . إنها مسألة أسبوع واحد . وسوف ترى عزيزتي ريتشياردا بساتينها وهي هادئة ، وخالية ؛ ولن تترك أقدام مـــزارعيّ الموحلة أثرا في ممـــراتها الحبيبة . واسوف أحصي جذوع أشجاري القديمة التي تذكرني بأبيـــك أليبريك ، وكافة بواكير العشب في غاباتي ، والفلاحين وثيرانهم ؛ فإن هذا كله من شأني . وعندما أرى أول زهرة تتفتح فأنني ســأجهز كل شيء ، وآخذك معي .

الماركيزة : لقد كنت أحب دائمـــاً أول زهـــرة تتفتح في روضتنا الجميلة ، ان الشتاء طويل ! ويلوح دائماً أن هذه الأزهار الصغيرة ، المسكينة ، لن تعود أبداً !

اسكانيـــو : أي جواد سترحل به ، يا أبي ؟

الماركيـــز : تعال معي إلى الفناء لتراه (يخـــرج ، تظـــل الماركيزة وحدها مع الكاردينال . صمت)

الكاردينال : أليس هذا هو اليوم الذي طلبت مني أن أسمع فيه اعترافك ، أيتها الماركيزة ؟

الماركيزة : أعفني منه ، يا كاردينال . سأعترف الليلة إذا كان صاحب النيافة خالياً ؛ أو غداً ، إذا أراد . . إن هذه اللحظة ليست ملكاً لي (تقف عند النافذة ، وتشير إلى زوجها مودعة)

الكاردينال : لو كان التحسر مباحاً لخادم أمين للرب ، لحسدت أخي على حظه ! رحلة قصيرة ، بسيطة ، هادئة ، كهذه ! . . زيارة لقطعة أرض من أراضيه ، لا تبعد إلا بضع خطوات من هنا ! . . غياب يستغرق أسبوعاً واحداً . . وحزن شديد — بل أريد أن أقول : حزن جميل — عند رحيله ! سعيد من يستطيع أن يحظى بحب كهذا بعد سبع سنوات من الزواج ! أليست سبع سنوات ، أيتها الماركيزة ؟

الماركيزة : بلى ، أيها الكاردينال ؛ إن ولدي في السادسة من عمره .

الكاردينال : هل كنت في عرس نازي بالأمس

الماركيزة : نعم ، كنت هناك .

الكاردينال : وكان الدوق يرتدي ثوب راهبة ؟

الماركيزة : ولماذا يرتدي الدوق ثوب راهبة ؟

الكاردينال : لقد قالوا لي أنه كان يرتدي ذلك الثوب ، ولعلهم قد كذبوا علي .

لماركيــزة : لقد كان يرتديه في الحقيقة . أواه ! ياماالاسبينا ؛ إننا في زمن مظلم بـالنسبة إلى جميع الأشياء المقدسة !

الكاردينـال : يستطيع امرؤ أن يحترم الأشياء المقدسة ، وأن يرتدي في يوم حماقة ، ثوب أديار معينة ، دون أي قصد عدائي تجـاه الكنيسة الكاثـوليكية المقدسة .

الماركيـزة : إن ما يُخشى هو المثال وليس القصد . انني لست مثلك ، وقد أثارني ذلك . صحيح أنني لا أعرف ما يستطاع ومالا يستطاع ، وفقـاً لقواعدكم السرية . الله يعلم إلى أين تقود ! وأولئك الذين يضعون الكلمات على سندانهـم ويشكلونها بمطرقة ومبرد ، لا يذكرون دائماً أن هذه الكلمات تمثل أفكاراً ، وأن هـذه الأفكار تمثل أفعالاً ! .

الكاردينـال : حسناً ، حسناً ! الدوق شاب صغير ، أيتهـا الماركيزة ، وأراهن على أن رداء الراهبـات الظريف ذاك إنما كان يناسبه إلى حد يثـير الاعجاب !

الماركيـزة : إنه لا يستطيع أن يفعل خيراً من هذا . ولم يكن ينقصه إلا بضع قطرات من دم ابـن عمه ، هيبوليت دي مديتشي (١٤) !

---

(١٤) رسمه كليمنت السابع كاردينالا ، وكان الثائرون على حكم الكساندر يحبونه، وقد اغتاله هذا بالسم في عام ١٥٣٤ .

الكاردينـــال : وطاقية الحرية(١٥) ! أليس هذا صحيحاً ، يا أختي العزيزة ؟ لشد ما تكرهين هذا الدوق المسكين !

الماركيـــزة : وأنت – يا ذراعه اليمنى ! – ألا يهمك أن يكون دوق فلورنسا هو الحاكم الذي عينـــه شارل الخامس ؛ وهو النائب المدني للبابا ، كما أن باتشو نائبه الديني ؟ ألا يهمك ، يا أخـــا زوجي لوران – أن تطلع شمسنا – نحن – على قلعة الأشباح الألمانية ؟ وأن يتكلم قيصر هنـــا بجميع الأفواه ؟ أواه ! حرى بالأكليروس أن يدق عند الحاجة أجراسه جميعاً ، ليكتم صوته ، ويوقظ النسر الامبراطوري – إن كان نائماً – فوق أسطحنا الحزينة ! (تخرج)

الكاردينـــال : (وحده . يزيح الستار ، وينـــادي بصـــوت خفيض) أنيولو !

(يدخل خادم) هل من جديد ، اليوم ؟

أنيـــولو : هذه الرسالة ، يا سيدي .

الكاردينـــال : اعطني إياها .

أنيـــولـــو : آه ! هذه خطيئة ، يا صاحب النيافة !

الكاردينـــال : ما من شيء يكون خطيئة عندما تطيع كاهنـــاً للكنيسة الرومانية (أنيولو يعطيه الرسالة) إنه

---

(١٥) طاقية حمراء تشبه ما كان يلبسه الفريجيون القدامى • وقد اتخذت بعـد ذلك شعارا للحرية أيضا في فلورنسا ، مع الشارة المثلثة الالوان ، ابان الجمهورية الاولى •

لما يضحك أن أصغى إلى ثورة هذه الماركيزة الشقية ، وأن أراها منطلقة إلى موعد غرامي مع الطاغية العزيز ، وهي غارقة في دموعها الجهورية ! (يفض الرسالة ، ويقرأ :) « إما أن تكون لي ، أو تكوني سبباً في شقائي ، وشقائك ، وشقا بيتينا » . إن أسلوب الدوق مختصر ، ولكن القوة لا تنقصه ، وأن تكون الماركيزة مقتنعة أم لا ، فذلك ما تصعب معرفته . إن شهرين من التودد الذي يكاد أن يكون متصلاً لهما شيء كثير بالقياس إلى ألكساندر ، ولا بد أن يكونا كافيين بالقياس إلى ريتشياردا تشيبو (يعيد الرسالة إلى الخادم) أعد هذه إلى غرفة سيدتك . إنك أبكم دائماً ، أليس كذلك ؛؟ أعتمد علي (يعطيه يده ليقبلها ، ويخرج) .

المشهد الرابع

ساحة في قصر الدوق

الدوق ألكساندر : في شرفة ، خدم يدربون خيولاً في الساحة . يدخل فالوري وسير موريتشه .

الدوق : (إلى فالوري) هل تلقى صاحب النيافة أنباء من بلاط روما هذا الصباح ؟

فالـــــوري : إن بول الثالث(١٦) يرسل إلى صاحب السمو ألف بركة من بركاته ، ويعبر له عن أحـــــر أمنيات النجاح !

الـــــدوق : لا شيء غير الأمنيات ، يا فالوري ؟

فالـــــوري : إن صاحب القداسة يخشى أن يخلق الـــدوق لنفسه متاعب جديدة بإفراطه في التسامح . إن الشعب لم يعوَّد جيداً على الحكم المطلق . وأعتقد أن قيصر قد قال شيئاً كهذا لصاحب السمـــو في رحلته الأخـــــيرة .

الـــــدوق : هذا والله جواد جميل ، يا سير موريتشه ! أوه ! يا له من كفل رائع !

سير موريتشه : بديع ، يا صاحب السمو !

الـــــدوق : هذا لك إذن ، يا سيدي القاصد الرسولي ، بضعة أغصان رديئة لم تقتضب ! إن قيصـــر والبابا قد جعلا مني ملكاً ، ولكنهما قـــد وضعا في يدي صوبجاناً كأنه فأس طولهـــا فرسخ ! ما هذا يا فالوري ؟

فالـــــوري : إنني قسيس ، يا صاحب السمو ؛ وإذا كانت الكلمات التي يرغمني واجبي على نقلهـــا إليـــك بأمانة ، ينبغي أن تفسر بمثـــل هـــذه

---

(١٦) كان البابا بول الثالث (الكساندر فارنيز) من أسرة معادية لأسرة مديتشي. وكان يحرص دائما على تذكير الكساندر بفضله عليه ، فهو الذى جعل منه دوقا بالاتفاق مع الامبراطور الالمانى شارل الخامس .

القسوة ، فإن قلبي يمنعني من أن أضيف إليها كلمة واحدة !

الـــدوق : نعم ، نعم ، اني اعرفك رجلا شجاعا . انك والله القسيس الأمين الوحيد الذى رأيته في حياتي

فالـــورى : يامولاى ، ان الامانة لاتفقد ولا تكتسب تحت أى رداء ، وبين الرجال اخيار اكثر مما بينهم من الاشرار .

الـــدورق : لا تفسير ، اذن ؟

سيرموريتشه هل تسمح لى بالكلام يامولاى ؟ كل شيءيسهل تفســيره .

الـــدوق : حســـنا ؟

سير موريتشه : ان فوضى البلاط تغضب البابا !

الـــدوق : ماذا تقـــول ؟

سير موريتشه : لقد قلت : فوضى البلاط ، ياصاحب السمو . وليس لاعمال الدوق من يحكم عليها سواه ! ان البابا يعتبر لورنزودى مديتشى هاربا مـــن وجه عدالتـــه .

الـــدوق : من وجه عدالته ؟ انه ، فيما اعلم ، لم يغضب من الباباوات احداً قط سوى كليمنت السابع ، ابن عمى الراحل الذى يثوى الساعة في الجحيم !

سير موريتشه : لقد سمح كليمنت السابع بالخروج من ولاياته للعربيد الذى هشم ذات يوم ، وهو سكران ،

رؤس التماثيل في قوس قسطنطين . ولم يستطع بول الثالث ان يصفح عمن يدعى مثالا للدعارة الفلورنسية !

الـــدوق : آه ! بالطبع ! ان الكساندر فارنيز ولد لطيف ! واذا كانت الدعارة تغضبه ، فماذا يفعل بابنه غير الشرعى ، بيير (١٧) فارنيز العزيز ، الذى يعامل اسقف نانو (١٨) معاملة جميلة ! ان هذا التجريح يطفو على السطح دائما كلما تعلق الامر بذلك المسكين رنزو ! اما انا فاجد في قطعــه رؤوس جميع اولئك الرجال المقدودين مـــن الصخر مدعاة الى الضحك . انى احمى الفنون كغيرى . وعندى اوائل الفنانين في ايطاليـــا . ولكننى لا افهم شيئا من تقدير البابا لهذه التماثيل التى سيحكم عليها بالتحريم غداً إذا صـــارت لحما وعظمـــا . ؟

سير موريتشه : ان لورنزو ملحد . انه يسخر من كل شيء ، واذا لم تكن حكومة صاحب السمو محوطـــة باحترام عميق ، فلن يمكنها ان تكون حكومة قوية ، ان الشعب يدعو لورنز باسم لورنزاتشو . وهم يعرفون انه يوفر لك ملذاتك . وهذا يكفى !

الـــدوق : اسكت ! انك تنسى ان لورنزودى مديتـــشى

---

(١٧) ابن بول الثالث ، وحاكم بارم وبليزانس ، كان داعرا ، قاسى القلب ، وكان الاسقف المذكور يعاني من مباذله الكثير • وقد مات مقتولا (١٤٩٠ ـ ١٥٣٧) •

(١٨) مدينة على نهر الادرياتيك ، بين بيسارو وانكون •

هو ابن عم الكساندر (يدخل الكاردينال تشيبو)
انصت قليلا يا كاردينال الى هذين السيدين الذين
يقولان ان البابا مستاء من حماقات ذلك المسكين
رنزو ، ويزعمان انها تسيىء الى حكومتى .

الكاردينال : لقد القى الاستاذ فرانشيسكو مولترا في الاكاديمية
الرومانية خطابا مملا باللغة اللاتينية ، وهاجم فيه
من شوه قوس قسطنطين .

الدوق : اسمعوا ، انكم تثيرون غضبي ! رنزو ، رجل
يخشى منه ! اكثر الناس جبنا وتشردا ! الفدم ،
شبح القواد ، الخائر العزيمة ! الحالم الذى يسير
ليلا ونهارا بلاسيف ، مخافة ان يلمح ظله
بجانبه ! الفيلسوف والكاتب والشاعر الردىء
الذى لا يستطيع ان ينظم قصيدة واحدة
فحسب ! كلا ، كلا ، انني لا اخاف الاشباح
.. حسنا ! فيم تؤذيني من الوغد العزيز أحاديثه
اللاتينية ، واقواله الغليظة ! انني احب لورنزو ،
وسيبقى هنا !

الكاردينال : اذا كنت أخاف هذا الرجل ، فليس خوفي على
بلاطك أو على فلورنسا ، ولكنه عليك أيها
الدوق !

الدوق : هل تمزح يا كاردينال ؟ وهل تريد أن أقول لك
الحقيقة ؟ (يحدثه بصوت خفيض) كل ما أعرفه
عن أولئك الجمهوريين المشاغبين الذين يتآمرون
حولى ، إنما أعرفه من لورنزو . إنه زلق كثعبان

المساء ! وهو يندس في كل مكان ، ويقول لى
كل شيء . ألم يجد وسيلة لعقد الصلة بينه
وبين كل أهل الجحيم من آل ستروتسى هؤلاء ؟
نعم : بالتأكيد ؛ إنه وسيطى . ولكن ثق أن
وساطته هذه إن أضرت بأحد فلن تضرَّ بى .
انظر ! (يظهر لورنزو في نهاية ردهة سفلى)
انظر إلى هذا الجسد الصغير ، الهزيل ، في غداة
ليلة حمراء ! انظر إلى هاتين العينين الثقيلتين
كالرصاص ، وهاتين اليدين النحيلتين ، العليلتين
اللتين تكادان ألا تقويا على حمل مروحة ،
وهذا الوجه الحزين الذى يبتسم أحيانا ولكنه
لا يقوى على الضحك ! أهذا رجل يخشى منه ؟
هراء ! إنك تسخر منه ! حسنا ! تعال إلى هنا
إذن ، يارنزو ، هذا سير موريتشه يريد أن
يتحدث إليك .

لورنزو : (يصعد درج الشرفة) صباح الخير أيها السادة ،
أصدقاء ابن عمى !

الدوق : اسمع الآن ، يالورنزو ؛ إننا نتحدث عنك منذ
ساعة من الزمن . هل تعرف النبأ ؟ إنهم
يهاجمونك باللاتينية ، ياصديقى ! وسير
موريتشه يدعوك رجلا خطرا ، والكاردينال
أيضا ! أما الرجل الطيب فالورى ، فهو أعف
من أن ينطق باسمك !

لورنزو : خطرا على من ، ياصاحب السمو ؟ على فتيات

المتعه أم على القديسين في الفردوس ؟

الكاردينـــال : إن كلاب البلاط يمكن أن يصيبها السعار كغيرها من الكلاب !

لورنـــزو : إن إهانة يوجهها قسيس ، ينبغي أن تكـــون باللاتينية .

سير موريتشه : إنه يوجهها باللغة التوسكانية إلى من يستطيع ردها !

لورنـــزو : إنني لم أكن أراك ياسير موريتشه . معـــذرة ؛ لقد كانت الشمس في عينيّ . ولكنك تبـــدو في صحة جيدة ، ورداؤك يبدو لى جديدا .

سير موريتشه : كذكائك ! لقـــد صنعته من عبـــاءة قديمة لجـــدى(١٩) !

لورنـــزو : يا ابن عمى ؛ عندما تنال كفايتك ، من إحدى غانيات الضواحى ، فابعث بها إلى سير موريتشه. إن الحياة بغير امرأة تؤذى رجلا مثله ، قصير العنق ، أشعر اليدين !

سير موريتشه : إن من يعتقد أن له الحق في السخرية ، ينبغي أن يعرف كيف يدافع عن نفسه ، ولو كنت في مكانك لحملت سيفا !

لورنـــزو : لو كانوا قد قالوا لك انني جندى ، فقد أخطأوا. إننى عاشق مسكين للمعرفة .

---

(١٩) اى ان ذكاء لورنزو ليس الا الرا باهتا لذكاء جده « لوران المحبـــوب » الذى كان رجل دولة لامعا ، وكان سفيرا فى بلاط كل من البابا وشارل الثامن ملك فرنسا .

سير موريتشه : إن ذهنك سيف من الفولاذ إلا أنه لين ! إنه سلاح حقير للغاية ! وكل يستخدم أسلحته (يستل سيفه)

فالورى : السيف مجرد أمام الدوق !

الدوق : (ضاحكا) دعهما ، دعهما ! هلم ، يارنزو ؛ أريد أن أكون شاهدك . اعطوه سيفا .

لورنزو : ماذا تقول ، يامولاى ؟

الدوق : عجبا ! هل يتبدد انشراحك سريعا هكذا ؟ هل ترتعد ، يا بن العم ؟ تبا لك ! إنك تلحق العار باسم مديتشي ! إنني لست إلا نغلا ، ولكنني أجدر بالحفاظ عليه منك ، وأنت الولد الشرعى ! سيفا ! سيفا ! إن أحدا من آل مديتشي لا يسمح مطلقا بأن يستثار هكذا . اصعدوا إلى هنا ، أيها الخدم ! سيراه البلاط كله ، وقد كنت أتمنى أن تراه فلورنسا كلها !

لورنزو : إن صاحب السمو يسخر مني .

الدوق : لقد كنت أسخر منذ قليل ، ولكنني الآن أشعر بالخجل ! سيفا ! (يأخذ سيف واحد من الأتباع ويقدمه إلى لورنزو)

فالورى : يامولاى ، إن هذا دفع للأشياء إلى أبعد مما ينبغي ! إن تجريد سيف أمام سموك جريمة يعاقب عليها ، في داخل القصر .

الـــدوق : من يتكلم هنا عندما أتكلم ؟

فالـــورى : لا يمكن أن يكون صاحب السمو قد أراد إلا أن يمزح قليلا ؛ ولم يكن سير موريتشه نفسه يفكر في شيء آخـــر .

الـــدوق : أفلا ترى أنني مازلت أمزح ؟ ومن يفكر في شيء جدى هنا ؟ أرجوك أن تنظر إلى رنـــزو . إن فرائصه ترتعد ! وقد كان حريا بأن يشحب لونه لو استطاع ذلك . أي مظهر ، يا إلهى ! أعتقد أنه سيقع (يترنح لورنزو . يعتمد على السياج ثم يسقط فجأة على الأرض) .

الـــدوق : (ينفجر ضاحكا) وأنا أقول لكم ذلك ! إن أحدا لايعرفه خيرا مني . إن منظر السيف وحده يصيبه بالمرض ! هيا ، ياعزيزتي لورنزيتـــا ؛ دعيهم يحملوكِ إلى أمك ! (يرفع الخـــدم لورنـــزو) .

سير موريتشه : جبان مضاعف ! ابن فاجـــرة !

الـــدوق : اسكت ! ولتزن ماتقوله ياسير موريتشه . إنه أنا من يقولها لك الآن ؛ لا أريد أن تقال كلمات كهذه أمامي !

فالـــورى : الشاب المسكين ! (سير موريتشه وفالـــورى يخرجان)

الـــدوق : لقد أردت أن أعرف كيف لم أكن أصدقه .

الكاردينـــال : هم ! شيء غريب جدا !

الـدوق : ولهذا بالضبط أصدقه . هل تتصور أن واحدا من آل مديتشى يجلب العار على نفسه علانية بقصد المتعة ؟ ثم إنها ليست أول مرة يصيبه فيها ما أصابه . إنه لم يستطع أن يرى سيفا قط !

الكاردينال : غريب جدا ! غريب جدا ! (يخرجان)

المشهد الخامس

أمام كنيسة سان مانياتو في مونتوليفية

الجمهور يخرج من الكنيسة

إمرأة : (إلى رفيقتها) هل تعودين إلى فلورنسا هذا المساء ؟

رفيقتها : إنني لا أبقى هنا أبداً أكثر من ساعة واحدة . ولا أجيء إلى هنا أبداً غير يوم جمعة واحد . إنني لست غنية بالقدر الذي يسمح لي بأن أتوقف في السوق . والمسألة عندي مسألة إيمان لا غير . وكل ما أحتاج إليه أن يكون هذا كافياً لخلاصي

سيدة من البلاط : (لأخرى) لكم كان وعظه حسناً ! إنه هو الذي تعترف ابنتي على يديه (تدنو من أحد المتاجر) اللون الأبيض واللون الذهبي يناسبان المساء ، ولكن ؛ هل يصلحان بالنهار ؟

(التاجر والصائغ أمام دكانيهما ، مع بعض الفرسان)

الصائغ : القلعة ! لن يحتمل الشعب أبداً أن يرى فجأة

برج بابل الجديد هذا يرتفع فوق المدينة بين أشنع رطانة في الوجود ! ولن يورق غصن للألمان في فلورنسا أبداً . ولسوف يحتاج تطعيمها بهم إلى رباط قوى !

التاجر : هيا ، أيها السيدات . فلتأخذن مقعداً تحت ظلتي . يا صاحبات العصمة .

فارس : إنك تنتسب إلى الدم الفلورنسي القديم ، أيها الأب مونديالا ! إن كراهية الطغيان ما زالت ترعش أصابعك فوق نقوشك الثمينة ، في باطن مشغلك !

الصائغ : هذا حق ، يا صاحب السعادة ، ولو أنني كنت فناناً كبيراً لأحببت الأمراء لأنهم ، وحدهم ، يستطيعون أن يباشروا الأعمال الكبيرة . إن كبار الفنانين لا وطن لهم . وأنا أصنع علب القربان المقدس ، ومقابض السيوف

فارس آخر : ألا ترى ، على ذكر الفنانين ، ذلك المهزار الكبير الذي يكثر من حركاته أمام بعض المغفلين ، في تلك الحانة الصغيرة ؟ إنه يدق على المنضدة بكأسه . وإذا لم أكن مخطئاً ، فهو ذلك المدعي تشيلليني (٢٠) .

الفارس الأول : هيا بنا إلى هناك ، إذن ، ولندخل . إنه يغرى بالانصات إليه ، مع كأس من الخمر مشعشعة

---

(٢٠) بنفينيتو تشيلليني ، الصائغ الفلورنسي المشهور (١٥٠٠ ـ ١٥٧١) وقد سبقت الاشارة اليه • وقد كان نابغا بقدر ما كان متهوسا • كما كانت له مغامرات عاطفية كثيرة تضمنها كتاب اعترافاته •

في الرأس ؛ ولعل حكاية طريفة تروى الآن

(يخرجان . يجلس رجلان)

الأول : هـل كانت هناك ثورة ، في فلورنسا ؟

الثـاني : لا شيء تقريباً ، لقد قتل بعض الشباب المساكين في « السوق القديم » .

الأول : يا له من حزن يصيب العائلات !

الثـاني : إنها محن لا بد منها ! ماذا تريد أن يفعل الشباب بحكومة كحكومتنا ؟ يرتفع الهتاف على صوت النفير بأن قيصر في بولونيا ، ويردد الأغرار أن « قيصر في بولونيا » وهم يلمزون بعيونهم في إهتمام ظاهري ، دون أن يكفروا فيما يفعلون ! وتزداد سعادتهم في اليوم التالي عندما يعلمون ، ويرددون ، أن البابا في بولونيا مع قيصر . ثم ماذا ؟ أفراح شاملة ! ولا يرون أكثر من هذا وذات صباح يستيقظون وقد خدرت أعصابهم تماماً أبخرة الخمر الامبراطورية ؛ فيرون وجها مشئوماً بالنافذة الكبرى في قصر آل باتسي ! ويسألون عمن يكون هذا الشخص ، فيقـال لهـم إنـه الملك(٢١) ! لقـد أنجب البابا

---

(٢١) كان الفلورنسيون قد طردوا عائلة مديتشى من الحكم فى عام ١٥٢٧ ولكن البابا وشارل الخامس فرضا عليهم الكساندر دى مديتشى بالقوة ، بعد أن احتشد الجيش فى بولونيا ، وحاصر فلورنسا التى ارغمتها الفتن الداخلية والخيانات على الرضوخ • ويشبه هذا الحديث خطاب ديموستين الذى عاب فيه على الاثينيين اكتفاءهم بترديد مثالب فيليب المقدونى الذى غزا بلادهم فى عام ٣٣٨ ق • م دون اتخاذ اى شىء ايجابى ضده •

والامبراطور نغلاً يملك حوق الحياة والموت على أبنائنا ، وهو لا يستطيع أن يذكر اسم أمه !

الصـــــائغ : (يقترب) إنك تتكلم بدافع من وطنيتك ، يا صديقي ؛ وأنصحك بأن تحتــرس من ذلك الأعجف ! (يمر ضابط ألماني) .

الضابـــط : اخرجوا من هنا أيها السادة . إن سيدات يردن الجلوس

(تدخل سيدتان من سيدات البلاط ، وتجلسان)

السيدة الأولى : أهذا من فينتسيا(٢٢) ؟

التاجـــــر : نعم ، يا سيدتي العظيمة ، هل أقطع لك بضعة أذرع منه ؟

السيدة الأولى : إذا سمحت . أعتقـــد أنني رأيت جوليـــان سالفياتي يعبر الطريق .

الضابـــط : إنه يروح ويجيء عند باب الكنيسة . إنه شخص ظريف .

السيدة الثانيـــة : إنه شخص وقح ! أرني جوارب من الحرير .

الضابـــط : لن تجدي عنده جوارب صغيرة تناسبك .

السيدة الأولى : أسكت ، أنت . إنك لا تعرف غير الكلام ! ما دمت ترى جوليان فاذهب واخبره بأن عندي ما أقوله له .

الضابـــط : سأذهب إليه وأحضره (يخرج)

---

(٢٢) قماش « الدانتيل » الدقيق الذى تشتهر به مدينة البندقية .

السيدة الأولى : ضابطك هذا غبي ، لا يرضى ، ماذا تفعلين بـــه ؟

السيدة الثانية : ستعرفين أنه لا يوجـــد خـــير من هذا الرجل ! (تبتعدان . يدخل عمدة كابو) .

العمـــــدة : أعطني كوباً من شراب الليمون ، أيهـــــا الرجل الطيب (يجلس)

أحد الرجلين : ها هو عمدة كابو . إنه رجل وطني ! (يعود الرجلان إلى الجلوس) .

العمـــــدة : أنتما قادمان من الكنيسة أيها السيدان ؟ ما رأيكما في العظـــة ؟

الرجـــــل : كانت جميلة ، يا سيدي العمدة .

الرجل الثـــاني : (إلى الصائغ) إن هذا النبل الذي يتميز به آل ستروتسي عزيز عنـــد الشعب لأنـــه لا يتسم بالكبرياء . أليس شيئاً جميـــلاً أن نرى سيداً عظيماً يوجـــه الحديث إلى جيرانـــه بأسلوب لطيف ؟ إن لهذا كله أثراً أكبر مما نظن .

العمـــــدة : إن كانت الصراحة في القول واجبـــة ، فقد وجدتُ العظة أجمل مما ينبغي !

لقد كنت أعظ أحياناً ، ولم أكن أبالي كثيراً باهتزاز زجاج النوافذ ؛ ولكن دمعة صغيرة على خد رجل طيب قد كان لها عندي قيمـــة كبيرة على الدوام !

(يدخل سالفياتي)

سالفياتي : قيل لي إن هنا سيدات يطلبنني توآ . ولكنني لا أرى هنا رداء سوى ردائك أيها العمدة ! هل تراني خدعت ؟

التاجر : إنك لم تخدع ، يا صاحب السعادة ؛ لقد انصرفن ، ولكنني أعتقد أنهن سيرجعن بعد قليل . هذه عشرة أذرع من القماش ، وأربعة أزواج من الجوارب ، لهن .

سالفياتي : (يجلس) ها هي إمرأة جميلة تمر . . أين رأيتها يا ترى ؟ آه ! في فراشي بالطبع !

العمدة : (إلى الرجل) اعتقد أنني رأيت توقيعك على خطاب موجه إلى الدوق .

الرجل : إنني أقولها بصوت عال : إنه الملتمس الموجه من المنفيين(٢٣) .

العمدة : أبينهم أحد من عائلتك ؟

الرجل : إثنان ، يا صاحب السعادة . أبي وعمي . ولم يعد هناك رجل غيري في البيت !

الرجل الثاني : (إلى الصائغ) يا له من لسان بذيء يملكه هذا السالفياتي !

الصائغ : لا عجب في ذلك . إنه رجل نصف ضائع ، يعيش عالة على آل مديتشي هؤلاء ؛ وهو متزوج ، بوضعه هذا ، من إمرأة سيئة السمعة في كل مكان ! ويريد أن يقال عن جميع النساء

---

(٢٣) كان الكساندر قد نفى من المدينة من اتهموا بالاشتراك في ثورة عام ١٥٢٧ .

اللواتي يستطيع تجريحهن ، ما يقال عن إمرأته !.

سالفياتي : أليست هذه لويزه ستروتسي التي تمر على هذه الربوة ؟

التاجر : هي نفسها ، يا سيدى ؛ إنني لا أجهل من سيداتنا النبيلات غير القليل . إنها تعطى يدها لأختها الصغرى إذا لم أكن مخطئاً .

سالفياتي : لقد إلتقيت بلويزه هذه ليلة الأمس ، في حفل عائلة نازي . إن لها ساقاً جميلة حقاً ، ولا بد أن ننام معاً في أول فرصة !

العمدة : (يلتفت إليه) ماذا تعنى ؟

سالفياتي : إنه شيء واضح ؛ لقد قالته لي ، لقد كنت أمسك لها بالركاب ، ولا أكاد أفكر في شيء رديء . ولا أدري كيف أمسكت بساقها سهواً ، وهكذا حدث كل شيء .

العمدة : يا جوليان ، لا أدري إذا كنت تعرف أنك تتكلم عن أختي !

سالفياتي : أعرف هذا جيداً جداً ! إن جميع النساء قد جعلن لينمن مع الرجال ، ويمكن حقاً أن تنام أختك معي .

العمدة : (ينهض) هل أدين لك بشيء أيها الرجل الطيب ؟ (يلقى بقطعة من النقد على المنضدة ويخرج) .

سالفياتي : أحب كثيراً هذا العمدة الطيب الذي أنساه

حديث عن أخته بقية نقوده ! ألا يقال إن كل فضيلة فلورنسا قد هاجرت إلى بيت عائلة ستروتسي ؟ ها هو ذا يعود . حملق بعينيك ما شئت فإنك لن تخيفني ! (يخرج)

المشهد السادس

شاطىء الأرنو

ماري سوديريني . كاترينا

كاترينا : ها هي الشمس تبدأ في المغيب . إن سحابات كبيرة ، أرجوانية ، تتخلل أوراق الشجر . والضفدع يدق تحت أعواد البوص جرسه البلوري الصغير . ما أبدع آيات السماء المتآلفة كلها ، والضجيج البعيد لهذه المدينة !

ماري : لقد حان وقت العودة ،فاعقدى وشاحك حول عنقك .

كاترينا : لم يحن بعد ، إلا ان تكوني قد ابتردت. انظرى، يا اماه (٢٤) الحبيبة ، كم السماء جميلة ! وكم هذا كله رحيب وهادىء ، وكيف ان الله في كل مكان ! ولكنك تحنين راسك . انك قلقة منذ الصباح .

ماري : انى لست قلقة ولكنى حزينة . ألم تسمعيهم

(٢٤) ان كاترينا جينورى هى اخت مارى فى الحقيقة ، وقد كانت متزوجة من ليوناردو جينورى . وهى تدعوها بامها لفارق السن بينهما .

يرددون تلك الحكاية المشئومة عن لورنـــزو ؟
هذا هو حديث فلورنسا !

كاترينـــا : أوه ، يا أمي ! ليس الجبن جريمة أبدا ، وليست الشجاعة فضيلة . ولماذا نؤاخذ الضعفاء عـــلى ضعفهم ؟ ان مسئولية المرء عن ضربات قلبـــه امتياز مؤسف . ولماذا لايكون لهذا الغلام مالنا جميعا من حق ، نحن النساء ؟ يقال ان المرأة التى لا تهاب شيئا لا تستحب !

مـــارى : هل تحبين رجلا هيابا ؟ ان حمرة الخجل تعلو وجهك، ياكاترينا ان لورنزو هو ابن اختك ، ولكن ، تصورى انه ينتمى الى عائلة أخـــرى فكيف كنت ستحكمين عليه ؟ اية امرأة يمكنها ان تعتمد على ذراعه لتمتطى جوادا ؟ وأى رجل يصافحـــه ؟

كاترينـــا : انه شيء مؤلم ، ولكنه ليس بالشيء الذى الومه عليه . قد لا يكون قلبه قلب رجل من عائلـــة مديتشي ، ولكن ، واحسرتاه ! انه ليس قلب رجل شريف كذلك !

مـــارى : دعينا لا نتحدث عنه أكثر من ذلك ، ياكاترينا ، انها لقسوة كافية بالنسبة الى الام ألا تستطيـــع التحدث عن ابنها !

كاترينـــا : أواه ! من فلورنسا هذه ! لقد فقد ناه هنـــاك ! ألم اكن ارى في عينيه احيانا نار طموح شريف ! الم يكن شبابه فجر شمس مشرقة ! واليـــوم ،

لا يزال يلوح لى في اوقات كثيرة ان وميضا
سريعا . . . إنني اقول لنفسى ، رغما عني ،
ان كل شيء لم يمت فيه . !

مـارى : أواه ! ان هذا كله لغز محير ! وداعة شديدة ، وحب جميل للوحدة ! لقد كنت أقول عندما اراه عائدا من كليته (٢٥) ، متأبطا اسفاره الضخمة ، ان عزيزى رنزو لن يكون محاربا أبدا . ولكن حبا مقدسا للحقيقة كان يلتمع على شفتيه ، وفي عينيه السوداوين . وكان يهتم بكل شيء ، ويقول بغير انقطاع : « إن هذا فقير ، وهذا معوز ، فماذا اعمل ؟ » ..وذلك الاعجاب بعظماء كاتبه المفضل بلوتارك (٢٦) كاترينا ، كاترينا ، كم من مرة قبلته فيها على جبينه وانا افكر في ابي الوطن (٢٧) ؟

كاترينا : لا تحزني .

مـارى : اقول اني لا اريد ان اتحدث عنه ، ولكنني اتحدث بغير انقطاع . ان هناك اشياء معينة لا تكف الامهات عن ترديدها إلا في الصمت الأبدى ! ولئن كان ولدى دنيئا ، فاسقا ، وكان دم آل سود يريني باهتا في هذه القطرة

---

(٢٥) ان لورنزو لم يلتحق باية كلية . وهذه لمحة من حياة دى موسيه فى باريس .

(٢٦) مؤلف كتاب « حياة مشاهير اليونان وروما » وقد عاش فى القرن الاول الميلادى .

(٢٧) كوزمودى مديتشى . وقد كان وطنيا صادقا ، وحاميا للفنون (١٣٨٩ ـ ١٤٦٤) .

الواهية ، الساقطة من احشائي ، فانني لم أيأس بل تعلقت بأهداب الامل ، وكنت محقة في ذلك . اواه ! ياكاترينا ، انه لم يعد يمتاز حتى بالجمال . وقد تصاعد الى وجهه دنس قلبه كلفحة مؤذيه ! والابتسامة — هذه الاشراقة الحلوة التي تجعل الشباب اشبه بالازهار — قد هربت من وجنتيه اللتين في لون الكبريت ، وتركت عليهما سخرية بغيضة ، مدمدمة ، واحتقارا لكل شيء !

كاترينا : انه يكون جميلا احيانا ، في كآبته الغربية .

ماری : الم يكن مولده يدعوه الى العرش ؟ الم يكن يستطيع ان يرفع معه يوما الى هذا معرفة عالم ، واجمل شباب في الدنيا ، وان يتوج احلامي الغالية كلها بأكليل من الذهب ؟ الم يكن ينبغي أن اتوقع هذا ؟ اواه ! ياكاترينا ، هناك احلام معينة ينبغي الا يراها المرء ابدا ، لكي ينام نوما هادئا . وما أقسى ان تعيشي في قصر سحري تتردد فيه أناشيد الملائكة ، وان تنامي فيه وولدك يهدهدك ، ثم تستيقظي في مكان خرب (٢٨) ، مخضب بالدم ، غاص بآثار القصف والخلاعة ، وبالحطام البشرى ، بين ذراعي شبح رهيب يقتلك وهو لا يزال يدعوك امه !

---

(٢٨) كانت ماريا سوديريني قد هاجرت من فلورنسا خوفا من الغزو الفرنسى . وبعد عودتها ترك لها آل مديتشى بيتا حقيرا خلف قصرهم لتعيش فيه مع اولادها واقارب آخرين .

كاترينـــا : ان ظلالا صامته قد شرعت تمشى في الطريق . فلنرجع ياماريا ، فان أولئك المنفيين جميعــا يخيفوننى .

مــارى : المساكين ! انهم لا ينبغي ان يثيروا غير اشفاقنا عليهم ! اواه ! الا استطيع ان ارى شيئا واحدا لا يغرس شوكة في قلبي ؟ الا استطيع ان افتح عيني بعد ؟ واحسرتاه ! ياعزيزتي كاترينــا ، ان هذه ايضا فعله لورنزو . لقد وضع اولئك المواطنون التعساء جميعا ثقتهم فيه . وليس هناك واحد من بين جميع ارباب العائلات : اولئك المطرودين من وطنهم ، لم يخنه ولــدى ! ان رسائلهم ، الموقعة باسمائهم ، تعرض عـــلى الدوق ! وهكذا يحول حتى ذكرى اسلافــه المجيدة الى استغلال حقير ! ان الجمهوريــين يتوجهون اليه باعتباره السليل العريق لحاميهم . ان بيته مفتوح لهم ، وآل ستروتسى انفسهــم يجيئون اليه . اى فيليب المسكين ! انها ستكون خاتمة سيئة لشعرك الابيض ! اواه ! الا أستطيع ان ارى فتاة قد عدمت حياءها ، وبائسا محروما من اسرته ، دون ان يصرخ ذلك في وجهـــى قائلا : انت ام مصائبنا ! متى اكون هناك(٢٩)

(تضرب الارض بقدميهــا)

---

(٢٩) تعنى : متى اموت وادفن فى هذا التراب !

كاترينـــا : اماه المسكينة ، ان الدموع تملأ عينيك (تبتعدان. لقد غابت الشمس . جماعة من المنفيين تلتقى في وسط حقل) .

احد المنفيين : الى اين تذهب ؟

آخـــر : الى بـــيزا (٣٠) . وانت ؟

الاول : الى رومـــا .

آخـــر : وانا الى فينتسيا . وهاهما اثنان في طريقهما الى فيرارا . ماذا يكون مصيرنا ونحن مبعدون ، بعضنا عن بعض ، هكذا ؟

رابـــع : وداعاً ، ياعزيزى ، الى اوقات احسن (يمضى)

الثـــانى : وداعا . أما نحن فنستطيع أن نسير معا حتى صليب العذراء (يخرج مع آخر . يصل مافيو) .

المنفى الأول : هذا أنت ، يامافيو ! أية مصادفة جاءت بك إلى هنا ؟

مافيـــو : إنني معكم . اعلموا أن الدوق قد خطف أختى . وقد سللت سيفى فأطبق على عنقى نمـــر ذو أطراف حديدية ، وجردنى من سلاحى ثم تلقيت الأمر بمغادرة المدينة ، وكيسا ممـــلوءا بالدوكات .

المنفى الثانى : وأختك ، أين هى ؟

مافيـــو : لقد أشاروا لى إليها هذا المساء ، وهى خارجة

---

(٣٠) كان حاكم بيزا هو : جاك دى لازاردى مديتشى ، وكان الجمهوريون يتوهمون انه يعطف على قضيتهم .

من المسرح في ثوب لم يكن عند الامبراطورة
ثوب مثله . سامحها الله ! لقد كانت ترافقها
امرأة عجوز ، وقد تركت ثلاثا من أسنانها
عند باب الخروج . إنني لم أسدد في حياتي لكمة
أرضتني الى هذه الدرجة !

المنفي الثالث : إنهم يتمرغون جميعا في وحولهم وأقذارهم ، ونحن نموت قانعين !

الرابع : سيكتب إلينا فيليب ستروتسي من فينتسيا ، وسندهش جميعا ذات يوم ، عندما نجد جيشاً تحت إمرتنا !

الثالث : عاش فيليب ! لن تموت حرية إيطاليا مابقيت شعرة واحدة في رأسه (ينفصل جزء من الجماعة . يتعانق المنفيون جميعا)

صوت : إلى أوقات أحسن !

آخر : إلى أوقات أحسن ! (منفيان يعتليان جسرا تستكشف منه المدينة)

الأول : وداعا ، يا فلورنسا ، ياطاعون إيطاليا ! وداعا ، أيتها الأم العقيم التي لم تعد تملك لأطفالها لبنا !

الثاني : وداعا ، يا فلورنسا الفاسدة ، والشبح الرهيب لفلورنسا القديمة ! وداعا ، ياحمأة لاتسمى !

المنفيون جميعا : وداعا ، يا فلورنسا ! ملعونة أثداء نسائك ! ملعونة زفراتك ! ملعونة صلواتك ، وخبز حنطتك ، وهواء شوارعك ! اللعنة على آخر قطرة من دمك الفاسد !

الفصل الثاني

المشهد الأول

عند عائلة ستروتسي

فيليب : (في مكتبه) عشرة من المواطنين المنفيين ، في هذا الحى فقط ! الشيخ جالياتسو ، ومافيو الصغير ، منفيان ! وأخته (١) تفسد ، وتصبح بغيا ، في ليلة واحدة ! يا للصغيرة المسكينة ! متى تكون تربية الطبقات الدنيا قويمة بالقدر الذى يمنع الفتيات الصغيرات من أن يضحكن وآباؤهن يبكون ؟ أيكون الفساد قانونا من قوانين الطبيعة ، إذن ؟ وهذا الذى يسمى بالفضيلة ؟ أيكون ثوب الأحد ، الذى يلبسنه للذهاب للصلاة ؟ وبقية الأسبوع يلزمن النافذة ، وينظرن — وهن يطرزن الثياب — إلى الشباب العابرين ! أيتها الانسانية التعسة ! أى اسم تحملينه ، إذن ؟ أهو اسم جنسك أم عمادك ؟ ونحن — الحالمين العجائز — أية خطيئة أصلية غسلناها على وجه الانسانية منذ أربعة أو خمسة آلاف عام أصاب الاصفرار فيها وجوهنا وأسفارنا ؟ سهل عليك في سكون مكتبك ، أن تخط بيد خفيفة خطا دقيقا ، واضحا ، كشعرة الرأس ، على هذه

---

(١) أخت مافيو (١ : ١ ، ١ : ٦) .

الورقة البيضاء ! سهل عليك أن تشيد قصـــورا ومدائن بهذا الفرجار الصغير ، وشيء من المداد ! ولكن المهندس الذى يملك في مكتبه ألوفا من الرسوم البديعة لا يستطيع أن يرفع من الأرض أول حجر في بنائه ، عندما يشرع في العمـــل بظهوره المقوس وأفكاره الجامدة ! ولكنه شيء مرير ، مع ذلك ، ألا تكون سعادة البشر إلا حلما ! أما أن يكون الشر محتوما ، وأبديا ، وتغييره مستحيل ، فلا ! لمـــاذا يتلفت حـــوله الفيلسوف الذى يعمل من أجل الجميع ؟ هـــذا هو الخطأ ! إن أصغر حشرة تمـــر أمام عينيه تحجب عنه الشمس ! هيا ، إذن ، بمزيد من الجرأه ! الجمهورية ! هذه هي الكلمة التي نحتاج إليها ! وإذا لم تكن سوى كلمة فإنها شيء له قيمته ، مادامت الشعوب تنهض عندما تشـــق الهواء ! . . آه ! صباح الخير ، ياليون (يدخل عمدة كابو)

العمـــــدة : إنني قادم من « مولد » مونتوليفيه .

فيليـــــب : هل كان جميلاً ؟ هذا أنت أيضاً ، يا بيير ؟ اجلس ، إذن . عندي ما أقوله لك (يدخل بيير ستروتسي)

العمـــــدة : كان جميلاً جداً ، وقضيت فيه وقتاً طيباً إلا أن حادثة قد عرضت لي ، وأجد صعوبة في تقبلها .

بيـــــير : حقاً ؟ ما هي ، إذن ؟

العمــــــدة : تصور أنني دخلت دكاناً لكي آخذ كوباً من الليمون ، ولكن ؛ لا . إنه شيء لا يجـــدى ومن الحمق أن أذكره .

فيليـــــب : أي شيء يجثم على صدرك ؟ إنك تتكلم كمن يعاني ألماً !

العمــــــدة : لا شيء . لا أكثر من كلمة مؤذية . ما مـــن أهمية تعلق على كل هـــذا .

بيـــــير : كلمة مؤذية ؟ عمن ؟ عنك ؟

العمــــــدة : ليس عني بالتحديد . إني حرى بـــأن أهتم جيداً بما يقال عنى .

بيـــــير : عمن ، إذن ؟ تكلم ، إذا سمحت .

العمــــــدة : أنا مخطيء . والمرء لا يتذكر أشياء كهـــذه عندما يعرف الفرق بين رجـــل شريف ، وسالفيـــاتي ما !

بيـــــير : سالفياتي ؟ ماذا قال ذلك الوغد ؟

العمــــــدة : الحق معك . إنه وغد حقير ! أية أهمية لما يقول؟ رجل لا يستحى ، وخادم للبلاط ، وامرأتـــه أكبر عاهرة فيما يقال ! لقد حدث ما حـــدث ولن أذكره بعد الآن !

بيـــــير : أذكره ، وتكلم ، ياليون ، إنه يؤجج رغبتي في قطع أذنيه ! عمن كان يتقول ؟ عنـــا ؟ عن أبي ؟ آه ! قسماً بدم المسيح ! إني لا أحبه

مطلقاً هذا السالفياتي ، ولا بد أن أعـــرف !
هل تسمعنى ؟

العمـــدة : سأقول لك إذا كنت مصراً على ذلك . لقـد تحدث أمامي ، في دكان ، عن أختنـــا ، بطريقة مهينة حقاً !

بيـــير : يا إلهى ! وبأية ألفاظ ! هيا ، تكلم !

العمـــدة : بأقبـــح الألفاظ !

بيـــير : يالك من قسيس شيطان ! تراني نافذ الصـــبر ، وتتلمس الكلمات ! قل الأشياء كما هـــي ، فالكلمة كلمة ، بالطبع ، والله لا يمنـــع !

فيليـــب : بيير ، بيير ! إنك تسيء إلى أخيك !

العمـــدة : لقد قال انه سينام معها ! هذه هي الكلمـــة التي قالها : وانها قد وعدته بذلك !

بيـــير : انها ستنام . . . آه ! الموت له ! كم الساعـــة الآن ؟

فيليـــب : إلى أين تذهب ؟ هل جبلت من ملح البارود ؟ أي شيء ستفعله بهذا السيف ؟ إنك تحمـــل جنبك سيفاً(٢) !

بيـــير : لن أفعل شيئاً ، ولنذهب للعشاء . لقد أعـــد الطعام (يخرجون) .

---

(٢) لا بد ان بيير قد انتزع سيفا معلقا على احد الجدران ، ونسى انه يحمـل سيفا آخـر .

المشهد الثانى

مدخـــل كنيســـة

يدخــــل لورنـــزو وفالـــورى

فالـــورى : كيف لا يجيء الدوق إلى هنا ؟ آه ! ياسيدى ، لكم تسر هذه الروائع التى تزخـــر بها الكنيسة الرومانية رجلا مسيحيا ! وأى رجل يمكن أن يكون هنا جامد الأحساس ؟ ألا يجد الفنان هنـــا نعيم قلبه ؟ والمحارب ، والقس ، والتاجـــر ، ألا يلتقون هنا بكل مايحبون ؟ هذا التوافق الرائع بين آلات الأرغن ، وهذا الرياش النضير من المخمل ، والستائر المزركشة ، وهذه اللوحات عمل الأساتذة الأوائل ، والعطور الهادئة ، الجميلة ، التى تؤرجحها المباخر ، والأناشـــيد العذبة التى تنشد بهذه الأصوات الفضية . . . إن هذا كله يمكن أن يصدم باجتماعه الدنيوى مشاعر الراهب الصارم ، عدو المتعة ، ولكن ؛ لاأجمل عندى من ديانة تستحب بمثل هذه الوسائل(٣) . ليست الديانة طيرا جارحا ، ولكنها حمـــامة حانية ، تبسط جناحيها في رفق على كل مايحلم به الناس وما يحبونه !

لورنـــزو : مامن شك في أن ماتقوله صحيح تماما ، وزائف تماما ، ككل شيء في الدنيا . !

(٣) سبق ان ابدى شاتوبريان مثل هذا الراى فى كتابه « عبقرية المسيحية » (١٨٠٢) .

تيبالد يوفريتشا : (يدنو من فالورى) آه ! ياسيدى ، ما أجمل أن أرى رجلا كنيافتك يتحدث هكذا عن التسامح والحماسة المقدسة ! اغفر لمواطن مغمور، يحترق بهذه النار الألهية ، أن يشكرك على هذه الكلمات القليلة التى سمعها الآن . إن أعظم سعادة يمكن أن يشتهيها المرء ، هى أن يجد مابقلبه على شفتى رجل نبيل !

فالورى : ألست فريتشا الصغير ؟

تيبالديو : إن لأعمالى أهمية قليلة ، فإنى أعرف كيف أحب الفنون أكثر مما أعرف كيف أمارسها . ولكن شبابى قد انقضى كله في الكنائس ؛ ويلوح لى أننى لا أستطيع أن أعجب بغير رفائيل (٤) وفناننا الإلهى بوناروتى (٥) . إننى أقف أياما أمام أعمالهما ، وأنا في دهشة ليس لها نظير ! إن ألحان الأرغن تكشف لى عن فكرهما وتجعلنى أنفذ إلى أعماقهما ! إننى أنظر إلى أشخاص لوحاتهما وهم راكعون في قداسة ، وأصغى كما لو كانت أناشيد الجوقة خارجة من أفواههم المنفرجة . وتمر نفحات البخور العطرى بينهم وبينى في سحابة خفيفة ، وأعتقد

---

(٤) من أبرز فنانى عصر النهضة • كان يعمل فى بيروز وفلورنسا قبل ان يصبح كبير المهندسين ، والمشرف على عمائر الفاتيكان (١٤٨٣ ـ ١٥٢٠) •

(٥) ميكل انجلو ، الفنان الاشهر ، صاحب تمثال موسى وقبة القديس بطرس فى الفاتيكان واعمال الفريسك فى كنيسة سلستين ومقبرة عائلة مديتشى (١٤٧٥ ـ ١٥٦٤) •

أنني أرى فيه مجــد الفنان . إنه ــ هو أيضا ــ
دخان حزين ، رقيق ، لا يكون إلا عطرا عديم
الجدوى إذا لم يصعد إلى الرب !

فالــورى : إنك فنان حقيقي . تعال إلى قصرى . وليكن
معك شيء تحت معطفك . عندما تجيء . إني
أريد أن تشتغل لحسابي .

تيبالديــو : إن صاحب النيافة يسبغ عليّ شرفا أكبر ممــا
أستحق . وأنا خادم جد متواضع لديانةالعصور
المقدســة .

لورنــزو : لمــاذا تسترد ماتعرضه من خدمة ؟ يلوح لى أنك
تحمل رسما بين يديك .

تيبالديــو : هذا صحيح ، ولكنني لا أجروء على إظهــاره
لأمثالكما من كبار العارفين . إنه تخطيط ركيك
لحلم رائع !

لورنــزو : هل تصور أحلامك ؟ سأعرض عليك بعض
أحلامي .

تيبالديــو : إن تحقيق الأحلام هو حياة المصور . لقد أعاد
أكبر المصورين أحلامهم إلى الحياة بكل قوتها ،
ودون أن يغيروا شيئا منها . لقد كان خيــالهم
شجرة مملوءة بالعصارة . وكانت براعمها تتحول
دون مشقة إلى أزهار ، والأزهار إلى ثمــار ،
وسرعان ماتنضج هذه الثمار في شمس محسنة ،
وعند نضجها تنفصل من تلقاء نفسها ، وتسقط
على الأرض ، دون أن تفقد ذرة واحدة من

غبار بكوريتها . وا أسفاه ! إن أحلام الفنانين الصغار نباتات يصعب تغذيتها ، وهم يروونها بالدموع المريرة لكي تثمر ثمـــرا قليلا ! (يظهر لوحته)

فالـــورى : رسم جميل ، دون مجاملة ، وإن لم يكن من الدرجة الأولى حقيقة . ولمـــاذا أجامل رجـــلا لا يفتخر هو نفسه بمـــا يعمل ؟ واكن لحيتك لم تنبت بعد ، أيها الشاب .

لورنـــزو : أهو منظر ريفي ، أم صورة شخصية ؟ ومن أى جانب ينبغي أن ننظر إليه ؛ أبالطول أم بالعرض؟

تيبالديـــو : سيادتك تسخر مني ! إنه مشهد الكامبوسانتو(٦)

لورنـــزو : كم تبلغ المسافة من هنا إلى الأبد ؟

فالـــورى : لايجمل بك أن تسخر من هذا الغلام ! انظـــر كيف يبـــدو الحزن في عينيه الواسعتين ، مع كل كلمة من كلماتك !

تيبالديـــو : الأبد هو الايمان . وأولئك الذين وهبهـــم الله أجنحة يبلغونه باسمين .

فالـــورى : إنك تتكلم كتلميذ لرفائيل (٧) .

تيبالديـــو : ياسيدى ، لقد كان أستاذى ، ومنه تعلمت .

لورنـــزو : تعال إلى بيتي . سأجعلك تصور الماتسافيرا (٨)

---

(٦) احدى مقابر فلورنسا ، وهي مقامة فوق ربوة عالية .

(٧) كان رفائيل يصور العذراء والملائكة باسمين دائما .

(٨) بغي فلورنسية .

وهى عارية .

تيبالديــو : إننى لا أقــدر ريشتى ، ولكننى أحترم فنى !

لورنــزو : لقد خلقها ربك وتستطيع أن تصورها ! هــل تصور من أجلى منظرا لفلورنسا ؟

تيبالديــو : نعم ، ياسيدى .

لورنــزو : كيف تصورها ؟

تيبالديــو : أقف ناحية الشرق . على الشاطىء الأيسر من الآرنو . إن المشهد يكون أكثر اتساعا وملاءمة في ذلك الموضع (٩) .

لورنــزو : وتصور فلورنسا بميادينها وبيوتها وشوارعها ؟

تيبالديــو : نعم ، ياسيدى .

لورنــزو : لمــاذا إذن لاتستطيع أن تصور عاهرة ، إذا كنت تستطيع أن تصور مكانا رديئا ؟

تيبالديــو : لم يعلمونى قط أن أتكلم هكذا عن أمى .

لورنــزو : ماذا تسمى أمك ؟

ليبالديــو : فلورنســا ، ياسيدى .

تورنــزو : فما أنت الا نغل ، لأن أمك ليست إلا بغيا !

تيبالديــو : إن جرحا داميا يمكن أن يخلف الفساد في أصح الأبدان . غير أنه من القطرات الثمينة ، من دم أمي ، يخرج نبات عطرى يشفى جميع الأمراض !

---

(٩) فوق المرتفعات التى تهيمن على فلورنسا .

إن الفن ــ هذه الزهرة القدسية ــ يحتـــاج أحيانا
إلى قمامة تسمد التربة ، وتخصبها !

لورنـــزو : ماذا تعنى بذلك ؟

تيبالديـــو : لقد كانت الشـــعوب المسالمـــة ، والسعيدة ، تستضيىء أحيانا بنور نقى ولكنه ضعيف. وهنالك أوتار كثيرة في قيثارة الملائكة ، ويستطيع النسيم أن يهمس على أضعفها ، وأن يخرج منها مجتمعة إيقاع جميل ، عذب ؛ ولكن الوتر الفضى لا يهزه إلا ريح الشمال . إنه أجمل الأوتـــار وأنبلها . ولكن لمسة يد خشنة هى التى تناسبه . إن الحماســـة أخت الألم !

لورنـــزو : تعنى أن الشعب البائس يصنع الفنانين الكبار ! يجـــدر بى أن أكون الكيميائى الذى يســـتخدم إنبيقك عن طيب خاطر ، فإن دموع الشعوب تسقط فيه لآلىء ! قسما . إنك تعجبنى ! تستطيع الأسر أن تحزن ، والشعوب أن تقتلها التعاسة ، لكى يخصب هذا خيال السيد ! أيها الشـــاعر المدهش ! كيف توفق بين هذا كله بتقواك ؟ !

تيبالديـــو : إننى لا أسخر أبداً من شقاء الأسر . إننى أقول إن الشعر أعذب أنواع الألم ، وانه يحب إخوته . إننى أشفق على الشعوب المعذبة . ولكننى أعتقد حقا أنها تصنع الفنانين الكبار . إن ميادين القتال تخرج المحاصيل . والأرض التالفة تنتج القمح الذى تنعم علينا به السماء !

لورنـــزو	: إن معطفك مهلهل . فهل تريد معطفا يحمـــل شارتى (١٠) ؟
تيبالديـــو	: إننى لا أنتسب إلى أحد . وعندما يريد الفكر أن يكون حرا ، ينبغى أن يكون الجسد حرا كذلك.
لورنـــزو	: أريد أن آمـــر خادمى بأن يضربك بضـــع ضربات بالعصا !
تيبالديـــو	: لمـــاذا ، ياسيدى ؟
لورنـــزو	: لأن هذا يخطر لى ! هل أنت أعرج منذ مولدك ؛ أم نتيجة لحادث ؟
تيبالديـــو	: إننى لست أعرج . ماذا تعنى بذلك ؟
لورنـــزو	: إنك أعرج أو مجنون !
تيبالديـــو	: لمـــاذا ، ياسيدى ؟ إنك تسخر منى .
لورنـــزو	: إذا لم تكن أعرج ، فكيف تبقى – إلا أن تكون مجنونا – في مدينة يستطيع فيها أول خادم عند واحد من آل مديتشى أن يقتلك مصـــداقا لأفكارك عن الحرية ، دون أن يجدوا في ذلك عيبـــا ؟
تيبالديـــو	: إننى أحب أمى فلورنسا ، ولهذا أبقى على أرضها. إننى أعرف أن أى مواطن يمكن أن يغتـــال في وضح النهار ، وفي عرض الطريق ، بنـــاء على نزوة أولئك الذين يحكمونها ، ولذلك أحمـــل هذا الخنجر في حزامى .

(١٠) اى : أن تكون من اتباعى .

لورنـــزو : هل تطعن الدوق بالخنجر إذا طعنك الدوق ، مثلما ارتكب الكثير من جرائم القتل ، في حفلاته الماجنة ، ليلهـــو ؟

تيبالديـــو : ســـأقتله ، إذا هاجمني .

لورنـــزو : هل تقول هذا لى ، أنا ؟

تيبالديـــو : لمـــاذا يحقد علىّ أحد من الناس ؟ إننى لا أؤذى أحدا . إننى أقضى أيامى في المرسم . وفي يوم الأحد أذهب إلى « كنيسة البشارة » أو « سانت مارى » . ولمـــا كان الرهبان يعتقدون أن لى صوتا حسنا ، فإنهم يلبسوننى رداءً أبيض ، وطاقية حمراء ، وأقوم بدورى في جـــوقات المنشدين ، وأؤدى في بعض الأحيان دورا مفردا صغيرا ، وتلك هى المناسبات الوحيدة التى أواجه فيها الناس . وفي المساء أذهب إلى بيت خطيبتى ، وعندما تكون الليلة جميلة أقضيها في شرفتها . إن أحدا لايعرفنى ، وأنا لا أعرف أحدا ، فمن ذا يفيده حياتى أو موتى ؟

لورنـــزو : هل أنت جمهورى ؟ هل تحب الأمراء ؟

تيبالديـــو : إننى فنان . إننى أحب أمى وخطيبتى .

لورنـــزو : تعال غدا إلى قصرى . إنى أريد أن أكلفك بتصوير لوحة قيمة ليوم عرسى (١١) (يخرجون)

---

(١١) انه يعنى دائما بيوم عرسه ذلك اليوم الذى سيقتل فيه الكسندر (انظـر : ٣ ، ١)

المشهد الثالث

عند المـــاركيزة تشـــيبو

الكاردينـــال : (وحده) نعم ؛ سأطيع أوامرك ، يافارنيز(١٢)
فليحبس قاصدك الرسولى(١٣) نفسه ، باستقامته ،
في دائرة وظيفته الضيقة . وبيد ثابتة سأهـــز
الأرض الزلقة التى لا يجرؤ على السير فوقهـــا !
إنك تنتظر ذلك مني . لقد فهمت هذا . وسأعمل
دون أن أتكلم ، كما أمرت . لقد كنت تعرف
من أنا عندما وضعتنى بالقرب من ألكساندر
دون أن تقلدنى منصبا يجعل لى سلطانا عليه .
لسوف يأخذ حـــذره من غيرى ، وهو يطيعنى
في غفلته ! فليستنفذ قوته ضد أشباح رجال ،
ينفخها ظل من القوة ! وسوف أكون الحلقـــة
الخفية التى تربطه — وهو مقيد الرجلين واليدين —
بالسلسلة الحديدية التى يمسك بطرفيها رومـــا
وقيصر ! وإذا لم تكن عيناى تخدعاننى فإنه ،
في هذا البيت ، توجد المطرقة التى سأستخدمها !
إن ألكساندر يحب زوجة أخى (١٤)، وأستطيع
أن أصدق أن هذا الحب قد أرضى غرورها ،
ولكننى لست على يقين ممـــا يمكن أن يترتب

---

(١٢) البابا بول الثالث .

(١٣) الكاردينال باتشو فالورى (انظر : ١ ، ٤)

(١٤) لم يكن هذا الكاردينال اخا لزوج ريتشاردا . وقد جعل له المؤلف هـذه القرابة لكى يضاعف من قسوة ذلك الاسلوب الميكافيللى فى معالجة الامور .

عليه من نتائج ، إلا أنني متأكد ممـــا تريده منه .
ومن يدرى إلى أى مدى يمكن أن يصل تأثـــير
امرأة متحمسة حتى على ذلك الرجل الغليظ ،
على ذلك الدرع الحى (١٥) ؟ إن خطيئة عـــذبة
كهذه ، في سبيل غرض بديع كهذا ، لهى شيء
مغـــر ؛ أليس كذلك ، ياريتشياردا ؟ وأن
تضمى قلب الأسد ، هذا ، إلى قلبك الضعيف
الذى اخترقته السهام الدامية ، كقلب ســـان
سيباستيان (١٦) ، وتتحدثي وعيناك دامعتان ،
عما يعانيه الوطن من آلام ، بينما يدس الطاغية
المعبود يديه الخشنتين في شعرك المرسل ،وتعملى
على إطلاق الشرارة المقدسة من صخرة ، فذلك
شيء يستحق التضحية بالأمانة الزوجيه ،وبعض
التفاهات الأخرى ! إن فلورنسا تستفيد من هذا
كثيرا ، ولا يفقد أولئك الأزواج الطيبـــون
شيئا ! ولكنه لم يكن ينبغى أن تجعلنى كاهـــن
اعترافها !

هاهى ذى مقبلة وكتاب صلواتها في يدها .
اليوم ، إذن ، يتضح كل شيء . دعى سرك
يسقط في أذن الكاهن فحسب . ولسوف يستطيع

---

(١٥) كان الكساندر يرتدى تحت ملابسه درعا متينا سيكون له دوره فى المأساة .

(١٦) توجد لوحات كثيرة من عصر النهضة فى إيطاليا تمثل استشهاد القديس سيباستيان ، وخاصة لوحة المصور مانيتينيا (١٤٣١ ــ ١٥٠٦) الموجودة فى متحف اللوفر بباريس .

النديم أن يستفيد منه ، إلا أنه ، يقينا ، لن يبوح بشيء ! (تدخل المـــاركيزة)

الكاردينـــال : (يجلس) ها أنذا مستعد (تركع الماركيزة بالقرب منه على كرسى اعترافها)

المـــاركيزة : اغفر لى يا أبى ، فقد أخطأت .

الكاردينـــال : هل قلت « أعترف »(١٧) ؟ نستطيع أن نبدأ ، أيتها الماركيزة .

المـــاركيزة : إني أعترف بنوبات غضب ، وشكوك تتنـــافى مع الدين ، وتسيىء إلى البابا أبينا المقدس .

الكاردينـــال : استمرى .

المـــاركيزة : لقد قلت بالأمس في جماعة من الناس ، بمناسبة الحديث عن أسقف فانو ، إن الكنيسة الكاثوليكية المقدسة قد كانت مبـــاءة .

الكاردينـــال : استمرى .

المـــاركيزة : لقد أصغيت إلى أقوال تتعارض مع الأمانة التى أقسمت عليها لزوجى .

الكاردينـــال : من وجه إليك هذه الأقوال ؟

المـــاركيزة : لقد قرأت رسالة مكتوبة بنفس المعنى .

الكاردينـــال : من كتب إليك هذه الرسالة ؟

المـــاركيزة : إنى أعترف بما فعلت وليس بما يفعله الآخرون .

الكاردينـــال : يا ابنتى ، يجب أن تجيبى عن سؤالى إذا أردت

---

(١٧) Confiteor وهى صلاة تسبق الاعتراف عند الكاثوليك وتبدأ بهذه الكلمة.

أن يكون في مقدورى أن أمنحك الغفران وأنا مطمئن كل الاطمئنان . أخبريني قبل كل شيء، إذا كنت قد أجبت على تلك الرسالة .

المـــاركيزة : لقد أجبت عليها بصوتى ، ولكننى لم أجـــب بالكتابة .

الكاردينـــال : ماذا قلت في إجابتك ؟

المـــاركيزة : لقد سمحت للشخص الذى كتب إلىّ بأن يلقاني كما أراد .

الكاردينـــال : كيف تم هذا اللقـــاء ؟

المـــاركيزة : لقد اعترفت الآن بالأصغاء إلى أقوال تتعارض مع شرفي .

الكاردينـــال : كيف أجبت عنها ؟

المـــاركيزة : لقد أجبت بما يناسب امرأة تحترم نفسها .

الكاردينـــال : ألم تظهرى شيئا يفهم منه أنه قد أقنعك أخيرا ؟

المـــاركيزة : لم أفعل ، يا أبى .

الكاردينـــال : هل أظهرت للشخص المعنى عزمك على عـــدم الأصغاء إلى أقوال كهذه في المستقبل ؟

المـــاركيزة : نعم ، يا أبى .

الكاردينـــال : هل يعجبك هذا الشخص ؟

المـــاركيزة : إن قلبي لا يعرف شيئا من ذلك ، فيما أرجو .

الكاردينـــال : هل أخبرت زوجك ؟

المــاركيزة : كلا ، يا أبى . إن الزوجة الشريفة لا ينبغى أن تثير الاضطراب في بيتها بحكايات من هذا النوع

الكاردينـال : ألا تخفين عنى شيئا ؟ ألم يقع بينك وبين الشخص المعنى شيء ترددين في الافضاء به إلى ؟

المــاركيزة : لا شيء ، يا أبى .

الكاردينـال : مامن نظرة رقيقة ؟ مامن قبلة مختلسة ؟

الماركيـزة : كلا ، كلا ، يا أبي .

الكاردينـال : يقيناً ، يا ابنتى ؟

الماركيـزة : يا أخا زوجي ؛ يلوح لي أنني لم أعتد أن أكذب أمام الله !

الكاردينـال : لقد رفضت أن تخبرني بالاسم الذي طلبته منك الآن . ولا أستطيع أن أمنحك الغفران دون أن أعرفه !

الماركيـزة : لماذا ؟ قد تكون قراءة خطاب ، لا قراءة توقيع ، هي الخطيئة . ما أهمية الاسم في المسألة؟

الكاردينـال : إنـه يهم أكثر مما تظنين !

الماركيـزة : ياماالاسبينا ؛ إنك تريد أن تعرف أكثر مما ينبغى ! لا تمنحنى الغفران إذا شئت ، وسأتخذ لي كان اعتراف من أول قسيس قادم ، وسيمنحنى إياه ! (تنهض)

الكاردينـال : ما هـذا العنف ، أيتها الماركيزة ! ألست أعرف أنه هو الدوق الذي تريدين أن تتحدثي عنه ؟

المارکيـــــزة : الدوق ! . حسناً ! إذا كنت تعرف ذلك ، فلماذا تريد أن ترغمني على ذكره ؟

الكاردينـــــال : لماذا ترفضين أن تذكريه لي ؟ إن هذا يدهشني !

المارکيـــــزة : وماذا تريد أن تفعل به ، يا كاهن اعترافي ؟ هل تصر على معرفته بهذه القوة لكي تعيده على مسامع زوجي ؟ نعم ؛ يقيناً ! يخطىء المـــرء عندما يتخذ كاهن اعترافه من بين أقربائه . إن السماء تشهد على أنني — وأنا راكعة أمامك — أنسى أنني زوجة أخيك . ولكنك تهتم بـــأن تذكرني بهذا ؛ فكن حريصاً ، يا تشيبو ، كن حريصاً على خلاصك الأبدي ، أيها الكاردينال

الكاردينـــــال : عودي إذن إلى هذا المكان ، أيتها الماركيزة ، فليس هناك ضرر كبير كما تعتقدين .

المارکيـــــزة :ماذا تعنى ؟

الكاردينـــــال : أعنى أن كاهن الاعتراف ينبغى أن يعـــــرف كل شيء لأنه يستطيع أن يوجه كل شيء ؛ وأن أخاً الزوج لا ينبغى أن يقـــول شيئاً . . بشروط معينة .

المارکيـــــزة : أية شروط ؟

الكاردينـــــال : كلا ، كلا ؛ إنني مخطىء . لم تكن هذه هي الكلمة التي أردت أن استخدمها . لقد أردت أن أقول ان الدوق . رجل ذو سلطان ، وإن شقاقاً معه يمكن أن يلحق الأذى بأكثر العائلات غنى وجاها ؛ ولكن سراً كبيراً إذا ما وضع

بين يدين متمرستين ، يمكن أن يصبح مصـــدر خير وفير .

الماركيـــــزة : مصدر خير ! . . ويدان متمرستان ! . . إنني أقف جامدة كتمثال ، حقاً ! ماذا تضمر أيها الكاهن تحت هذا الكلام الذي يحمل أكـــثر من معنى ؟ إن هنالك عبارات معينة تمر سريعاً على شفاهكم ، ولا نعرف كنهها !

الكاردينـــال : عودي إذن ، واجلسي ، يا ريتشياردا . إنني لم أمنحك الغفران بعد .

الماركيـــــزة : تكلم أنت دائماً ، فانه ما مـــن دليل على أنني أريده .

الكارديتـــال : احترسي أيتها الماركيزة ! عندما يريد أحـــد أن يواجهني متحدياً ، فلا بد أن يكون له درع درع متين ولا عيب فيه ! إنني لا أريد أن أهدد على الاطلاق ، ولا أملك إلا كلمة واحـــدة أقولها لك : اتخذى كاهن اعتراف آخـــر ! (يخرج)

الماركيـــــزة : (وحدها) هذا شيء لم يسمع به من قبل ! يمضى وهو يعصر كفيه ، وعيناه تشتعلان غضباً ويتحدث عن يدين متمرستين ، وعن التوجيه إلى أشياء معينة ! ما الحكاية إذن ؟ لئن كان يريد أن يعرف سري ليخبر به زوجي ، فهذا شيء أفهمه . ولكن : إذا لم يكن ذلك ما يرمى إليه ، فماذا يريد أن يجعل منى ؟ عشيقة الدوق؟

أن يعرف كل شيء ـ هكذا يقول ـ وأن يوجه
كل شيء ! ولكن هذا مستحيل ! . . إن هناك
سراً آخر ، هذا مؤكد . إنني أعرفه . تلك حرفة
خليق بها لورنزاتشو ! أمـا هو ! . . لا بـد
أن لديه فكرة خفية أكبر من هذا ، وأعمق .
أواه ! كيف يخرج الرجال من ذواتهـم
فجأة ، بعد عشر سنوات من الصمت ! إنهشيء
مخيف ! والآن ، ماذا أفعل ؟ هل أحـب
ألكساندر ؟ كلا ؛ إنني لا أحبه . كلا ؛ يقيناً !
لقد قلت : « كلا » في اعترافي ، ولم أكذب .
لماذا يكون لوران في ماساً ،؟ ولماذا يلاحقنـي
الدوق ؟ لماذا أجبت بأنني لا أريد أن ألقـاه
ثانية ؟ لماذا ؟ . . أواه ! لماذا يكون في ذلك كله
مغناطيسية ، وسحر غامض يجذبني ؟ (تفتح
نافذتها) ما أجملك يا فلورنسا ، ولكـن :
ما أشد حزنك أيضاً ! هنالك أكثر من بيت قد
دخله ألكساندر ليلاً ، متخفياً تحت معطفـه !
إنه فاسق ، كما أعلم ! ولماذا تختلطين بهذا
كله ، يا فلورنسا ؟ من الذي أحبه إذن ؟ أنت ؟
أم هو ؟

أنيولـو : (يدخل) سيدتي ؛ إن صاحب السمو قد دخل الفناء .

الماركيـزة : شيء غريب ! لقد تركني مالاسبينا وأوصالي كلها ترتعد !

المشهد الرابع

في قصر سوديريني

ماري سوديريني . كاترينـــا . لورنزو « جالسين »

كاترينـــــا : (ممسكة بكتاب) أي تاريخ أقرأ لك ، يا أمي ؟

مـــــاري : إن عزيزتي كاتينا(١٨) تسخر من أمها المسكينة ! هل أفهم شيئاً من كتبك اللاتينية ؟

كاترينـــــا : ليس هذا الكتاب باللاتينية ولكنه مترجم عنها . إنه التاريخ الروماني .

لورنـــــزو : إنني متبحر في التاريخ الروماني . لقد كـــان يوجد ذات يوم نبيل شاب اسمه تاركـــان الابن(١٩) .

كاترينـــــا : آه ! هذه قصة دامية !

لورنـــــزو : آه ! هذه قصة خرافية ! لقد كان بروتس(٢٠) مخبولاً ، يعتريه جنون الفكرة الثابتة . ولا أكثر من ذلك . وكان تاركان دوقاً حكيماً ،

---

(١٨) تصغير لاسم كاترينا .

(١٩) هو سكستوس (أبوه تاركان ، آخر ملوك روما ، وقد مات فى عام ٤٩٤ ق.م) وقد تسلل الى خيمة لوكريس ـ زوجة احد قواد أبيه ، فى حصار مدينة آرديا ـ واغتصبها قهرا ، فانتحرت . وكان هذا الحادث سببا فى اشتعال الثورة والاطاحة بتاركان ، واقامة النظام الجمهورى . وقد قتل سكستوس فى عام ٤٩٦ ق.م .

(٢٠) لوشيوس جونيوس بروتوس : قـاد الثـورة على حـكم تاركـان ، وأسس الجمهورية . وكان تاركان قد قتل أباه واخوته ، ولم ينج هو من الموت الا باصطناع الجنون ، فسمى (بروتس) أى العبيط .

يذهب خفية ليرى إن كانت الفتيات الصغيرات ينمن جيداً !

كاترينـــــا : هل تتحدث بالسوء عن لوكريس أيضاً ؟

لـــــورنزو : لقد استمتعَتْ بلذة الخطيئة ، وعظمة الموت ! لقد تركت نفسها تؤخذ حية ، كعصفورة في المصيدة ، ثم غيبت سكينها الصغيرة برفـــق في بطنهـــا !

مـــــاري : إذا كنت تحتقر النساء ، فلماذا تتعمد تحقيرهن أمام أُمك وأُختك ؟

لـــــورنزو : إنني أحترمكما ، أنت وهي . وفيما عـــــدا ذلك ، يثير العالم كله تقززي !

مـــــاري : هل تعرف الحلم الذي حلمته الليلة ، يا بني ؟

لـــــورنزو : أي حلم ؟

مـــــاري : إنه آلم يكن حلماً قط ، لأني لم أكن نائمـــــة . لقد كنت وحدي في هذه القاعة الكبيرة . وكان مصباحي بعيداً عني ، على هذه المنضدة المجاورة للنافذة . وكنت أحلم بالأيام التي كنت فيهـــا سعيدة ؛ أيام طفولتك يا عزيزي لورنزينو ! وكنت أنظر إلى هذا الليل المظلم ، وأقـــــول لنفسي : إنه لن يعود إلا نهاراً ، وهو الذي كان فيما مضى ،، يقضى الليالي في الدروس والتحصيل ، وكانت الدموع تملأ عيني ، وكنت أهز رأسي وأنا أشعر بتساقطها ! وسمعت فجأة

خطوات بطيئة في الردهة . واستدرت ، وكان
رجلاً مقبلاً نحوي في حلة سوداء . وتحت
ذراعه كتاب(٢١) . . . لقد كان إياك يا رنزو
وهتفت قائلة : « لكم تبكر في عودتك » ! . .
ولكن الشبح اتخذ مجلسه بجوار المصباح
دون أن يجيبني ، وفتح كتابه . وعرفت فيه
عزيزي لورنزينو ، كما كان في الماضي ! .

لورنزو : هل رأيته ؟

ماري : كما أراك .

لورنزو : ومتى ذهب ؟

ماري : عندما جذبت الجرس في عودتك هذا الصباح

لورنزو : شبحي ، أنا ! وذهب عندما رجعت ؟

ماري : لقد نهض والكآبة بادية عليه . واختفى كبخار
المصباح !

لورنزو : كاترينا ، كاترينا ! اقرئي لي حكاية بروتس !

كاترينا : ماذا ألم بك ؟ إنك ترتعد من رأسك حتى
قدميك !

لورنزو : فلتجلسي يا أماه مساء اليوم في المكان الذي
كنت تجلسين فيه الليلة . وإذا عاد شبحي ،

---

(٢١) لقد كان موسيه يعاني من ظاهرة مرضية وهو في مدينة فينتسيا ، فكان يرى شبحا شبيها به ، في حلة سوداء ، يسير بجانبه في الطريق . وفي « ليلة ديسمبر » يقول موسيه : كنت وانا تلميذ أسهر الليل في قاعتنا المنعزلة . وكان يجيء ويجلس الى منضدتي غلام شاحب الوجه ـ في حلة سوداء ـ يشبهني كاخ لي ...

فقولي له انه سيرى شيئاً يذهله عما قريب ! (طرق على الباب) .

كاترينا : إنه عمي بندو ، وبابتستافنتوري (يدخل بندو وفنتوري) .

بندو : (إلى ماري بصوت خفيض) سأبذل محاولة أخيرة .

ماري : سنترككم . وأرجو أن توفق ! (تخرج مع كاترينا)

بندو : لورنزو ؛ لماذا لا تكذب الرواية الفاضحة التي تروى عنك ؟

لورنزو : أية رواية ؟

بندو : يقولون إنك قد أغمى غليك عندما رأيت سيفاً !

لورنزو : هل تصدق ذلك ، يا عمي ؟

بندو : لقد رأيتك تتدرب على استخدام السلاح في روما ، ولكنه لا يدهشني أن تصبح أحقر من كلب ، في حرفتك التي تمارسها هنا !

لورنزو : الرواية حقيقية ؛ لقد أغمى علي . صباح الخير ، يا فنتوري . بأي سعر تبيع اليوم ؟ كيف حال التجارة ؟

فنتوري : يا سيدي ؛ إنني أقف على رأس مصنع للحرير ؛ أما أن أدعى تاجراً ، فهذه إهانة لي !

لورنزو : هذا صحيح . لقد أردت أن أقول فقط ، إنك

قد اعتدت في الكلية هذه العادة البريئـــة ، ألا وهي بيع الحرير(٢٢) .

بنـــدو : لقد افضيت الى السيد فنتورى بالمسائل التى تهم الآن عددا كبيرا من الاسر ، في فلورنسا . انه صديق فاضل للحرية . وأنتظر ، يالورنـــزو ، ان تعامله باعتباره كذلك . لقد مضى وقـــت المزاح ، وقد كنت تقول لنا احيانا ان هذه الثقة المتناهية التى يضعها فيك الدوق ليست ســـوى فخ من جانبك . أهذا حق ام كذب ؟ هل انت من انصارنا ام لست كذلك ؟ هذا ما يجب ان نعرفه . ان العائلات الكبيرة كلها ترى ان الحكم الاستبدادى الذى يمارسه آل مديتشى ليـــس حكما عادلا ولا محتملا . فبأى حق نترك هذا البيت المتعجرف يرتفع على اطلال امتيازاتنا في سكون ؟ ان معاهدة التسليم لاتراعى ، ونفوذ الألمان يبدو مطلقا ، يوما بعد يوم ، وقد حان الوقت لانهائه ، وحشد الغيورين على الوطن . هل تلبي هذا النداء ؟

لورنـــزو : ما رأيك ، ياسيد فنتورى ؟ تكلم ، تكلم ، فها

---

(٢٢) فى مسرحية السيد البورجوازى لموليير (٤ : ٥) يقول الخادم : « هـــو ، تاجر ؟ محض افتراء ! انه لم يكن تاجرا قط ! كل ما فى الأمر انه كـــان مفضـــالا للغاية ، خدوما للنهاية ، ولأنه كان يعرف كل شيء عن الأقمشة ، فقد كان يتخيرها من هنا ومن هناك ، ويحضرها الى بيته ، ثم يعطيها لأصدقائه بالثمن » ! وهنا يشير موسيه الى ازدراء رجال الصناعة الذين كانت لهم السيطرة ابان حكومة يوليو الملكية فى فرنسا (١٨٣٠) لطائفة التجار فى ذلك العهد .

هو عمى يسترد أنفاسه . انتهز هذه الفرصة اذا كنت تحب بلدك !

فنتوری : ياسيدى ، انني افكر نفس التفكير ، وليس عندى كلمة واحدة اضيفها .

لورنزو : مامن كلمة واحدة ؟ مامن كلمة واحدةصغيرة ، رنانة ؟ فأنت لا تعرف البلاغة الحقيقية ! انهم يدورون دورة كبيرة حول كلمة صغيرة ، لا هي بالقصيرة جدا ولا بالطويلة جدا ، ولكنها كروية كالنحلة . ويطوحون بالذراع الايسر الى الوراء بطريقة تطوى معاطفهم طيات ملؤها وقار وتخفف من وطأته الرشاقة . انهم يطيلون دورتها التي تتسع كوتر جهير . وتنطلق النحلة الصغيرة في طنين ممتع ، ويكاد يكون فيمقدورنا ان نلتقطها في راحة اليد كأطفال الشوارع !

بندو : انت وقح ! اجب او اخرج من هنا !

لورنزو : انني من انصاركم ،ياعمى . الا ترى من تصفيف شعرى انني جمهورى بقلبي ؟ انظر الى الطريقة التي اسوى بها لحيتى ، ولاتداخلك الريبة في ذلك لحظة واحدة ، فان حب الوطن يتنفس تحت ثيابي التي تلامس جلدى(طرق على الباب الخارجي . تمتلىء الساحة بالخدم وبالجياد) .

خادم : (داخلا) الدوق ! (يدخل الكساندر)

لورنـــزو : ياله من عطف زائد ، ياسيدى الامير ! تتنازل وتزور بنفسك خادما مسكينا ؟

الــدوق : من هذان الرجلان ؟ ان عندى ما اقوله لك .

لورنـــزو : يشرفني ان اقدم الى سموك عمي بندو التوفيتي ، الذى يأسف لان رحلة طويلة الى نابولى لم تمكنه من ان يرتمي على قدميك في فرصة اقرب من هذه ! وهذا السيد الآخـــر هو بابتستافنتورى الشهير الذى يصنع الحرير حقيقة ولكنه لايتاجر فيه ابدا ! ارجو الا يثير اضطرابك حضـــور الامير العظيم ، غير المتوقع ، الى هذا البيـــت المتواضع ، ياعمى العزيز ، وانت ايضا ياسيدى المحترم فنتورى . ان ماتطلبانه سيستجاب أو يحق لكما ان تقولا ان توسلاتي لا قيمة لها عند مولاى الجليـــل !

الــدوق : ماذا تطلب يابنـــدو ؟

بنـــدو : ياصاحب السمو ، يؤسفنى ان ابن اخى . . . .

لورنـــزو : ان لقب سفير في روما لا يحمله أحد في اللحظة الحاضرة . وقد كان عمى يطمع في الحصو ل عليه من مكارمكم ، وليس في فلورنسا رجل واحـــد يمكن ان يقارن بـــه في ولائـــــه واحترامه الواجبين لآل مديتشى !

الــدوق : حقا ، يارنزو ؟ حسنا ! ليكن ذلك ياعزيـــزى بندو . تعال الى القصر في صبيحة الغـــد .

بنـــدو : يا صاحب السمو ، انى مضطرب . كيـــف اعترف بفضل . . ؟

لورنـــزو : ولما كان السيد فنتورى لا يبيع الحرير مطلقا ، فانه يطلب امتيازا لمصانعـــه .

الـــدوق : أي امتيـــاز ؟

لورنـــزو : شعاراتك على الباب مع البراءة . اسمح له بها يامولاى ، اذا كنت تحب من يحبونك .

الـــدوق : حسنا ! هـــل انتهينا ؟ اذهبا ايهـــا السـيدان. صحبتكما السلامة !

فنتـــورى : ياصاحب السمو ! . . انك تملؤني غبطـــــــة وسرورا . . انى لا استطيع ان اعبر . . .

الـــدوق : (الى حراسه) دعوا هذين الشخصين ينصرفان .

بنـــدو : (إلى فنتورى بصوت خفيض ، وهو يخرج) هذه خدعة دنيئة !

فنتـــورى : (بنفس اللهجة) ماذا تعتزم ان تفعـــل ؟

بنـــدو : (بنفس اللهجة) ماذا تريدني ان افعل ؟ انـــى معين .

فنتـــورى : (بنفس اللهجة) شيء فظيع ! (يخرجان)

الـــدوق : لقد ملكتُ تشـــيبو .

لورنـــزو : اني مستاء لذلك .

الـــدوق : لمـــــاذا ؟

لورنـــزو : لانه سيكون ظلما للاخريات .

الـــدوق : كلا ، في الحقيقة ، انها تضايقني الآن ! قل لي اذن ، ياندیمی ، من هذه المرأة الجميلة الـــتي تنسق ازهارها على هذه النافذة ؟ اني اراهــــا دائما عند مروری ، منذ وقت طويل .

لورنـــزو : این هـــی ؟

الـــدوق : هناك امامنا ، في القصر .

لورنـــزو : اوه ! لا شيء هناك .

الـــدوق : لا شيء ؟ اتدعو هاتين الذراعين لا شيء ؟ اية فينـــوس هذه !

لورنـــزو : انها جارة لنـــا .

الـــدوق : اريد ان اكلم هذه الجارة . اوه ، حقا ! انهـــا كاترينا جينوری ، اذا لم اكن مخطئا .

لورنـــزو : كـــلا !

الـــدوق : اني اعرفها جيدا ، انها خالتك . ويحى ! لقـــد كنت نسيت هذا الوجه ، هاتها اذن على العشاء .

لورنـــزو : ذلك شيء عسير للغاية ! انها الفضيلة بعينهـــا .

الـــدوق : هراء ! هل يعسر علينا مثل ذلك ؟

لورنـــزو : سأطلب ذلك منها ، اذا شئت . ولكنني انذرك بأنها متحذلقة ! انها تتحدث باللاتينيـــة .

الـــدوق : حسنا ! إنها لاتمارس الحب باللاتينية ! تعال من هنا إذن . سنراها أحسن ، من هذا الرواق .

لورنـــزو : مرة أخرى ، ياحبيبي . إنني لا أملك وقتا لكي

أضيعه في هذه الساعة . يجب أن أذهب الى بيت ستروتسى .

السدوق : ماذا ! إلى بيت ذلك المجنون العجوز ؟

لورنزو : نعم ؛ إلى بيت ذلك الشقى العجوز ! إلى بيت ذلك الرجل البغيض ! يبدو أنه لا يستطيع أن يبرأ من تلك النزوة الغريبة ، فهو يفتح كيس نقوده دائما لكل هذه المخلوقات الدنيئة التى تدعى بالمنفيين ! ويجتمع عنده كل يوم أولئك المتضورون جوعا ، قبل أن ينتعلوا أحذيتهم ، ويأخذوا عصيهم ! وأعتزم الآن أن أمضى إلى هناك بأسرع ما أستطيع ، فآكل عشاء ذلك المجرم العجوز ، وأوكد له صداقتى القلبية من جديد ! وسوف تكون عندى الليلة حكاية طيبة أحكيها لك ، وفعلة صغيرة ، رائعة ، تستطيع أن توقظ في ساعة مبكرة من صباح الغد بعض أولئك الأوغاد !

السدوق : ما أسعدنى بك ، يانديمى ! أعترف بأنى لا أفهم كيف يستقبلونك .

لورنزو : لا بأس ! تستطيع ذلك لو عرفت كيف يسهل الكذب بوقاحة على جلف ، غليظ ! إن هذا يدل على أنك لم تحاول قط . بالمناسبة ، ألم تقل لى إنك تريد أن تعطى صورتك لا أذكر لمن ؟ إن عندى مصورا سأجيئك به . إنه محسوب .

السدوق : حسنا ، حسنا ! ولكن ؛ تذكر خالتك ! لقد

جئت أزورك من أجلها . عليّ اللعنة ! إن لك خالة تعجبنى !

لورنـــزو : وتشـــيبو ؟

الـــدوق : أقول لك حدث عني خالتك ! (يخرجان)

المشهد الخامس

بهـــو في قصر آل ســـتروتسى

فيليب ستروتسى : العمدة . لويزه (تطرز) . لورنزو « مضطجع على أريكة »

فيليـــب : أسأل الله ألا يكون شيء من ذلك ! فكم من عداوات دائمة ، لا يخمد لها أوار ، لم تبدأ بعد . على نحو آخر ! كلمة تقال . بخار أكلة يتصاعد هذيانا على شفتى فاجرِ ، غليظتين ! هذه هى حروب العائلات . وهكذا تنسحب الخناجر ! يهـــان امروء فيقتل . وكما قتل يقتل . وسرعان ما تتأصل العداوات ؛ ويهـــدهد الناس أبناءهم في توابيت جدودهم ؛ وتخرج أجيال بأسرها من باطن الأرض وسيوفها في أيديها . !

العمـــدة : ربما أكون قد أخطأت بتذكر هذه الكلمـــة الخبيثة ، وهذه الرحلة اللعينة إلى مونتوليفيه . ولكن ؛ ما الوسيلة إلى احتمال أبنـــاء سالفياتى هؤلاء ؟

فيليـــب : آه ! ياليون ، إنى أسألك : أى شيء كان يتغير

بالنسبة إلى لويزه ، وإلينا ، إذا لم تقل شيئا
لأولادى ؟ ألا تستطيع الفضيلة التى تتحلى بها
واحدة من آل ستروتسى أن تنسى كلمة قالها
سالفياتى ما ؟ هل ينبغى على ساكن قصر من
الرخام أن يعرف الكلمات البذيئة التى يكتبها
العامة على جدرانه ؟ ماذا تهم كلمة قالها جوليان
ما ؟ ستقل فرصة ابنتى في العثور على زوج
كريم ؟ سيقل ما يحمله لها أبناؤها من احترام ؟
سأذكرها أنا ، أبوها ، عندما أمنحها قبلة
المساء ؟ أين نحن ، إذن ، إذا كانت سفاهة
أول قادم تجرد من أغمادها سيوفا كسيوفنا ؟
لقد ضاع الآن كل شيء ؛ فها هو بيير قد
تملكه الغضب لكل ما قصصته علينا . لقد هجر
البيت ومضى إلى بيت عائلة باستى ؛ والله يعلم
ما يمكن أن يحدث ! ولو التقى بسالفياتى فسوف
يراق الدم ؛ دمى ، دمى ، على أرض فلورنسا !
أواه ! لماذا كنت أبا ؟ !

العمدة : لو كان أحد قد نقل إلىَّ كلاما قيل عن أختى ،
أيا كان ، لكنت أدرت له ظهرى ، وانتهى
كل شيء ! ولكن ذلك الرجل قد كان يوجه
حديثه إلىَّ ، وكان من البذاءة بحيث تصورت
أن السفيه لم يكن يعرف عمن يتحدث . ولكنه
كان يعرف جيدا !

فيليب : نعم ؛ إنهم يعرفون ، أولئك الأرذال ! إنهم
يعرفون جيدا أين يضربون ! إن جذع الشجرة

القديم إنما هو من خشب صلب للغاية ، ولـن
يقطعوه ! ولكنهم يعرفون العرق الدقيق الذى
يختلج في باطنه عندما يهاجمون أضعف أغصانه !
عزيزتى لويزه ! أواه ! ماذا يكون العقل ،
إذن ؟ إن هذه الفكرة تحعل يدى ترتعدان .
يا أيها الأله العادل ! أيكون العقل هو الشيخوخة؟

العمـــدة : إن بيير عنيف أكثر ممـا ينبغي .

فيليـــب : بيير المسكين ! كيف تصاعد الدم إلى وجهه !
وكيف كان يرتعد وهو يسمعك وأنت تذكـر
الاهانة التى ألحقت بأخته ! إننى ــ أنا ــ المجنون
لأننى تركتك تتكلم ! لقد كان بيير يـذرع
الغرفة بخطوات سريعة وهو مضطرب ، غاضب ،
فاقد الصواب ! لقد كان يذهب ويجيء كمـا
أفعل الآن . وكنت أنظر اليه في صمت . وإنه
لمشهد جميل ، أن يتصاعد الدم النقى إلى وجه
لاعيب فيه ! وكنت أقول في خاطرى : إيه ،
يا وطنى ! ها هو ذا واحد ، وهو أكبر أبنائى !
إيه ! ياليون ؛ هذه فرصتى الجميلة ، فأنا واحد
من آل ستروتسى !

العمـدة : قد لا يكون هناك خطر كبير كما تظن . . فمن
غير المحتمل أن يلتقى بسالفياتى هذا المسـاء .
وغدا ، سنرى كل شيء ونحن أكثر هدوءا .

فيليـــب : لا يكن عندك شك في هذا : إن بيير سـيقتله
أو يقتل نفسه (يفتح النافذة) أين هما الآن ؟

هذا هو الليل ، والمدينة يلفها ظلام عميق . إن هذه الشوارع المظلمة تخيفنى . . إن الدم يهـــرق في مكان ما ! إنى على يقين من ذلك !

العمـــدة : اهـــدأ !

فيليـــب : إن الطريقة التى خرج بها ولدى بيير تؤكد لى أنى لن أراه إلا منتقما أو قتيلا . لقد رأيتـــه ينتزع سيفه مقطب الجبين . وكان يعض شفتيه ، وكانت عضلات ذراعه مشدودة كالأقواس ! نعم ، نعم ؛ إنه الآن قد مات أو انتقم لنفسه ؛ ولا شك في هذا !

العمـــدة : هدىء من روعك ، واغلق هذه النافذة .

فيليـــب : حسنا ، يا فلورنسا ! فلتعرفى إذن لون دمـــى النبيل على أرض شوارعك ! إن أربعين من أبنائك يحملونه في عروقهم . وأنا ، رب هذه الأسرة الكبيرة ، سينحنى رأسى الأبيض أكثر من مرة فوق هذه النوافذ ، وأنا أعانى أحزان الأبوة ! أكثر من مرة ، سيجف في شمس ميادينك هذا الدم الذى ربما كنت ترتوين به الساعة دون مبالاة ! ولكن : لا تسخرى في هذه الليلة من ستروتسى العجوز الذى يخاف على ولده ! كونى ضنينة بأسرته ، فلسوف يجىء اليوم الذى تحصين فيه أفرادها ، وتقفين في النافذة معه ، ويخفق قلبك أيضا عندما تسمعين صليل سيوفنا !

لويـــزه : أبى ! أبى ! إنك تخيفنى

العمـــدة : (إلى لويزه بصوت خفيض) أليس هذا توماس الذى يتجول تحت هذه المصابيح ؟ لقد بدا لى أنني عرفته بقامته القصيرة . ها هو قد رحل .

فيليـــب : أيتها المدينة المسكينة ! التى ينتظر الآباء فيهـــا عودة أبنائهم هكذا ! أيها الوطن المسكين ! أيها الوطن المسكين ! كثيرون ، في هذه الساعة ، قد أخذوا معاطفهم ، وسيوفهم ، وأوغلوا في هذا الليل المـــد لهم (٢٣) . وأولئك الـــذين ينتظرونهم لا يشعرون بالقلق ، فهم يعلمون أنهم سيموتون غدا بفعل الشقاء ، إذا لم يقتلهم البرد في هذه الليلة ! ونحن ، في هذه القصور الفاخرة ، ننتظر حتى نهان لكى نجرد سيوفنا ! إن لغو رجل مخمور يثيرنا ، ويشرد في هـــذه الشوارع المظلمـــة أبناءنا وأصدقاءنا ، ولكن المصائب العامة لاتزيل الغبار عن أسلحتنا ! ويعتقد الناس أن فيليب ستروتسى رجل شريف لأنه يفعل الخير دون أن يمنع الشر . والآن : أى شيء لا أعطيه أنا الأب ليكون في هـــذه الدنيا واحد يستطيع أن يعيد إلىّ ولدى ، ويقتص بقوة القانون للاهانة التى وُجهت إلى ابنتى ! ولكن : لمـــاذا يمنعون الشر الـــذى يصيبنى ، وأنا لم أمنع ذلك الشر الذى يصيب

---

(٢٣) يقصد المنفيين الذين كانوا يعيشون فى احوال صعبة .

الآخرين ، وقد كنت أستطيع ذلك ؟ لقد عكفت على الكتب ، وحلمت لوطني بما كان يعجبني في العصور القديمة ، وكانت الجدران تصرخ مطالبة بالثأر حولي ؛ وكنت أغلق أذني في تأملاتي ! وكان ينبغي أن يجيء الطغيان ويلطمني على وجهي ليرغمني على أن أقول : فلنعمل ! وقد شابت ناصية انتقامي ! (يدخل بيير ، مع توماس وفرنسوا باتسي)

بيير : انتهى الأمر ! لقد مات سالفياتي ! (يعانق أخته)

لويزه : ياللفظاعة ! إنك مخضب بالدم !

بيير : لقد انتظرناه على ناصية شارع القواسين ، وأوقف فرنسوا جواده ، ثم طعنه توماس في ساقه ، أما أنا . . .

لويزه : اسكت ! اسكت ! إنك تجعلني أرتعد . إن عينيك تبرزان من محجريهما ، ويداك بشعتان ، وجسمك كله يهتز ، وأنت شاحب كالموت !

لورنزو : (ينهض) أنت جميل يابيير ! أنت عظيم كالانتقام !

بيير : من يقول هذا ؟ أنت هنا ، يالورنزاتشو ؟ (يدنو من أبيه) متى إذن تغلق بابك في وجه هذا التعس ؟ ألا تعلم من يكون هذا ، فضلا عن حكاية مبارزته مع موريتشه ؟

فيليب : هون عليك ؛ إنني أعرف هذا كله . وإذا كان

لورنزو هنا فلأن عندي أسبابا وجيهة لاستقباله .
سوف نتحدث عن ذلك في وقت مناسب .

بيير : (بين أسنانه) هم ؟ ! أسباب لاستقبال هذا الوغد ! وددت أن أجد ذات صباح سببا وجيها حدا كذلك لارغامه على القفز من النوافذ ! قل ماشئت . فإنني أختنق في هذه الغرفة عندما أرى جذاما كهذا يتسرغ على مقاعدنا !

فيليب : اسكت ! إنك طائش ! وأسأل الله ألا تجر علينا فعلتك التي فعلتها الليلة وخيم العواقب ! يجب أن تختبىء أولاً .

بيير : أختبىء ! ولماذا أختبىء . بحق جميع القديسين ؟

لورنزو : (إلى توماس) وهكذا طعنته في ساقه ؟ . . . حدثني قليلاً ، إذن . . . (يقوده إلى نافذة مفتوحة ، ويتبادلان الحديث بصوت خفيض)

بيير : كلا . يا أبي ، لن أختبىء . لقد كانت الاهانة علانية ، وقد وجهها إلينا في وسط ميدان ، وقتلته في وسط شارع ، ويجدر بي أن أقول هذا للمدينة كلها في صبيحة الغد ! منذ متى يختبىء الناس لأنهم قد ثأروا لكرامتهم خليق بي أن أتجول كما أشاء ، وسيفي مجرد ، ودون أن أزيل عنه قطرة واحدة من الدم !

فيليب : تعال من هنا . يجب أن أتحدث إليك . ألم تجرح

يا بني ؟ ألم يصبك شيء في كل هـذا ؟
(يخرجان) .

المشهد السادس

في قصر الـدوق

الدوق « نصف عار » . تيبالدو « يصوره » . جومو يعزف على الجيتار » .

جـومو : (مغنياً) عندما أموت فانشودتي
ستحمل قلبى إلى حبيبتي
فتبعث إلى جهنم بالصلاة
وبالكهانة ، والعظات . . .
ما كانت الدموع إلا ماء قراحاً
فقل لها أن تفرغ دنا مستباحاً
وأن تغنى جوقة وهي تشرب خمري
وسوف أجيبها من باطن قبري

الـدوق : كنت أعرف أن عندي شيئاً أريد أن أسألك عنه . قل لي أيها الهنغاري . أى شيء فعله بك ذلك الغلام الذي رأيتك تضربه بالعصا ، بطريقة تبعث على السرور ؟

جـومو : لا أستطيع أن أقول ، حقيقة ، ولم يعد هو يستطيع !

الـدوق : لماذا ؟ هل مات ؟

جـومو : إنه ولد شقى ، من بيت مجاور ، يبدأ لي — وأنا

مار – أنهم يوارونه التّراب

الـــــدوق : عندما يضرب عزيزي جومو ، فضربتـــــه قاضيـــة !

جـــــومو : هذا فضل منك . ولكنني رأيتك أكثر مـــــن مرة تقتل رجلاً بضربة واحدة !

الـــــدوق : حقاً ؟ وهل كنت ثملاً ، إذن ؟ إنني متـــــى سررت كانت أصغر ضرباتي ، جميعها ، قاتلة (إلى تيبالديو) ماذا بك ، يا عزيزي ؟ هل ترتعد يدك ؟ إنك تُحوِّلُ عينيك بفظاعة !

تيبالديـــــو : لا شيء ، يا مولاي ، شكراً لسموك !

(يدخل لـــــورنزو)

لـــــورنزو : أهناك تقدم ؟ هل أنت راض عن محسوبي ؟ (يأخذ درع الدوق من فوق الأريكة) إن لك درعاً جميلاً ، يا حبيبي ! ولكنه يسخن على جسدك حتماً .

الـــــدوق : الحقيقة أنه لو كان يضايقني ما أرتديته . ولكنه سلك من الفولاذ ، ولا يستطيع أحَدٌ مـــبرد أن يقطع منه عقدة واحدة ؛ وهو ، في الوقت نفسه ، خفيف كالحرير ، ولعله لا يوجـــــد له نظير في أوروبا كلها ، ولهذا لا أتركـــــه إلا نادراً ، بل إنني لا أتركه أبداً ، عـــــلى الأصـــح .

لـــــورنزو : إنه خفيف جداً ، ولكنه متين جداً كذلك . هل

تعتقــد أنه يقاوم الخنجـــر ؟

الـــدوق : مؤكـــد !

لـــورنزو : الواقع أنني أفكر في ذلك الآن . إنك ترتديه تحت صدارك دائماً . وقد كنت بالأمس فـي المؤخرة ، وراءك ، أثناء الصيد ، وكنت أحس به جيداً عندما أمسكت بك من خاصرتك . هذه عاده حكيمة .

الـــدوق : ليس لأنني أحترس من أحد . انها عادة كما تقول . مجرد عادة تعودها جندي .

لـــورنزو : إن ثوبك رائع ! وياالعطر هذين القفازين ! لماذا تقف نصف عار ، إذن ؟ إن هذا الدرع خليق بأن يكون له أثره في صورتك ، وقـد أخطأت عندما تركته .

الـــدوق : إن المصور هو الذي أراد ذلك . ثم إنه يحس دائماً أن يكون العنق مكشوفاً . أنظر إلـى الصورة القديمة .

لـــورنزو : أين جيتاري ؟ يجب أن أصاحب جومـو بلحن مرتفع (يخرج)

تيبالديـــو : لن أزيد اليوم ، يا صاحب السمو .

جـــومو : (عند النافذة) ماذا يفعل لورنزو ! ها هو يقف متأمـلاً أمـام البئر التى في منتصف الحديقة . يخيل إلي أنه لا ينبغى أن يبحث عن جيتاره هناك !

الـــــدوق : أعطني ثيابي . أين درعي ، إذن ؟

جـــــومو : لست أجده ! لقد بحثت عنه جيداً ! لقد سرق !

الـــــدوق : لقد كان لورنزينو ممسكاً به منذ أقل من خمس دقائق ، ولا بد أنه قد ألقى به في ركن وهو خارج ، فالكسل عادته الحميدة !

جـــــومو : انه شيء لا يصدق . فلم يعد للدرع وجود أكثر من وجوده في يدي !

الـــــدوق : انك تحلم ! هذا مستحيل !

جـــــومو : أنظر بنفسك ، يا صاحب السمو . ليست القاعة واسعة إلى هذا الحـــــد !

الـــــدوق : لقد كان رنزو ممسكاً به هناك ، على هـــــذه الأريكة (يعود لورنزو) ماذا فعلت بدرعي ؟ إننا لا نجده .

لـــــورنزو : لقد أعدته إلى مكانه الذي كان فيه . انتظر . . كلا ؛ لقد وضعته على هذا الفوتي ؛ كلا ، على الفراش . . إنني لا أعرف شيئاً عنـــه ، ولكنني وجدت جيتارى (يغني وهو يعزف) صباح الخير ، يا سيدتي الرئيسة . . .

جـــــومو : في بئر الحديقة ، كما يبدو ؟ لقد كنت تنحني فوقها الآن باهتمام شديد !

لـــــورنزو : إن البصق في بئر لصنع دوائر هو متعتى الكبرى. وليس لي بعد الشراب ، اوالنوم ، شاغل آخر (يستمر في العزف والغناء :)

صباح الخير ، يا رئيسة قلبى . . .

الـــــدوق : إن ضياع هذا الدرع شيء لم يسمع به مـــــن
قبل ! أعتقد أننى لم أخلعه مرتين في حياتي ،
إذا لم يكن ذلك لكى أنام .

لــــورنزو : خل عنك إذن ، خل عنك إذن ! سيجـــــده
خدمك .

الـــــدوق : عليك اللعنة ! أنت الذي ضيعه !

لــــورنزو : لوأنني كنت دوق فلورنسا لشعرت بالقلـــق
على شيء آخر سوى دروعي . بالمناسبة ؛ لقد
تحدثت عنك مع الخالة العزيزة ، وكل شيء
على خير ما يكون . تعال إذن ، واجلس هنـــا
قليلاً حتى أحدثك في أذنك .

جــــومو : (إلى الدوق ، بصوت خفيض) إنـــه شيء
غريب على الأقل . لقد سرق الدرع !

الـــــدوق : سنهتدي إليه (يجلس بجانب لورنزو)

جــــومو : (جانبـــاً) ليس بـــالشيء الطبيعي أن يترك
الجماعة ليبصق في البئر ! اني أريد أن أهتدى
إلى ذلك الدرع لكى أنتزع من رأسي فكرة
قديمة تدور فيه من آن لآخر . حقاً ! يا له من
لورنزاتشو ! الدرع فوق فوتي ! !

المشهد السابع

أمـــام القصـــر

يدخل سالفياتي مخضباً بالـــدم ، وهو يعرج ، ورجـــلان يسندانـــه

سالفيـــاتي : (يصرخ) ألكساندر دى مديتشي ! افتـــح نافذتك وانظر قليلاً كيف يعاملون خدمك !

الـــدوق : (بالنافذة) من هناك ، في الطين ؟ من يتمرغ عند جدران قصري ، ويصرخ هذا الصراخ الشنيـــع ؟

سالفيـــاتي : لقد ذبحني آل ستروتسي ، وسأموت عنـــد بابك !

الـــدوق : من يكونون آل ستروتسي ، ولماذا ؟

سالفيـــاتي : لأنني قلت إن شقيقتهم تحبك ، يا سيـــدي الدوق الشريف ! لقد وجد آل ستروتسي أن شقيقتهم قد أهينت عندما قلت انك تعجبها ، فاغتالني ثلاثة منهم ! ولقد تعرفت على بيـــير وتوماس ، ولا أعرف الثالث !

الـــدوق : دع أحداً يساعدك للصعود إلى هنا ؛ وقسمـــاً بهرقل ، سيقضى القتلة الليلـــة في السجن ، ويشنقون في صباح الغـــد ! (سالفيـــاتي يدخل القصر) .

الفصل الثالث

المشهد الأول

غرفة نوم لورنزو

لورنزو . سكورونكونكولو(١) « يلعبان بالسيف »

سكورونكونكولو : سيدي ؛ هل أخذت كفايتك من اللعبة ؟

لورنزو : كلا : اصرخ أشد من ذلك . هيا ؛ ادفع هذه الضربة ! مت ! خذ ، أيها التعس !

سكورونكونكولو : أنقذوني من السفاح ! إنه يقتلنى ! إنه يقطع عنقى !

لورنزو : مت ! مت ! مت ! . . اضرب بالقدم .

سكورونكونكولو : إلي ، يا حاملي أقواسي ! النجدة ! إنه يقتلنى ! لورنزو الجهنمى !

لورنزو : مت ، أيها الحقير ! سأسفك دمك ، أيها الخنزير ، سأسفك دمك ! في القلب ، في القلب . لقد تمزقت أحشاؤه . . اصرخ ، اضرب أقتل ! افتح بطنه ! فلنقطعه إرباً ، ونأكل ، نأكل منه حتى المرفق ! إنبش في حلقه ! إقلبه ، إقلب ! فلننهض ! فلننهض ونأكل ! (يسقط منهكاً) .

---

(١) اسم الشهرة لقاتل بالأجر كان يدعى ميشيل دى توفالاتشينو .

سكورونكونكولو : (يجفف جبينه) لقد ابتكرت لعبة خشنة ، يا سيدي . وإنك لتمضى فيها كنمر حقيقى ، وألف مليون من الرعود القواصف ! إنــك تزأر مثل كهف تملؤه الفهود والأسود !

لـــورنزو : يا يوم الدم ، يا يوم عرسي(٢) ! أيتهـا الشمس ! الشمس ! مضى زمان طويل وأنت جافة كالرصاص . إنك تموتين عطشاً ، أيتها الشمس ! لسوف يسكرك دمه ! إيه ، يا ثأري ! إن أظافرك تنمو منذ وقت طويل ! يا أسنان أوجولين(٣) ! لا بد لك من الجمجمة !

سكورونكونكولو : هل تهذي ؟ هل أنت محموم ؟

لـــورنزو : الجبان . الجبان . الفاجر . الضئيل . . الآباء والبنات . . الوداع ، الوداع الذي لاينتهى(٤) إن شواطىء الأرنو تملؤها مشاهد الوداع ! إن الصبية يكتبونها(٥) على الجدران . . اضحك ايها العجوز (٦)، اضحك في طاقيتك البيضاء ! ألا ترى أن أظافري تنمو ؟ . . آه ! الجمجمة ! الجمجمة ! (يغشى عليه)

---

(٢) انظر آخر ما قاله لونزو للمصور فى المشهد الثانى من الفصل الثانى •

(٣) طاغية ايطالى عاش فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر • وقد صوره دانتى فى النشيد الثالث والثلاثين من « الجحيم » وهو ينهش رأس عدوه رود جيرى ، تعبيرا عن الحقد المميت !

(٤) انه يتخيل المنفيين فى هذيانه •

(٥) يكتبون ان لورنزو جبان وفاجر •• الى آخر هذه الصفات •

(٦) اوجولين السابق ذكره • وقد كانت الطاقية البيضاء شعار حزب الجبليين الذى كان ينتمى اليه •

سكورونكونكولو : سيدى ؛ إن لك عدوا (يصب ماء على وجهه)
سيدى ؛ ليس هذا بالشيء الذى يثيرك . قد
تكون لى مشاعر سامية أو لا تكون ، ولكننى
لن أنسى أبدا أنك حصلت لى على عفو معين ،
وبغيره كنت أصبح في مكان بعيد (٧) !
سيدى ؛ إن كان لك عدو فاذكره ، وسوف
أخلصك منه دون أن يظهر على نحو ما !

لورنزو : لاشيء هناك . أقول لك إن متعتى الوحيدة هى
أن أخيف جيرانى !

سكورونكونكولو : إنهم يتعودون ضوضاءنا حتما ، ونحن ندب في
هذه الغرفة ، ونقلب كل شيء فيها رأسا على
عقب ! وأعتقد أنك تستطيع أن تذبح ثلاثين
رجلا في هذا الرواق ، وأن تدحرجهم على
أرضيتك ، دون أن يلحظ أحدٌ أن شيئا جديدا
يحدث فيه ! وإذا كنت تريد أن تخيف الجيران
فأنت مخطىء باتباع هذه الوسيلة . صحيح أنهم
قد خافوا أول مرة ، ولكنهم يقنعون الآن
بغيظهم ، ولا يكلفون أنفسهم عناء ترك
مقاعدهم أو فتح نوافذهم !

لورنزو : هل تعتقد ؟

سكورونكونكولو : إن لك عدوا ، ياسيدى ! ألم أرك تضرب بقدمك
الأرض ، وتلعن يوم مولدك ؟ أليس لى أذنان ؟

---

(٧) يذكر فاركى ان لورنزو كان قد طلب العفو عن سكورونكونكولو ، بعد الحكم عليه بالاعدام في جريمة قتل ، ونجح فى مسعاه .

ألم أسمع كلمة صغيرة ، جلية ، تـتردد في ثورتك بوضوح : الانتقام ؟ صدقني ياسيدى . لقد هزل جسمك ، ولم تعد تمزح كما كنت من قبل . . صدقني ، ما من شيء يسـوء هضمه كالكراهية الشديدة ! ألا يوجد دائما ، بين كل رجلين تحت الشمس ، واحد يزعج ظله الآخر ؟ إن طبيبك في جرابى فدعنى أبرئك (يستل سيفه)

لورنـزو : هل أبرأك هذا الطبيب يوما ؟

سكورونكونكولو : أربع مرات أو خمسا ! كان في بادوا ، ذات يوم ، آنسـة صغيرة ، وكانت تقول لى . . .

لورنـزو : أرنى هذا السيف . آه ! سلاح طيب ، يافتى !

سكورونكونكولو : جـربه ، وسترى !

لورنـزو : لقد خمنت علىّ . إن لى عدوا . ولكننى لـن أستخدم له سيفا سبق استخدامه للآخرين . إن ذلك السيف الذى سيقتله لن يجد هنا إلا تدشينا ، وسيحتفظ باسمه !

سكورونكونكولو : ما اسم الرجل ؟

لورنـزو : ماذا يهم ؟ هل أنت مخلص لى ؟

سكورونكونكولو : إننى من أجلك . . .

لورنـزو : إننى أقولها لك فيما بيننا . سأضرب الضربة في هذه الغرفة . ولهذا السبب عينه أعود جـيرانى الأعزاء ، كل يوم ، على هذا الضجيج حتّى لا تأخذهم الدهشة آنذاك . اسمع جيـدا ،

ولا تخطيء . إذا أنا قتلته من أول طعنة ، فلا تفكر في لمسه . ولكنني لست أكبر من برغوث ، وهو سفاك للدماء ! وإن دافع عن نفسه فإنني أعتمد عليك في الامساك بيديه ، ولا أكثر من ذلك ، أتسمع ؟ إنه يخصني أنا . سأخطرك في الوقت المناسب .

سكورونكونكولو : فليكن !

المشهد الثاني

في قصر ستروتسي

يدخل فيليب وبيير

بيير : عندما أفكر في ذلك أود أن أقطع يدى اليمنى ! ينجو مني ذلك الوغد ! ضربة محكمة كهذه ، وينجو مني ! من لا أقدم إليه خدمة عندما أقول للناس : هناك سالفياتي واحد ، على الأقل ، ملقى في الشوارع ؟ ولكن الهزأة قد فعل ماتفعله العناكب . . لقد تهاوى على الأرض ، وهو يثني أطرافه المعقوفة ، واصطنع الموت مخافة أن يقتل !

فيليب : فيم يهمك أن يعيش ؟ لقد كان انتقامك منه كاملا . ويقال إنه قد جرح بطريقة تجعله يذكره مدى حياته !

بيير : نعم ؛ أعرف هذا جيدا . وهذه طريقتك في النظر إلى الأشياء ! اسمع ، يا أبي ؛ إنك رجل

وطني حقا ، ولكنك رب عائلة أكثر من ذلك ، فلا ترج بنفسك في كل هذا .

فيليب : ماذا يدور في رأسك أيضا ؟ ألا تستطيع أن تحيا ربع ساعة دون أن تفكر في الأذى ؟

بيير : نعم ؛ إنني لا أستطيع أن أحيا ربع ساعة هادئا في هذا الجو المسموم ! إن السماء ثقيلة فوق رأسي كأنها قبة سجن ، ويبدو لى أنني أستنشق في الشوارع سخريات قاسية ، وفواق السكارى ! وداعا . هناك مايشغلني الآن .

فيليب : إلى أين تذهب ؟

بيير : لماذا تريد أن تعرف ؟ سأذهب إلى بيت عائلة باتسى .

فيليب : انتظرني ، إذن . سأذهب الى هناك أيضا .

بيير : ليس الآن ، يا أبى ، فالوقت لايناسبك .

فيليب : حدثني بصراحة !

بيير : هذا سر بيننا . إننا خمسون رجلا هناك — آل روتشيلاى وآخرون — قد ضاقوا ذرعا بابن الحرام !

فيليب : هكذا ؟

بيير : هكذا تحدث الانهيارات أحيانا بفعل حصاة في حجم عقلة الأصبع !

فيليب : ولكن ؛ ألم تتفقوا على شيء ؟ ما من خطة ؟

ما من احتياطات قد اتخذت ؟ أيها الأطفال ،
أيها الأطفال ! إنه لعب بالحياة وبالموت ! إنهـــا
أسئلة قد هزت العالم ! وأفكار قد شيبت آلاف
الرؤوس ، ودحرجتها كحبات الرمل عنـــد
قدمي الجلاد ! مشروعات تنظر إليها الأقـــدار
في صمت وفزع ، وتترك للانسان أن يتمهـــا
دون أن تجرؤ على لمسها ! إنكم تتحدثون عن
هذا كله وأنتم تلعبون بالسلاح ، وتشربون
كأسا من نبيذ أسبانيا ، كأنما هي مسألة جـــواد
أو كرنفال ! هل تعرفون ماذا تكون جمهورية
ما ؟ وماذا يكون الصبي في قلب مشغله ،والعامل
في حقله ، والمواطن في موقعه ، وحياة مملكـــة
بأسرها ؟ إنها سعادة البشر ، ورب العدالة !
أيها الأطفال ، أيها الأطفال ! هل تعرفو ّ العد
على أصابعكم ؟

بيـــير : إن ضربة مبضع ، سديدةّ ، تشفي من جميـــع
الآلام .

فيليـــب : تشفي ! تشفي ! هل تعرف أن أصغر ضربة
بالمبضع ينبغي أن يسددها الطبيب ؟ هل تعرف
أنك تحتاج إلى خبرة طويلة كالحياة ، وعلم
واسع كالدنيا ، لكي تسحب من ذراع مريض
قطرة واحدة من الدم ؟ أما أُهنتُ أنا أيضا ،
في الليلـــة المـــاضية ، عندما وضعتَ ســـيفك
المجرد تحت معطفك ؟ ألست أبا عزيزتي لويزه ،

كما أنك أخوها ؟ ألم يكن ذلك انتقاما عادلا ؟
ومع ذلك : هل تعرف ماكلفني إياه ؟ آه !
الآباء يعرفون ذلك ، وليس الأبناء ! ستتحدث
عن ذلك يوم تصير أبا . !

بيير : ينبغي أن تعرف كيف تكره ، أنت يامن يعرف
كيف يحب !

فيليب : وأي شيء عمله لله آل باتسي هؤلاء ؟ إنهم
يدعون أصدقاء هم للمجيء إلى دارهم للتآمر
كما يدعون للعب النرد . وعندما يدخل
أصدقاؤهم ساحتهم ينزلقون في دم جدودهم(٨)
فأي عطش تعانيه سيوفهم ، إذن ؟ ماذاتريدون؟
ماذا تريدون ؟

بيير : ولماذا تناقض نفسك ؟ ألم أسمعك مائة مرة
تقول مانقوله نحن ؟ ألا نعرف مايشغلك عندما
يرى خدمك حال استيقاظهم نوافذك مضاءة
بمصابيح الأمس ؟ إن من يقضون الليالى بلا نوم
لا يموتون صامتين !

فيليب : إلى أى شيء تقصدون ؟ أجبني .

بيير : إن آل مديتشي طاعون ! ومن لدغه ثعبان لا
شأن له بطبيب ، فما عليه إلا أن يكوى جرحه !

فيليب : وعندما تسقطون هذا الحاكم الحالى ، فمن
تريدون أن تضعوا في مكانه ؟

---

(٨) جدود آل باتسي ، وقد اعدموا ، أو قتلوا غيلة ، فى اعقاب مؤامرتهم التى انتهت بمقتل جوليان دى مديتشى فى عام ١٤٧٨ .

بيــير : إننا واثقون دائما بأننا لن نجد أســوأ منه !

فيليــب : إني أقولها لكم . عدوا على أصابعكم .

بيــير : إن رؤس الهيدرا يسهل عدها .

فيليــب : وهل تريدون أن تعملوا ؟ هل تقرر ذلك ؟

بيــير : إننا نريد ألا تقوم قائمة لسفاحي فلورنسا ؟

فيليــب : أهو شيء لامحيد عنه ؟ هل تريدون أن تعملوا ؟

بيــير : وداعا ، يا أبي . دعني أذهب وحدى .

فيليــب : منذ متى يظل النسر العجوز في العش عندما تذهب أفراخه لتنقض على الفريسة ؟ يا أولادى ! ياشبابي الشجاع ! الجميل ! يامن يملكون القوة التي فقدتها ، وهم اليوم ماكانه فيليب الصغير بالأمس ! دعوه يكن قد هـرم من أجلكم ! خذني معك ، يابني ! إني أراكم على وشك العمل ، ولن أطيل في حديثي إليكم . لن أقول إلا كلمات قليلة . وربما كنت أحمل شيئا طيبا في هذا الرأس الذى علاه المشيب . . كلمتان وينتهي حديثي . إنني لا أهذى أيضا ، ولن أكون عبئا عليكم ؛ فلا ترحل بدوني ، يابني . انتظر حتى آخـذ معطفي .

بيــير : تعال ، يا أبي الجليل . إننا سنُقَبِّلُ طـرف ردائك . إنك حَبْرُنا ، فتعال لكي ترى أحلام حياتك وهي تمشي تحت الشمس ! لقد نضجت

الحرية ، فتعال يابستاني فلورنسا العجوز ، لكي ترى ذلك الغرس الذى تحبه خارجا من الأرض !
(يخــرجان)

المشهد الثالث

طــريق

ضابط الماني وجنــود ، توماس ستروتسى في وســطهم

الضــابط : إذا لم نجده في بيته ، وجدناه عند عائلة باتسى .

تومــاس : سر في طريقك ، ولا تتعب ذهنك ! ستعرف ماذا يكلفك ذلك !

الضــابط : لا أريد تهديدا ! إنني انفذ اوامر الــدوق ، ولا اخشى احــدا !

تومــاس : غبي ! من يعتقل واحدا من آل ستروتسى بناء على امر واحد من آل مديتشي ! (يتجمــع الناس حولهما)

رجل من العامة : لماذا تعتقل هذا السيد ؟ نحن نعرفه جيدا . انــه ابن فيليب .

آخــر : اطلق سراحه ونحن نضمنــه .

الأول : نعم ، نعم ، إننا نضمن آل ستروتسى . دعه يمض أو احرص على اذنيك

الضــابط : ابتعد ، ايها الوغد ! افسحوا طريقا لعدالــة

الدوق ، اذا لم تكونوا تحبون ضربات الحراب !
(يصل بيير وفيليب)

بيـــير : ماذا حدث ؟ ماهذه الضوضاء ؟ ماذا تفعـل عندك ، ياتوماس ؟

الرجــل : امنعه ، يافيليب ، امنعه من اقتياد ولـدك الى السجن !

فيليــب : الى السجن ؟ وبأمر من ؟

بيـــير : الى السجن ؟ هل تعرف من الذى تتعرض له ؟

الضـــابط : اقبضوا على هذا الرجل ! (الجنود يعتقلون بيير)

بيـــير : دعوني ، ايها الاشقياء ، او اشق بطونكـــم كالخنازير !

فيليـــب : بأمر من تعمل ، ياسيدى ؟

الضـــابط : (يظهر امر الدوق) هذا هو التفويض الـذى احمله . ان معى امرا باعتقال بيير وتومـاس ستروتسي (الجنود يدفعون الشعب الذى يقذفهم بالحجارة)

بيـــير : بأى شيء يتهموننا ؟ ماذا فعلنا ؟ ساعدوني ، ايها الاصدقاء . فلنضرب هذا الوغد (يجـرد سيفه . تصل فرقة اخرى من الجنود) .

الضـــابط : تعالوا الى هنا . ساعدوني (بيير قد جرد مـن من سلاحه) تقدموا ! ومن يقترب اكثر من اللازم ، سددوا اليه طعنة رمح في بطنـــه !

سيعلمهم هذا كيف يتدخلون في شئونهم
فحسب !

بيير : انكم لا تملكون حق اعتقالى دون امر من الثمانية.
انني اتوجس من اوامر الكساندر ! اين امر
الثمانية ؟

الضابط : إننا نقتاد كما اليهم .

بيير : ان كان اليهم فليس عندى ما أقوله . ما التهمة
الموجهة الىّ ؟

رجل من الشعب : كيف يافيليب تترك اولادك يقتاون الى محكمة
الثمانية ؟

بيير : اجب ! ما التهمة الموجهة الىّ ؟

الضابط : ليس هذا من شأني (يخرج الجنود مع بيير وتوماس

بيير : (وهو يخرج) لا يهمك أى شيء ، يا ابي .
سيعيدني الثمانية لأتعشى في البيت ، وسيدفع
النغل مصروفات القضية !

فيليب : (وحده ، وهو يجلس على دكة) ان لى أولاداً
كثيرين ، ولكن ليس الى وقت طويل ، اذا
سارت الامور بهذه السرعة ! اين نحن اذن ،
اذا كان انتقام - هو في عدالته كصفاء هذه
السماء - يعاقب كأنه جريمة !. ماذا ! اكبر
ابنين لأسرة قديمة قدم المدينة ، يسجنان كقطاع
الطريق ! وتنال افظع اهانة جزاءها ، ويضرب
سالفياتي ، فتتحرك الرماح ! اخرج من الغمد

اذن ، ياحسامى ! واذا اصبح الجهاز التنفيذى
القضائي ، المقدس ، درعا للفاسقين ، والسكارى
فليقم كل مـن البلطـة والخنجر ـ سـلاح
السفاحين ـ بحماية الرجل الصالح ! يا ايهـا
المسيح ! يصفع شرف آل ستروتسى في مكان
عام ، وتنعقد محكمة لتحمى سفاهات شخص
بذىء ! يلقى سالفياتي مابقفازه الملطخ بالخمر
والدم في وجه انبل اسرة في فلورنسا ، وعندما
ينال جزاءه يستل للدفاع عن نفسه سيف الجلاد !
يانو الشمس ! لقد كنت اهاجم الافـكار
الثورية قبل اقل من ربع الساعة ، وهذا هـو
الخبز الذى يعطوننى اياه لآكله وكلمات السلام
على شفتيّ ! هلما ! تحركا ياذراعيّ ! واستقم
لتعمل ايها الجسد الهرم الذى احنته الشيخوخـة
والدراسة ! (يدخل لورنزو)

لورنـزو : هل تطلب الصدقة يافيليب ، وانت جالس على
قارعة هذا الطريق ؟

فيليـب : انى اطلب الصدقة من عدالة البشر ! انى شحاذ
جائع الى العدل ، وشرفي مهلهل !

لورنـزو : أى تغيير سيحدث في العالم إذن ، واى ثـوب
جديد سيكسو الطبيعة إذا علا قناع الغضـب ،
من فيليب الشيخ ، ووجهه الجليل ، الهادىء ؟
ايه ، يا ابي ! ماهذه الشكايات ؟ ومن أجل من
تنثر على الارض اثمن اللآلىء التى وجدت تحت

الشمس : دموع رجل لا يخشى من شيء ،
ولا يعيبه شيء ؟

فيليب : يجب ان نتخلص من عائلة مديتشي ، يالورنزو !
انك مديتشي ، انت نفسك ، ولكن باسمك
فقط . واذا كنت قد عرفتك جيدا ، واذا
كانت الملهاة الشنيعة التي تمثلها قد وجدت
متفرجا محايدا ، وامينا ، فليخرج الرجل من
اهاب المهرج ! إذا كنتَ قد اتصفتَ بشي
من الاخلاص يوما ، فلتكن كذلك اليوم !
لقد سجن بيير وتوماس !

لورنزو : نعم ، نعم ، اعرف ذلك .

فيليب : اهذا جوابك ؟ اهذا وجهك ، يارجلا بلا سيف ؟

لورنزو : ماذا تريد ؟ قل ماتريده ، وسأجيبك .

فيليب : العمل ! كيف ؟ لا اعرف ! اية وسيلة تستخدم ،
وأية رافعة توضع تحت قلعة الموت هذه لاقتلاعها
والالقاء بها في النهر ؟ ما العمل ، وما الحل ،
وأي رجال يجب البحث عنهم ؟ . . ذلك ما لا
أعرفه ايضا . ولكن : الى العمل ! العمل !
العمل ! لقد حان الوقت يالورنزو ! الستَ
رجلا مقذوفاً في حقه ، يعاملونه مثل كلب ،
ومخلوق حقير ، خائر العزيمة ؟ فاذا كنتُ قد
ابقيت بابي ، ويدي ، وقلبي مفتوحة لك رغم
كل شيء ، فتكلم لأرى ان كنتُ قد اخطأت !
الم تحدثني عن رجل يدعى لورنزو ايضا ،

ويستخفى وراء لورنزو هذا الواقف امـــامى؟
ألا يحب ذلك الرجل وطنه ، ويخلص لأصدقائه؟
لقد كنت تقول هذا ، وقد صدقته . تكلـــم ،
تكلم ، لقد حان الوقت !

لورنــزو : فلتسقط الشمس على رأسى . اذا لم اكن كما
تريـــد !

فيليـــب : ياصديقى ، ان الهزوء برجل عجوز ، يائس ،
يجلب الشقاء ، فهيا الى العمل اذا كنت صادقاً
فيما تقول ! ان عندى وعـــودا منك ، وقـــد
استقبلتك بناء على هذه الوعود . ان الدور الذى
تلعبه كدور الوحل والجذام . وما كان الابن
الضال ليلعبه في يوم من ايام الجنون ، وقــــد
استقبلتك رغم هذا ! وعندما كانت الاحجار
تصرخ عند مرورك ، وكانت كل خطوة من
خطواتك تفجر ينابيع من الدم البشرى، ناديتك
باسم الصديق . المقدس ، واصطنعت الصمم
لكي اصدقك ، والعمى لكى احبك ! لقـــــد
تركتُ ظلي سمعتك الرديئة ينسحب على شرفي ،
وارتاب فيَّ ابنائي عندما وجدوا على يدى ذلك
الاثر الشنيع الناتج عن لمس يدك ! فكن شريفا
لأنني كنت هكذا ، واعمل فإنك شاب وأنـــا
رجل هرم !

لورنــزو : إن بيير وتوماس مسجونان ، فهل هـــذا كل
شيء ؟

فيليب : بحق السماء والأرض ! نعم ؛ هذا كل شيء !
ولا شيء ، تقريبا ، أن يجلس على دكة
اللصوص فلذتان من كبدى ! رأسان قد قبلتهما
مرات بعدد شعر رأسى الأبيض ، وسوف
أجدهما في صباح الغد مسمرين على باب القلعة !
نعم ؛ هذا كل شيء ، ولا أكثر ، في الحقيقة !

لورنزو : لاتحدثنى بهذه اللهجة . إننى فريسة حزن ،
أحلك ليلة بجانبه ضوء باهر ! (يجلس
بجانب فيليب)

فيليب : أن أترك ولدىّ يموتان . فهذا هو المستحيل ،
هل تفهم ولو قطعوا ذراعىّ ، وساقىّ ، لتجمعت
كالثعبان هذه الأشلاء المبتورة من فيليب ،
وقامت للأخذ بالثأر ! إننى أعرف هذا كله
جيدا ! الثمانية ! محكمة رجال من الرخام !
غابة أشباح تمر فوقها ، من آن لآخر ، ريح
الشك الموحشة التى تحركها لحظة ثم تتضاءل حتى
تصير كلمة بغير استئناف ! كلمة ، كلمة ،
أيها الضمير ! وأولئك الرجال يأكلون ، وينامون
ولهم زوجات وبنات ! آه ! فليقتلوا ، وليذبحوا
ولكن : ليس أبنائى ، ليس أبنائى !

لورنزو : إن بيير رجل ، وسوف يتكلم ، ويطلق سراحه .

فيليب : ياعزيزى بيير ، يا ولدى البكر !

لورنزو : عد إلى بيتك ، والتزم الهدوء . أو افعل خيرا

من هذا ، واترك فلورنسا . إنني أضمن لك كل شيء إذا تركت فلورنسا .

فيليب : أنا ، منفى ! أنا ، على سرير فندق ، في ساعتى الأخيرة ! يا إلهى ! وهذا كله من أجل كلمة قالها سالفياتى !

لورنزو : اعلم أن سالفياتى قد كان يريد أن يغوى ابنتك ولكن ليس لحسابه وحده . إن لألكساندر مكانا في فراش هذا الرجل . إنه يمارس فيه حق الولاية على الفجور !

فيليب : ونحن لانعمل ! لورنزو ، لورنزو ! إنك رجل قوى ، فحدثنى . إننى ضعيف ، وقلبي مشغول بأكثر مما يحتمل ! إننى منهمك ، كما ترى ! لقد فكرت هنا كثيرا ، ودرت حول نفسي كثيرا كحصان المعصرة ، ولم أعد أصلح للقتال ! قل لى ماتريده ، وسأفعله !

لورنزو : عد إلى بيتك ، ياسيدى العزيز .

فيليب : إنه لمن المؤكد أننى سأذهب إلى بيت عائلة باتسى . إن هناك خمسين شابا قد عقدوا عزمهم جميعا . لقد أقسموا على العمل ، وسوف أتحدث إليهم بشهامة ، كواحد من آل ستروتسى ، وأب ، وسيفهموننى . وسأدعو الليلة للعشاء أعضاء أسرتى الأربعين ، وأذكر لهم ما يحدث لى . سنرى ! سنرى ! إن شيئا لم يعمل بعد ، وليأخذ آل مديتشى حذرهم !

وداعا ؛ سأذهب إلى بيت عائلة باتسى ، وقد كنت في طريقى إلى هناك مع بيير عند اعتقاله .

لورنزو : توجد شياطين كثيرة ، يافيليب . وليس هذا الشيطان الذى يغويك في هذه اللحظة بالذى نخشاه أقل مما نخشاها جميعا !

فيليب : ماذا تعنى ؟

لورنزو : احترس منه ، إنه أجمل من غبريال ! الحرية ، الوطن ، سعادة البشر ؛ هذه الكلمات كلها ترن عند اقترابه كأوتار قيثارة . إنه رنين القشور الفضية في أجنحته المشتعلة ! إن دموع عينيه تخصب الأرض ، وفي يده يمسك بأكليل الشهداء ! إن كلماته تنقى الهواء حول شفتيه ، وطيرانه سريع فلا يستطيع أحد أن يقول إلى أين يمضى . احترس منه ! لقد رأيته يعبر السماء مرة واحدة في حياتى . . وكنت عاكفا على كتبى ، وجعلَتْ لمسة يده شعرى يرتجف كريشة خفيفة . أما أن أكون قد أصغيت إليه أم لا ، فدعنا لانتكلم عن ذلك !

فيليب : إننى أجد صعوبة في فهمك ، ولا أدري لماذا أخاف أن أفهمك .

لورنزو : أليس في رأسك غير هذا : أن تنقذ ولديك ؟ سل ضميرك . أما من فكرة أخرى أكبر من هذا ، وأكثر إزعاجاً ، تشدك إليها كعربة تسبب الدوار ، في وسط هذا الشباب ؟

فيليب : آه ! بلى ؛ فليكن الظلم الذي أنزل بأسرتي إشارة الحرية ! إنني سأذهب من أجل نفسي ، ومن أجل الجميع .

لورنزو : إحترس ، يا فيليب ، لقد فكرت في سعادة البشرية .

فيليب : ما معنى هذا ؟ هل أنت ريح نتنة في باطنك ، كما أنت في ظاهرك ؟ أهذا ما تحتويه ، يا من حدثني عن شراب ثمين كان قنينته ؟

لورنزو : إنني ثمين عندك حقاً ، لأنني سأقتل ألكساندر !

فيليب : أنت ؟

لورنزو : أنا ؛ غداً أو بعد غد ! عد إلى بيتك ، وحاول أن تنقذ ولديك . وإذا لم تستطع ذلك فاتركهما لعقاب خفيف . إنني أعلم يقيناً أنه ما من اخطار أخرى عليهما . وأكرر لك انه ، في مدى أيام قليلة من الآن ، لن يكون في فلورنسا وجود لألسكاندر دى مديتشي ، أكثر من وجود الشمس في منتصف الليل !

فيليب : إذا كان هذا حقاً ، فلماذا أكون مخطئاً عندما أفكر في الحرية ؟ ألن تجيء الحرية بعد أن تضرب ضربتك ، إذا ضربتها ؟

لورنزو : فيليب ، فيليب ، احترس ! إنك تحمل ستين عاماً من الفضيلة فوق رأسك الأبيض ؛ وهي أغلى كثيراً من أن تقامر بها .

فيليب : إذا كنت تخفي تحت هذا الكلام الغامض شيئاً أستطيع أن أفهمه فتكلم . إنك تثيرني بشكل غريب !

لورنزو : لقد كنت ، يا فيليب ، شريفاً كما تراني . لقد آمنت بالفضيلة ، وبالعظمة البشرية ، كما يؤمن شهيد بربه . لقد سكبت على إيطاليا المسكينة دموعاً أغزر مما سكبته نيوبي على بناتها(٩) ! .

فيليب : ثم ماذا ، يا لورنزو ؟

لورنزو : لقد كان شبابي نقياً كالذهب . وقد تجمعت الصاعقة في صدري خلال عشرين عاماً من الصمت ، ولا بد أن أكون شرارة من البرق حقاً ، لأنني لا أدري لماذا نهضت فجأة في ذات ليلة ، وأنا جالس بين أطلال الكوليزيوم(١٠) القديم ، ورفعت نحو السماء ذراعي اللتين بللهما الندى ، وأقسمت على أن يموت بيدي واحد من طغاة وطني . لقد كنت تلميذاً هادئاً ، ولم أكن أشغل نفسي حينذاك بغير الفنون ، والعلوم . ويستحيل علي أن أقول كيف صدر مني

(٩) في الاساطير اليونانية ان ابوللو وديانا قد قتلا ابناء نيوبي السبعة ، وبناتها السبع لأنها سخرت من امها لاتونيا التي لم يكن لها سوى طفلين .

(١٠) ملعب الكوليزيوم في روما . شرع فسبازيان في بنائه ، واتمه تيطس في عام ٨٠ ب.م وكان يتسع لثمانين الف متفرج .

هذا القسم الغريب . لعل هذا ما يشعر بـه المرء عندما يصير عاشقاً !

فيليب : لقد كنت أثق بك دائماً ، ومع ذلك أعتقد أنني أحلم !

لورنزو : وأنا أيضاً . لقد كنت سعيداً حينذاك . لقد كنت ساكن القلب واليدين . وكان اسمي يؤهلني للعرش(١١) ، ولم يكن ينبغي علي إلا أن أترك الشمس تشرق ، وتغرب ، لكي أرى جميع الآمال البشرية مزدهرة حولي . ولم يكن الناس قد فعلوا بي خيراً ولا شراً . ولكنني كنت رجلاً فاضلاً ، ولشقائي الأبدي أردت أن أكون رجلاً عظيماً ! ويجب أن أعترف بأنه لو كانت الأقدار قد دفعتني إلى أن أقرر قتل طاغية — أياً كان — فالكبرياء قد دفعتني إلى ذلك أيضاً ! ماذا أقول لك أكثر من هذا ؟ لقد كان قياصرة الدنيا جميعاً يرغمونني على التفكير في بروتس (١٢) ! .

فيليب : إن كبرياء الفضيلة كبرياء نبيلة . لماذا تنكرها على نفسك ؟

---

(١١) لقد كان لورنزو دى مديتشي ، بحكم مولده الشرعي ، احق بالولاية من الكساندر .

(١٢) ماركوس جونيوس بروتس . سليل بروتس الأول (انظر : ٢ ، ٤) وهو الذى قتل يوليوس قيصر ، وقال فيما بعد قولته الشهيرة : « أيتها الفضيلة ، ما انت الا كلمة » (٨٦ — ٤٢ ق.م. تقريبا) .

لـــــورنزو : لن تعرف أبداً – إذا لم تكن مجنوناً – طبيعة الفكـــرة التي اختمرت في رأسي . ولكـــي تفهم العاطفة المحمومة التي جعلت مني لورنزو الذي يكلمك ، ينبغي أن يوضع عقلي ومشاعري عاريين تحت مبضع . إن تمثالاً يهبط عـــن قاعدته ليسير بين الناس في الميدان العـــام ، قد يشبه ماكنته يوم بدأت أعيش في هذه الفكرة يجب أن أكون بروتس !

فيليـــب : إنك تدهشني أكثر فأكثر !

لـــورنزو : لقد أردت في أول الأمر أن أقتل كليمنـــت السابع . ولم أستطع أن أقتله لأنني نفيت مـــن روما(١٣) قبل ذلك . وبدأت مهمتي مـــن جديد مع ألكساندر . وكنت أريد أن أعمـــل بمفردي . دون مساعدة مـــن أي رجل . لقد كنت أعمل من أجل الإنسانية . ولكن كبريائي ظلت وحيدة بين جميع أحلامي المتعلقة بحب الإنسانية . وكان ينبغي أن أبدأ – بالمخادعة – صراعاً فريداً مع عدوي ! لم أكن أريد أن أثير الجماهير ، أو أكتسب بالثرثرة شهرة رجل أشل مثل شيشرون(١٤) ! لقد أردت أن أصل

---

(١٣) بسبب حادثة التماثيل (انظر ١ ، ٤)

(١٤) الخطيب الروماني الاشهر والقنصل الذي استحق أن يطـلقوا عليـه لقب « أبي الوطن » . وقد كان يفضل اللجوء الى القانون على استخدام القوة ، الا انه لم يكن يكتفي بالكلام دون العمل كما يتهمه لورنزو عندما يصفـه بانه « اشـل » (١٠٦ – ٤٣ ق٠م) .

إلى الرجل ، وأن ألتصق بالطغيان الحي ، وأن أقتله ، وأحمل بعد ذلك سيفي المخضب بالدم على المنبر ، وأترك بخار دم ألكساندر يتصاعد إلى أنوف الخطباء ليدفيء أدمغتهم المتورمة !

فيليب : ما أقوى عزيمتك يا صديقي ! ما أقوى عزيمتك !

لورنزو : لقد كانت المهمة التي فرضتها على نفسي شاقة مع ألكساندر . لقد كانت فلورنسا ، كما هي اليوم ، غارقة في الخمر والدم ! كان الامبراطور والبابا قد صنعا دوقاً من صبي جزار(١٥) ! ولكي أرضي ابن عمي كان ينبغي أن أصل إليه محمولاً على دموع الأسر ! ولكي أصبح صديقه . وأنال ثقته ، فقد كان ينبغي أن أقبل على شفتيه الغليظتين بقايا قصفه ومجونه ، جميعاً ! لقد كنت نقياً كزنبقة ، ولكنني لم أتراجع أمام هذه المهمة . ودعنا لا نتحدث عما صرت إليه من جراء ذلك ! إنما يجب أن تدرك ما قاسيت . وثمة جراح لا تنكأ بلا عقاب ! لقد أصبحت شريراً ، وجباناً ، ومدعاة للخجل والخزي ! وماذا يهم ؟ ليست هذه هي المسألة .

فيليب : إنك تطاطيء الرأس ، وعيناك تدمعان !

---

(١٥) لقد كانت ملامح وجه الكساندر تشي بخسته الى درجة جعلت المصورين يعجزون عن اخفاء هذه الخسة !

لـــــورنزو : كلا ؛ إنني لست خجلاً على الاطلاق . إن أقنعة المصيص لا تتضرج بحمرة الخجـــــل ! ولقد فعلت ما فعلت ، وستعرف فقط أنني قد نجحت فيما أقدمت عليه . سيجيء ألكساندر بعد قليل إلى مكان معين لن يخرج منه عـــلى قدميه ! لقد أشرف جهدي على غايته . وثق ، يا فيليب ، أن الثور الوحشى عندما يذبحـــه الراعي فوق العشب لا تكون حوله حبـــــال ولا عقد أكثر مما نسجته حـــول غريمي ابـــن ابن الحرام ! إن ذلك القلب الذي مـــا كان ليصل إليه سلاح في مدى عام ، هو الآن عار تحت يدي (١٦) ، ومـــا علي إلا أن أسقط خنجري لينفذ إليه ! سيتم كل شيء ! والآن : هل تعرف ما يحدث لي ، وما أريد أن أحذرك منـــه ؟

فيليـــــب : إنك بروتسا ، إذا كان ما تقوله حقاً !

لـــــورنزو : لقد اعتقدتُ أنني بروتس ، يا عزيزي المسكين فيليب . لقد تذكرت العصا الذهبية المكسوة بلحاء الشجر(١٧) . والآن أعرف الرجال ، وأنصحك بألا تتدخل .

---

(١٦) اشارة الى سرقة الدرع (٢ ، ٦) •

(١٧) كان لوشيوس بروتس يصطنع البله لينجو من عدوه تاركان (انظر : ٢ ، ٤) وعندما اصطحبه أبناء تاركان الى معبد دلفى ليضحكوا منه ، اهدى ابوللو سبيكة ذهبية مخبوءة فى قصبة من لحاء الشجر ، تعبيرا عن اصـالة معدنه الذى تخفيـه الظواهر • والى هذا المعنى يشير لورنزو •

فيليـــب : لماذا ؟

لـــورنزو : آه ! لقد عشتَ في عزلة تامة ، يا فيليـــب ، وظللتَ ساكناً على شاطىء المحيط البشـــري ، أشبه ما تكون بفنار ساطع ، ورأيت في المياه إنعكاس ضوئك الخاص . وكنت في أعمـــاق وحدتك تجد المحيط عظيماً تحت قبة السماء الباهرة . ولم تكن تحصى كل موجة ، ولم تكن تلقى بالمسبار ، بل كانت تفعمك الثقة بعمل الرب . أما أنا فقد غطست في أثنـــاء ذلك ، وأوغلت في بحر الحياة هذا المتلاطـــم الأمـــواج ، وجبت فيـــه — تحت ناقوسي الزجاجي — كافة الأعماق . وبينما كنـــت تعجب بالسطح ، زأيت أنا حطـــــام السفن الغارقة ، وعظام الموتى ، واللوياثان(١٨) !

فيليـــب : إن حزنك يحطم قلبى !

لورنـــزو : إنني أتحدث إليك هكذا لأننى أراك مثلمـــا كنتُ ؛ وأراك على وشك أن تفعل ما فعلت . إننى لا أحتقر الناس . وخطأ الكتب والمؤرخين هو أنهم يظهرونهم لنا مختلفين عن حقيقتهم . إن الحياة تشبه مدينة يمكن أن نظل فيها خمسين أو ستين عاما دون أن نرى شيئا غير المتنزهات والقصور ، فما ينبغى أن ندخل الأوكار ، أو نتوقف — في طريق عودتنا إلى بيوتنا — أمام

---

(١٨) ذكر هذا الحيوان البحرى الهائل فى أسفار العهد القديم .

نوافذ الأحياء الوضيعة ! إليك ما أراه ، يافيليب :
إذا كانت المسألة هي إنقاذ ولديك فإني أطلب إليك أن تظل ساكنا . هذه خير طريقه لارجاعهما إليك بعد شيء من التأنيب . أما إذا كانت المسألة هي محاولة القيام بشيء من أجل الناس فإنني أنصحك بأن تقطع ذراعيك لأنه لن يمضي وقت طويل حتى ترى أنه لا يوجد من يملك ذراعين سـواك !

فيليـب : إني أرى أن الدور الذى تلعبه قد أوحى إليك بمثل هذه الأفكار . وإذا كنت أفهمك جيدا ، فأنت قد اتخذت سبيلا بشعا للوصول إلى غرض عظيم ؛ وتعتقد أن كل شيء يشبه ما رأيت .

لورنـزو : لقد استيقظت من أحلامى ، ولا أكثر من ذلك ! إني أذكر لك ما في ذلك من خطر . إنني أعرف الحياة . وإنها لمطبخ للشرور . فاقنع بهذا ، ولا تضع يدك بداخله إذا كنت تحترم شيئا !

فيليـب : كفى ! ولا تحطم عصا شيخوختى كعـود من البوص ! إنني أؤمن بكل ما تدعوه أحلاما .. إنني أؤمن بالفضيلة ، والعفة ، والحرية .

لورنـزو : وها أنذا في الطريق ، أنا لورنزاتشو ، والأطفال لا يرمونني بالوحل ، وأسرة البنات لا يزال يدفئها عرقى ، والآباء لا يأخذون مُدَاهم ، ومكانسهم — عندما أمر بهم — ليقتلوني ! وسوف يتحدث الجيل السابع ، في هذه البيوت

العشرة الآلاف عن الليلة التي دخلتها فيها .
وما من بيت واحد . يلفظ — عند رؤيتي —
حرّاثاً ليشقني نصفين كعود متعفن من الحطب !
إن الهواء الذى تستنشقه . يا فيليب ، أستنشقه
أنا كذلك . ومعطفي الحريرى المزركش ينسحب
ببطء على الرمل الناعم . في المتنزهات . وما من
قطرة سم تسقط في الشكولاتة التى أشربها ! ماذا
أقول ؟ آه ، يا فيليب ! إن الأمهات الفقيرات
يرفعن خمار بناتهن في خجل . عندما أقف على
عتبات أبوابهن . إنهن يرينني جمالهن ، وهن
يبتسمن ابتسامة أحقر من قبلة يهوذا ، بينما
أعتصر كفى في غضب ، وأنا أمسك ذقن الطفلة
الصغيرة ، وأهز في جيبي أربع أو خمس
قطع ذهبية حقيرة !

فيليب : ينبغي على من يغوى إنسانا ضعيفا ألا يحتقره .
ولماذا يغويه وهو يتهمه ؟

لورنزو : هل أنا شيطان ؟ يانور السماء ! عندما شرعت
أمثل دورى كبروتس عصرى ، كنت أخطر
في ثيابى الجديدة ، ثياب أخوّة الرذيلة العظمى ،
كما يخطر الطفل ، ابن عشرة أعوام ، في درع
مارد من مردة الأساطير ! كنت أعتقد أن
الفساد ندبة ، وأن الوحوش وحدهم يحملونها
على الجبين ! وكنت قد بدأت أقول بأعلى صوتى
إن أعوام فضيلتى العشرين قد كانت قناعا

خانقا ! يا فيليب ! لقد دخلت الحياة عندئذ ، ورأيت الناس كلهم يفعلون ذلك مثلي ، عند اقترابي ! لقد كانت الأقنعة كلها تسقط أمام نظرتي ! لقد خلعت البشرية ثوبها وأرتني عريها الشنيع كما تريه لشريك يلائمها ! لقد رأيت الناس كما هم ، وقلت لنفسي : لمن أعمل ، إذن ؟ وعندما كنت أذرع شوارع فلورنسا ، وشبحي على جانبي(١٩) ، كنت أنظر حولي وأبحث عن الوجوه التي تمنحني الشجاعة ، وأسأل نفسي : عندما أضرب ضربتي ، هل ياترى سيستفيد منها ذلك الذي هناك ؟ لقد رأيت الجمهوريين في مكاتبهم ، ودخلت المتاجر ، وسمعت ، وترقبت ، لقد جمعت أحاديث أناس من الشعب ، ورأيت الأثر الذي كان يحدثه الطغيان فيهم . لقد شربت ، في المآدب الوطنية(٢٠) الخمر التي تولد الكناية والاستعارة . وابتلعت ، بين قبلتين ، أكثر الدموع انتسابا إلى الفضيلة ! لقد كنت أنتظر دائما أن تجعلني الانسانية أرى على وجهها شيئا شريفا . لقد كنت أنظر كما ينظر الخطيب إلى خطيبته ، وهو ينتظر يوم الزفاف ! .

(١٩) سبقت الاشارة الى ان موسيه نفسه كان يتوهم وجود شبحه بجانبه وهو يذرع الشوارع فى فلورنسا .

(٢٠) اشارة الى اجتماعات الجمهوريين الفرنسيين فى عهد لويس فيليب ، والتي كانت تتخذ شكل مادب فى الحقول لخداع الشرطة .

فيليب : إذا كنت لم تر غير الشر فإنني أرثي لك ،ولكنني لا أستطيع أن أصدقك . إن الشر موجود ، ولكن : ليس بدون الخير ؛ كما أن الظلام موجود ، ولكن : ليس بدون النور !

لورنزو : إنك لاتريد أن ترى فيَّ إلا رجلا يحتقر الناس ، وأنت تظلمني بذلك . إني أعلم حق العلم أن بينهم أخيارا ، ولكن : مانفعهم ؟ ماذا يفعلون؟ كيف يعملون ؟ وما قيمة أن يكون الضمير حيا ، إذا كانت الذراع ميتة ؟ ثمة جوانب معينة يصير كل شيء عند النظر إليه منها طيبا فالكلب صديق مخلص ، ويمكن أن نجد فيه أحسن الخدم ، كما يمكن أن نراه أيضا يتمرغ فوق الرمم ، ويستشعر الجيفة على بعد فرسخ ، باللسان الذى يلعق به سيده ! وكل ما أملك أن أراه هو أنني هالك ، وأن البشر لن يستفيدوا من هلاكي أكثر مما يسيئون فهمي !

فيليب : إنك تحزن قلبي ، أيها العزيز ، المسكين ! ولكن ؛ إذا كنت رجلا شريفا ، فإنك ستعود مرة أخرى ذلك الرجل الشريف ، بعد أن تكون قد أنقذت وطنك . إنه ليسعد قلبي الهرم ، يالورنزو ، أن أراك رجلا شريفا . ولسوف تطرح عنك يومئذ هذا التنكر البغيض الذى يشوهك ، وتعود رجلا معدنه نقي كتماثيل

هارموديوس وأريستوجيتون(٢١) البرونزية !

لورنـــزو : فيليب ، فيليب ؛ لقد كنت رجلا شريفا . إن اليد التى رفعت غطاء الحقيقة مرة ، لا تستطيع أن تسقطه ثانية . إنها تظل ساكنة حتى الموت ، ممسكة على الدوام بهذا الغطاء المرعب ، رافعــة إياه أكثر فأكثر ، فوق رأس المــرء حتى يغلق عينيه ملاك النوم الأبدى !

فيليـــب : الأمراض كلها تشفى ، والرذيلة مرض كذلك .

لورنـــزو : تأخر الوقت جدا ! لقد تعودت حرفتى ! لقــد كانت الرذيلة بالنسبة إلىّ ثوبا ، وهى الآن ملتصقة بجلدى ! إننى رجل داعر حقا . وعندما أسخر من أمثالى أشعر بأننى جاد كالموت ، فى وسط ابتهاجى ! لقد اصطنع بروتس الجنون لكى يقتل تاركان . والشيء الذى يدهشنى فيــه هو أنه لم يتخل عن عقله فى أثنــاء ذلك . استفد منى ، يافيليب . هذا ما أملك أن أقوله لك .

فيليـــب : يبدو لى أن السماء خليقة بأن تظلم دائما ، وأن شيخوختى سيحكم عليها بأن تتلمس طريقها فى المسير ، إذا أنا صدقتك ! لعلك قد اتخذت طريقا خطــرا ، فلماذا لا أستطيع أن أتخــذ لى طريقا آخر يقودنى إلى نفس الهدف ؟ إننى أعتزم أن أدعو إليه الشعب ، وأن أعمل علانية .

---

(٢١) ثائران اثينيان ، اعدما لانهما حررا شعبهما من طغيان هيبارك عندما قتلاه فى عام ٥١٤ ق٠م ٠

لورنـزو : احترس . يافيليب ! ان من يقول لك هـــذا يعرف لماذا يقوله . اتخذ الطريق الذى تشــاء . وسوف تتعامل دائما مع الناس ،

فيليـــب : انني أؤمن بصدق الجمهوريين .

لورنـزو : إنني اراهنك . سأقتل الكساندرو ؛ واذا تصرف الجمهوريون كما ينبغي عليهم ، بعد أن اضرب ضربتي ، فلسوف يسهل عليهم ان يؤسســوا جمهورية ؛ اجمل جمهورية اينعت يوما على وجه الارض ! يكفي ان يؤيدهم الشـــعب . ولكنني اراهنك على انه لاهم ، ولا الشــعب، سيفعلون شيئا ! كل ما اطلبه منك ألا تــزج بنفسك في هــذه القضية . تكلم اذا شئت ، ولكن : كن حذرا في اقوالك ، واشد حذرا في اعمالك ! دعني اضرب ضربتي . ان يديك نقيتان ، وليس عندى ما افقـــده !

فيليـــب : اضربها ، وســترى !

لورنـزو : فليكن . ولكن ، تذكر هذا . هل ترى في ذلك البيت الصغير ، تلك الاسرة المجتمعة حـــول منضدة (٢٢) ؟ اليس بينهم رجال ؟ انهم جسم واحد ، ونفس واحدة في هذا الجسم ، ومـــع ذلك ، فلو تملكتني الرغبة في ان ادخل بيتهـــم بمفردى ، كما انا الآن ، واقتل بالخنجر اكبر

---

(٢٢) لنتذكر ان هذا الحوار يدور في الطـريق ، وان للبيوت الفلورنسية نوافـذ واسعة تسمح برؤية ما يدور فيها من الخارج .

ابنائهم وهو في وسطهم ، لما ارتفعت سكين واحدة في وجهى !

فيليب : انك تخيفنى ! كيف يمكن ان يظل القلب كبيرا مع يدين كيديك ؟

لورنزو : تعال ندخل الى قصرك، ونحاول ان ننقذ أولادك

فيليب : ولكن ، لماذا تقتل الدوق اذا كانت عندك افكار كهذه ؟

لورنزو : لماذا ؟ هل تسأل عن السبب ؟

فيليب : اذا كنت تعتقد ان ذلك اغتيال لا يعود بالفائدة على وطنك ، فلماذا ترتكبه ؟

لورنزو : هل تواجهنى بهذا السؤال ؟ انظر الىّ قليلا ، لقد كنت جميلا ، وهادئا ، وفاضلا !

فيليب : أية هاوية ! اية هاوية تفتحها امامى !

لورنزو : هل تسألنى لماذا اقتل الكساندر ؟ هل تريد اذن ان اقتل نفسى بالسم او اقفز في نهر الارنو ؟ هل تريد ان اكون شبحا ، والا يخرج اى صوت من هذا الهيكل ، اذا ضربته ؟ (يضرب صدره) اذا كنت ظل نفسى ، فهل تريد ان اقطع الخيط الوحيد الذى يصل اليوم قلبي ببعض اوتار قلبي الذى كان في الماضى ؟ هل تعلم ان هذا الاغتيال هو كل مابقى لى من فضيلتى ؟ هل تعلم اننى انزلق منذ عامين على حائط عمودى ، وان هذا الاغتيال هو القشة

الوحيدة التي استطعت ان انشب فيها اظافرى !
هل تعتقد اذن انني لم تعد لى كبرياء لانني قد تجردت من الحياء ؟ وهل تريد ان اترك لغز حياتي يموت في صمت ؟ نعم ، يقينا ، لو امكن ان اعود الى الفضيلة ، ولو امكن ان يتلاشى ماتعلمته من الرذيلة ، فلعلى كنت اترفق بسائق الثيران هذا ! ولكنني احب الخمر ، والميسر ، والنساء ، فهل تدرك ذلك ؟ لئن كنت تمجد فيَّ شيئا ـ انت يامن يتحدث اليَّ ـ فهذا الاغتيال هو ماتمجده . وربما كان ذلك ، بالضبط ، لانك لم تكن لترتكبه ! ها هم الجمهوريون يغطونني منذ وقت طويل بالوحل والعار ! ومنذ وقت طويل يملأ الطنين اذني ، ويسمم نفور الناس الخبزْ الذى امضغه ! لقد سمعت ما يكفى من صراخ الثرثرة البشرية الزاعقة في اجواز الفضاء ، وينبغي ان تعرف الدنيا قليلا : من أنا ، ومن هو ! حمداً لله ! قد أقتل الكساندر غدا . وسأنجز كل شيء في خلال يومين !

سيكون في مقدور أولئك الذين يدورون حولى بعيون حولاء ، كما يدورن حول احدى العجائب المهولة ، المجلوبة من امريكا ، ان يشبعوا حناجرهم ، ويفرغوا جعبتهم من الكلام ! ولئن فهمني الناس أو لم يفهموني ،

ولئن عملوا او لم يعملوا ، فانني سأكون قد
قلت ما كان ينبغي ان اقوله ، وسأجعلهم
يبرون اقلامهم ، اذا لم اجعلهم ينظفون حرابهم
وستحتفظ الانسانية بصفعة سيفي على خدها
خطوطا من الدم ! وليطلقوا عليّ الاسم الذى
يريدون : بروتس أو ايروسترات (٢٣)، فليس
يرضيني نسيانهم إياى ! ان حياتي كلها على
خنجرى . واذا حولت العناية رأسها ، أو لم
تحوله ، عندما تسمعني وأنا أضرب ضربتي
فانني سألقى بالطبيعة البشرية على ظهرها ،
أو على وجهها ، فوق قبر الكساندر . وفي خلال
يومين سيقف الناس أمام محكمة إرادتي . !

فيليب : ان هذا كله يدهشني ! وفي كل هذا الذى قلته
لى أشياء تؤلمنى ، واشياء اخرى تسرني . ولكن
بيير وتوماس في السجن ، وفوق ذلك لااستطيع
ان أثق بشخص غيرى . وعبثا احاول ان اكبح
جماح غضبي ، فان انفعالا قويا يملأ جوانحى !
لعلك أن تكون على حق ، ولكنه ينبغى على أن
اعمل . وسأجمع افراد عائلتى .

لورنزو : كما تشاء ، ولكن ، احترس ! واكتم سرى
حتى عن اصدقائك . هذا كل ما اطلبه منك .

(يخرجان)

---

(٢٣) رجل كان مغمورا فاحرق معبد ديانا فى مدينة ايفيز ليتحدث الناس عنه !

المشهد الرابع

في قصر سوديريني

كاترينـــا : (تدخل وهى تقرأ رسالة) « لابد ان لورنـــزو قد حدثك عني . ولكن ، من يستطيع انيحدثك بجدارة عن حب كحبي ؟ عسى ان يخـــبرك قلبي بما لا يستطيع فمي أن يقوله لك ، وما يود قلبي ان يوقعه بدمـــه » .

« الكساندر دى مديتشي »

اذا لم يكن اسمى فوق العنوان لاعتقـــدت ان حامل الرسالة قد اخطأ . وهـــذا الذى أقــرأه يجعلني لا اصدق عيني (تدخل مارى) اماه ، الحبيبة ! انظرى ماذا يُكْتَبُ الىَّ ، وفسرى لى هذا اللغز ، اذا استطعت !

مـــارى : شقية ! شقية ! انه يحبك ! اين رآك ؟ ايـــن تحدثت اليه ؟

كاترينـــا : لم اتحدث إليه في اى مكان . وقد جائي رسول بهذا الخطاب ، وانا خارجة من الكنيسة !

مـــارى : انه يقول ان لورنزو قد حدثك عنه حتمـــا ؟ اواه ! كيف يكون لى ولد كهذا ، ياكاترينا ؟ نعم ، يجعل من أخت أمة عشيقة الدوق ، ياابنتى ماذا تسمى هـــذه المخلوقات ؟ لا استطيع أن أقول ! نعم ، لقد كان هذا ينقص لورنزو ! تعالى ، انني اريد ان احمل اليه هذه الرسالـــة

مفتوحة ، وان اعرف امام الله كيف تكــون اجابته !

كاترينــا : كنت أعتقد ان الدوق يحب . . . معـــذرة ، يا امى ، ولكننى كنت اعتقد ان الدوق يحب الكونتيسة تشيبو . لقد كان يقال لى هذا . . .

مــارى : هذا صحيح ؛ لقد أحبها ، إن كان يمكن أن يحب !

كاترينــا : ألم يعد يحبها ؟ أواه ! كيف يستطيع أن يعرض حبا كهذا بلا حياء ! تعالى ، يا أمى ؛ تعــالى نذهب إلى لورنــزو .

مــارى : هاتي ذراعك . لا أعرف ماذا يحدث لى منــذ بضعة أيام . لقد كنت أعانى من الحمى كل ليلة . والحق أنها لا تتركنى إلا نادرا منذ ثلاثة أشهر . لقد عانيتُ كثيرا ، ياعزيزتى المسكينة كاترينا ، فلماذا قرأت لى هذه الرسالة ؟ إنى لم أعد أستطيع أن أحتمل شيئا ! إنى لم أعــد صغيرة . ويبدو لى ، مع ذلك ، أننى أعــود صغيرة في حالات معينة . ولكن هذا الذى أراه ، كله ، يقودنى إلى القبر ! هيا ؛ اسنديني ، يابنيتي المسكينة ! لن أسبب لك هذا العناء وقتــا طويلا ! (تخرجان)

المشهد الخامس

عنـــد المـــاركيزة

المـــاركيزة : (في تمـــام زينتها ، أمام مرآة) عندما أذكـــر أن هذه هي الحقيقة ، يكون لذلك عندى تأثير نبـــأ مفاجيء ! أية حمأة هي الحياة ! كيف هذا ؟ الساعة الآن هي التاسعة . والدوق هو الذى أنتظره في هذه الزينة ! فليكن مايكون ، فإني أريد أن أجرب قوتي (يدخل الكاردينال)

الكاردينـــال : يالها من زينة . أيتها الماركيزة ! وها هي ذى أزهار يتضوع منها العبير !

المـــاركيزة : إني لا أستطيع أن أستقبلك ، ياسيدى الكاردينال . . إني أنتظر صديقة لى . أرجو المعذرة .

الكاردينـــال : سأتركك ، سأتركك . إن ذلك المخدع الذى ألمح بابه مواربا ، هناك ، فردوس صغير . هل أنتظرك فيـــه ؟

المـــاركيزة : إنني متعجلة . سامحنى . كلا ؛ ليس في مخدعى . في أي مكان تشـــاء .

الكاردينـــال : سأعود في ساعة أكثر ملاءمة من هذه (يخرج)

المـــاركيزة : لمـــاذا ، دائما ، وجه هذا القس ؟ أية حلقات يرسمها حولى هذا النسر الأصلع حتى أراه ورائي عندما أستدير ، بغير انقطاع ؟ أتكون ساعة موتى قد دنت(٢٤) ؟ (يدخل خـــادم

---

(٢٤) اشارة الى تجمع النسور فوق جثث الموتى فى العراء .

ويحدثها في أذنها) حسنا ! سأذهب . آه ! إنك لم تألف حرفة الخادمة هذه ، أيها القلب المسكين ، المتكبر ! (تخـــرج)

المشهد السادس

مخـــدع المـــاركيزة

المـــاركيزة . الـــدوق

المـــاركيزة : هذه طريقتى في التفكير . إنى خليقة بأن أحبك هكذا !

الـــدوق : كلمات ، ولا أكثر من كلمات !

المـــاركيزة : إنه شيء قليل جدا بالنسبة إليكم ، أنتم يامعشر الرجال ! أن تضحى المرأة براحة أيامها ، وطهارة العرض المقدسة ، بل وبأبنائها أحيانا ! ولا تعيش إلا لشخص واحد في الدنيا ، وتستسلم أخيرا ! ولكن هذا كله شيء لا قيمة لـــه ! وما جدوى الانصات إلى امرأة ؟ إن المرأة التى تتحدث عن شيء آخر غير توافه الأشياء ، وغير الخلاعة والمجون ، لهى امرأة مملـــة !

الـــدوق : إنك تحلمين وأنت في تمام يقظتك !

المـاركيـــزة : نعم ؛ وحق السماء ! نعم ؛ لقد رأيت حلماً ، وآسفاه ! إن الملوك وحدهم لا يحلمون أبداً ! إن نزواتهم الباطلة كلها تتحول إلى حقائق . وكوابيسهم ذاتها تتحول إلى رخام ! ألكساندر

الكساندر ! ما معنى هذه الكلمة : أستطيع
إذا أردت ! . . آه ! إن أيدي الشعوب تتماسك
أمام هذه الكلمة في صلاة خاشعة ، ويمسك
القطيع البشرى أنفاسه ليسمع !

الـــــدوق : دعينا ، يا عزيزتي ، لانتحدث عن ذلك أكثر
مما تحدثنا . إنه شيء مرهق !

الماركيـــــزة : هــل تعرف معنى أن يكون المرء ملكاً ! أن
يكون عند طرف ذراعه مائة ألف من الأيدي !
أن يكون شعاع الشمس الذي يجفف دموع
البشر ! أن يكون السعادة والشقاء ! آه ! أية
رجفة قاتلة يسببها ذلك ! إن عجوز الفاتيكان
حرى بأن يرتعد عندما تنشر جناحيك ، يا نسري
الصغير ! إن قيصر بعيد ! والحرس مخلص
لك ! ثم إنهم يذبحون جيشاً ولا يذبحــون
شعباً . ويوم يكون الوطن كله في صفك ،
وتكون الرأس لجسد حر ، وتقول : « كما
يقترن دوج فينتسيا بالأدرياتيك ، هكـــــذا
أضــع خاتمي الذهبى في إصبع جميلتي فلورنسا
فلورنسا(٢٥) ، ويكون أبناؤها أبنائي . . » آه !
هل تعرف معنى أن يأخــذ شعب بين ذراعــه

---

(٢٥) اشارة الى تقليد كان متبعا فى فينتسيا ، اذ يحتفل حاكمها ـ الدوج ـ كل عام ، أمام الشعب ، بزواجه الرمزى من نهر الأدرياتيك بأن يلقى فيه بخاتم ذهبى • وكان البابا الكساندر الثالث هو الذى بدأ هذا التقليد فى القرن الثانى عشر اعترافا بفضل الدوج الذى ساعده فى حربه ضد فريدريك بارباروس •

ذلك الذي يحسن إليه ؟ هل تعرف معنى أن يشير إليك أب لولده ؟

السدوق : إن ما يهمني هو الضريبة . وماذا وما داموا يدفعونها لي ، فلا أبالي بشيء آخر .

الماركيزة : ولكنهم سيغتالونك في النهاية . . وستخرج الأحجار من الأرض وتسحقك ! آه ! الأجيال القادمة ! ألم تر ذلك الشبح على وسادتك قط ؟ ألم تسل نفسك يوماً عما سيراه فيك أولئك الذين في بطون الأحياء ؟ وها أنت حي ، ولم يزل هناك وقت ! وما عليك إلا أن تقول كلمة واحدة . هل تذكر أبا الوطن(٢٦) ؟ هيا ؛ إنه ليسهل على المرء أن يكون ملكاً عظيماً ، وهو ملك ! أعلن فلورنسا دولة مستقلة ، واطلب إلغاء المعاهدة مع الامبراطورية . جرد سيفك واظهره . وسيطلبون منك أن تعيده إلى غمده لأن بريقه يؤذى عيونهم ! اذكر أنك شاب صغير(٢٧) . إن شيئاً لا يحسب عليك . . إن في قلب الشعوب تسامحاً كبيراً لأمرائها . والعرفان العام نهر عميق تنسى فيه أخطاؤهم الماضية (٢٨) . لقد أساؤا نصحك . لقد خدعوك . . ولكن هناك وقتاً لا يزال ؛ وما

---

(٢٦) كوزمو دى مديتشى (١٣٨٩ ـ ١٤٦٤) .

(٢٧) كان الكساندر فى السابعة والعشرين من عمره ، ولورنزو فى الثالثة والعشرين

(٢٨) فى أساطير اليونان أن بالجحيم نهرا للنسيان يدعى « ليثيه » .

عليك إلا أن تتكلم ، وما دمت حياً فإن الصفحة
لم تطو في كتاب الله !

الـــــدوق : كفى ، يا عزيزتي ، كفى !

الماركيـــــزة : آه ، عندما تطوى ! عندما يجيء بستاني مسكين
أجير يومه ، فيروي متكرها بعض أزهـــار
اللؤلؤ الهزيلة ، حول قبر ألكساندر ! عنـدما
يستنشق البؤساء الهواء الطلق في فرح ، ولايرون
بعـد ، شهاب سلطانك الأسـود منتشراً في
الفضاء ! . . عندما يتحدثون عنك وهم يهزون
رؤسهم ! . . عندما يحصون قبور آبائهــم
حول قبرك ! . . هل أنت واثق بأنك ستنام
هادئاً في رقادك الأخـير ؟ . . أنت ، يا من
لا يذهب للصلاة ، ولا يحرص على غــير
الضريبة ، هل أنت واثق بأن الأبدية صماء ،
وأنه ليس للحيــاة صدى في مستقر الأموات
الرهيب ؟ هل تعرف أين تمضى دموع الشعوب
عندما يحملها الهواء ؟

الـــــدوق : إن لك ساقاً جميلة !

الماركيـــــزة : أنصت إلي . إني أعرف أنك طائش ، ولكنك
لست شريراً ، كلا ، إنك لست شريراً ، ولا
يمكن أن تكون شريراً . هيا ، قاوم نفسك . فكر
لحظة ، لحظة واحدة ، فيما أقوله لك !
يوجد شيء في كل هذا ؟ هل أنا مجنونة حقاً ؟

الـــــدوق : إن هذا كله يدخل رأسي جيداً . ولكـــن ؛ أي شيء بهذا القدر من السوء تريننى أفعله ؟ إننى وجيراني سواء(٢٩) . وأنا خير من البابا نفسه ، في الحقيقة . وأنت إنما تذكرينني بآل ستروتسي ، بكل هذا الذي تقولينه ، وأنت تعلمين أنني أحتقرهم ! إنك تريدين أن أتمرد على قيصر . وقيصر أبو زوجتى(٣٠) . أيتها الصديقة العزيزة ! إنك تتصورين أن الفلورنسيين لا يحبونني . . وأنا على يقين من أنهم يحبونني . أوه ! قولي بربك ! إذا كنت محقة ، فممن تريدين أن أخاف ؟

المــاركيـــزة : إنك لا تخاف شعبك . . ولكنك تخـــاف الامبراطور ! لقد قتلتَ أودنستَ شرف المئات من المواطنين ، وتعتقد أنك قد فعلت كل شيء عندما ترتدى درعك تحت ثوبلك !

الـــــدوق : أسكتى ! لا تتكلمي عن ذلك مطلقاً !

المــاركيـــزة : أوه ! انني أستسلم للغضب ، وأقول مالا أريد أن أقول ! يا صديقى ، من لا يعلم أنك شجاع ؟ إنك شجاع مثلما أنت عظيم . والشيء الذي أساء إليك إنما هو شبابك ، وما يدور فـــى رأسك . . ماذا أعرف ، أنا ؟ إنه الدم الـــذي

(٢٩) لقد كانوا جميعا ـ وبيير فارنيز ، حاكم بارم ، على الخصوص ـ يدينـــون بمراكزهم لما يسبغه عليهم البابا ، والامبراطور شارل الخامس ، من حماية .

(٣٠) كان الكساندر متزوجا من مرجريت دوتريش ، ابنة شارل الخامس .

يجري عنيفاً ، في هذه العروق الملتهبة ! إنها
الشمس الخانقة التي تثقل علينـــا . ! أتوسل
إليك ، لا تجعل سقوطي بلا جدوى ؛ ولا
تجعل اسمي ، وحبي الشقي لك ، يكتبـــان
في قائمة سوداء ! إنني امرأة ، هذا صحيح .
وإذا كان الجمال كل شيء للنساء ، فـإن
كثيرات غيري أجمل مني ! ولكن ؛ ألا تملك
أنت شيئاً . . خبرني . خبرني ! ألا تملك شيئاً ،
أي شيء . هنا ؟ (تضرب قلبه)

الـــــدوق : يا للشيطان ! تربعي فيه . إذن . يا عزيزتي !

الماركيـــــزة : نعم ؛ أريد أن أعترف بذلك . . نعم ؛ إنني
طموحة ، وطموحي ليس إلى شيء أريـــده
لنفسي ، وإنما أريده لك ! أنت ، وفلورنسا
الحبيبة ! يا إلهي ! أنت الشهيد على أوجاعي !

الـــــدوق : أنت تتوجعين ! ماذا بك ؟

الماركيـــــزة : كلا ؛ إنني لا أتوجع . اسمع ! اسمع ! إني
أراك تشعر بالملل وأنت بجانبي . إنك تعـــد
الدقائق ، وتدير رأسك . فلا تنصرف أيضاً ،
ولعلها أن تكون المرة الأخيرة التي أراك فيها .
اسمـــع ! إني أقـــول لك إن فلورنسا تدعوك
طاعونها الجديد(٣١) ! وإنه ما من كـــــوخ
لا توجد فيه صورتك ملصقة على الجدران ،

---

(٣١) كانت المدينة قد اصيبت عام ١٣٤٨ بوباء الطاعون الذى عرف باسم طاعـون فلورنسا .

وفي موضع القلب منها طعنة سكين (٣٢)
فلأكن مجنونة ، ولتكرهني غداً ، ماذا
يهمني ؟ إنك ستعرف ذلك !

الدوق : الويل لك إذا لعبت بغضبي !

الماركيزة : نعم ؛ الويل لي ! الويل لي !

الدوق : في مرة أخرى . . في صباح الغد ، إذا شئت . .
نستطيع أن نلتقي ثانية ، ونتكلم عن هذا !
لا تغضبي إذا تركتك الآن . يجب أن أذهب
للصيد .

الماركيزة : نعم ؛ الويل لي ! الويل لي !

الدوق : لماذا ؟ إنك تلوحين مكفهرة كالجحيم ! لماذا
تزجين بنفسك في السياسة ؟ هيا ، هيا ؛ إن
دورك الصغير كامرأة ، وامرأة حقيقية ،
يلائمك تماماً ! إنك تتعصبين كثيراً لرأيك ،
وسوف يعالج هذا من تلقاء نفسه ! ساعديني
على ارتداء ثوبي إذن . إن هندامي سيء للغاية !

الماركيزة : وداعاً ، يا ألكساندر (يقبلها الدوق ، يدخل
الكاردينال تشيبو)

الكاردينال : آه ! . . عفواً ، يا صاحب السمو ! كنت
أعتقد أن أختي وحدها ! إنني رجل أخرق ،
وأنا السبب فيما حدث ! أسألك المعذرة ! .

الدوق : ماذا تتصور ؟ أوه ! إنك تبدو قسيساً حقاً ، يا

---

(٣٢) نوع من السحر يلجأ اليه العامة ، وهم هنا ينشدون الموت لالكساندر .

مالاسبينا ! هل ينبغي أن ترى هذه الأشيــاء ؟ هيا بنا ، هيا بنا ؛ فيم يهمك هذا ؟ (يخرجان معاً) .

الماركيـــزة : (وحدها ، وهي تمسك بصورة زوجها) أين أنت الآن ، يا لوران ؟ هذه ساعة الأصيل . وأنت الآن تتنسم الهواء في الشرفة ، أمـــام أشجار القسطل الكبيرة . وأبقارك السمينــة ترعى من حولك ، وغلمان مزرعتك يتناولون طعامهم في الظل ، والأرض الخضراء تنضو – تحت أشعة الشمس – غطاءها المائل إلــى البياض ؛ والأشجار التي تصونها رعــايتك تغمغم في تعبد ، فوق رأس سيدها الهــرم ، بينما يردد الصدى في أروقتنا الطويلة ، باحترام صوت خطواتك الهادئة ! يا عزيزي لوران ! لقد ضيعتُ كنز كرامتك ، وكرستُ للسخرية ، والشك ، آخر سني حياتك الشريفة ؛ ولــن تضم إلى درعك بعد الآن قلباً جديراً بقــلبك ، فإن اليد التي ستحمل إليك عشاءك ، عنــد عودتك من الصيد ، ستكون يداً مرتعشة ! .

المشهد السابع

عند آل ستروتســـي

أفراد عائلة ستروتسي الأربعـــون ، على العشاء

فيليـــب : لنجلس إلى المائدة يا أولادي .

المدعـــــوون : لماذا يخلو مقعــــدان ؟

فيليــب : إن بيير وتوماس في السجن .

المدعــوون : لمـــاذا ؟

فيليـــب : لأن سالفياتى قد أهان ابنتى في سوق مونتوليفية ، علانية أمام أخيها ليون ! وعمد بيير وتوماس إلى قتل سالفياتى(٣٣) ، فاعتقلهما ألكساندر دى مديتشى ليثأر لموت قواده !

المدعــوون : الموت لعائلة مديتشى !

فيليـــب : لقد جمعت عائلتى لكى أفضى إليها بأحزانى ، وأرجوها أن تساعدنى ! فلنتناول عشاءنا ، ونخرج وسيوفنا في أيدينا ، لكى نطلب الافراج عن ولدى ، مرة أخرى ، إذا أردتم .

المدعــوون : فليكن ! هذه إرادتنـــا !

فيليـــب : لقد حان الوقت الذى ينتهى فيه ذلك ! إنهـــم يقتلون أبناءنا ، ويغتصبون بناتنا ! وقد حـــان الوقت الذى تُعَلِّمُ فيه فلورنسا أولئك الأنغال ماذا يكون حق الحياة والموت ! إن « الثمانية » لا يحق لهم أن يدينوا ولدىَّ ، وما كنت لأعيش بعدهما . !

المدعــوون : لا تخف يافيليب ، نحن معك .

فيليـــب : إننى كبير العائلة ، فكيف أسمح لهم بإهانتى ؟

---

(٣٣) الحقيقة انهما قد أصاباه بجرح خطير (٣ : ٢ ، ٤ : ١) .

إننا أنداد لآل مديتشى . وآل روتشيلاى أنداد
لهم ، وآل ألدوبرانديني . وعشرون غيرهم !
لماذا يستطيع أولئك أن يذبحوا أبناءنا ولانستطيع
نحن أن نذبح أبناءهم ؟ إنه ما أن يُشْعَلَ برميل
من البارود في كهوف القلعة حتّى تلوذ الحامية
الألمانية بالفرار . فماذا يبقى لآل مديتشى
هؤلاء ؟ هذه هى قوتهم . وليسوا بدونها شيئا !
هل نحن رجال ؟ هل يقال إنهم قد أفنوا بضربة
فأسٍ عائلات فلورنسا النبيلةَ . وإنهم قد
اقتلعوا من أرض الوطن جذورا عتيقة مثلها ؟
إنهم يبدءون بنا . ويجب أن نصمد ! إن
صيحة إنذارنا الأولى . كصفير مربى الطيور ،
ستجعل جيشا بأكمله من النسور المطرودة من
أعشاشها يهبط على فلورنسا ! إنها ليست بعيدة !
إنها تحوم حول المدينة . وعيونها مسمرة على
أبراجها ! وسنغرس فوقها ألوية الطاعون
السوداء ! وستأتى(٣٤) مسرعة عند إشارة
الموت هذه ! تلك ألوان الغضب الالهى ! فلنمض
الليلة أولاً لانقاذ ولدينا . وغدا نمضى جميعا ،
وسيوفنا مسلولة ، إلى أبواب الأسر الكبيرة
كلها ! إن في فلورنسا ثمانين قصرا ؛ وستخرج
من كل قصر جماعة كجماعتنا ، عندما تدق
الحرية بابه . !

---

(٣٤) النسور ، ويعنى بها جموع المنفيين من المدينة .

المدعـــوون : تحيـــا الحـــرية !

فيليـــب : إني أشهد الله على أن العنف هو الذى يرغمنى على امتشاق الحسام ؛ وأننى قد ظللت مواطنـــا صالحا ، ومسالمـــا ، في مدى ستين عاما ؛ وأننى لم أسيء قط إلى أى كائن في هذه الدنيا ؛ وأن نصف ثروتى قد استخدم في إغاثةالمساكين.

المدعـــوون : هـــذا صحيح .

فيليـــب : إنه انتقام عادل ، هذا الذى يدفعنى إلى الثورة ! وإنى لألجـــأ إلى العصيان لأن الله قد جعلنى أبا ! إننى غير مدفوع بأى دافع من الطموح أو المصلحة أو الكبرياء ؛ ولكن دعواى صادقة ، وشريفة ، ومقدســـة ! املئوا أقداحكم ! وانهضوا ! ان ثأرنا قربان نستطيع أن نكسره بلا خوف ، ونقتسمه أمام الله ! إننى أشرب نخب الموت لآل مديتشى !

المدعـــوون : (ينهضون ويشربون) نخب الموت لآل مديتشى !

لويـــزة : (تضع كأسها) آه ! سأموت !

فيليـــب : ماذا بك ، يا ابنتى ، ياطفلتى الحبيبة ؟ ماذا بك؟ يا إلهى ! ماذا أصابك ! رباه ، رباه ! لشـــد ما يشحب وجهك ! تكلمى ، ماذا بك ؟ كلمى أباك ! النجدة ! النجدة ! طبيب ! اسرعوا ، اسرعوا ؛ ليس فيالوقت متسع !

لويـــزه : سأموت ! سأموت ! (تموت)

فيليب : إنها تموت يا أصدقائى ، إنها تموت ! طبيب ! ابنتى مسمومة ! (يسقط على ركبتيه بجوار لويزه)

مدعو : مزقوا صدارها . اسقوها ماء فاترا . إذا كان هذا سما ، فلا بد من الماء الفاتر (يهرع الخدم)

مدعو آخر : اضربوا كفيها ! افتحوا النوافذ ، واضربوا كفيها !

آخر : قد لا يكون إلا أغماءً ، وتكون قد شربت بسرعة أكثر مما ينبغى .

آخر : الطفلة المسكينة ! ياهدوء ملامحها ! إنها لا يمكن أن تموت فجأة هكذا !

فيليب : ياطفلتى ! هل أنت ميتة ؟ هل أنت ميتة ، يالويزه ، يابنيتى الحبيبة ؟

المدعو الأول : ها هو الطبيب يأتى مسرعا (يدخل طبيب)

المدعو الثانى : اسرع ياسيدى ! قل لنا إن كان هذا سما !

فيليب : إنه إغماء ، أليس كذلك ؟

الطبيب : الصغيرة المسكينة ! إنها ميتة ! (صمت عميق يسود القاعة . يظل فيليب جاثيا بجوار لويزه وهو ممسك بيديها)

أحد المدعوين : إنه سم آل مديتشى ! لانتركن فيليب فى الحالة التى هو فيها ! إن سكونه مخيف !

آخـــر : إني واثق بأنني غير مخطىء . لقد كان يـــدور حول المائدة خادم ينتمي إلى زوجة سالفياتي(٣٥).

آخـــر : إنه هو الذي فعلها دون أي شك ! فلنخرج ونقبض عليه (يخرجون)

المدعو الأول : لا يريد فيليب أن يرد على مايقال له . لقدصعق !

آخـــر : شيء فظيع ! هذه ميتة لم يسمع بها من قبل !

آخـــر : إنها تصرخ إلى السماء مطالبة بالانتقام ! فلنخرج ونذبح ألكســـاندر !

آخـــر : نعم ؛ فلنخرج ! الموت لألكساندر ! إنه هو الذي أمـــر بكل شيء . يالنا من أغبياء ! إن ما يضمره لنا من الكراهية لا يرجع إلى الأمس ! إننا نعمل متأخرين للغاية .

آخـــر : إن سالفياتي لم يكن يحقد لسبب شخصي على لويزة المسكينة ! لقد كان يعمل لحساب الدوق . هيا ؛ فلنرحل مادام ينبغي أن يقتلونا حتى آخر واحد منـــا !

فيليـــب : (ينهض) ستدفنون ابنتي المسكينة يا أصدقائي ؛ أليس كذلك ؟ (يرتدي معطفه) في حديقتي ، خلف أشجار التين. وداعا ، يا أصدقائي الطيبين ؛ ولتكونوا بخـــير .

مدعـــو : إلى أين تذهب ، يا فيليب ؟

---

(٣٥) يقول المؤرخ فاركي ان زوجة سالفياتي هي التي قتلت لويزه ستروتسي بالسم ، بدافع من الغيرة .

فيليب : لقد عانيت مافيه الكفاية . لقد عانيت بقدر ما أستطيع أن أحتمل . إن ولدىَّ في السجن ، وها هي ابنتي قد ماتت ! لقد عانيت ما فيه الكفاية ، وسأرحل من هنا !

مدعو : ترحل ؟ ترحل دون أن تنتقم ؟

فيليب : نعم ، نعم . كفنوا ابنتي المسكينة فقط ، ولكن لاتدفنوها . فعليَّ أنا دفنها . وسأفعل هذا بطريقتي ، عند رهبان فقراء أعرفهم . وسوف يجيئون للسؤال عنها غدا . ما الفائدة من النظر إليها ؟ إنها ميتة ، فلا فائدة من ذلك ! وداعا ، يا أصدقائي ! عودوا إلى منازلكم ؛ ولتكونوا بخير !

مدعو : لا تتركوه يخرج ! لقد فقد الصواب !

آخر : ياله من شيء فظيع ! أشعر بأنني على وشك الاغماء في هذه القاعة ! (يخرج)

فيليب : لاترغموني على شيء ، ولا تحبسوني في غرفة بها جثة ابنتي ! دعوني أرحل !

مدعو : اثأر لنفسك ، يا فيليب ، ودعنا نثأر لك ! فلتكن ابنتك لويزة عندنا بمثابة لوكريس(٣٦) ! إننا سنرغم ألكساندر على أن يشرب بقية كأسها !

---

(٣٦) عن لوكريس ، انظر : ٢ ، ٣ .

آخـــر : لوكريس الحديدة ! سنقسم فوق جثمانها على الموت في سبيل الحرية ! عد إلى بيتك يا فيليب ، وفكر في وطنك ! لا ترجع فيما قلت .

فيليـــب : الحرية . الانتقام . كل هذا جميل ، ولكن ولدىَّ في السجن ، وها هى ابنتى ميتة ! وإذا بقيت هنا سيموت كل شيء حولى ! المهم أن أرحل وأن تلتزموا الهدوء . ولن يفكر أحد ، بعد ، في آل ستروتسى عندما يغلق بابـــى ونوافذى ! ولكننى سأراكم تسقطون جميعا ، بعضكم وراء البعض الآخر ، إن هى ظلت مفتوحة ! إننى طاعن في السن ، وقد حـــان الوقت لكى أغلق دكانى ! وداعا ، يا أصدقائى ولتظلوا هادئين ، ولن يفعلوا بكم شيئا إذا لم أعد موجودا هنا بعد ! سأرحل توا إلى فينتسيا !

مدعـــو : ثمـــة عاصفة مخيفة ، فابق هنا الليلـــة .

فيليـــب : لا تدفنوا ابنتى المسكينة . سيأتى الرهبـــان ، أصدقائى القدامى ، ويأخذونها . يارب العدالة ! يارب العدالة ! أية اساءة أســـأتها إليك ؟ !

(يخـــرج مسرعا)

الفصل الرابع

المشهد الأول

في قصر الدوق

يدخل الدوق ولورنزو

الدوق : ليتني كنت هناك . لا بد أن أكثر من وجه غاضب قد كان عنده ! ولكنني لا أعرف من استطاع أن يقتل بالسم لويزه هذه .

لورنزو : ولا أنا أعرف أكثر منك . . إلا أن يكون إياك !

الدوق : لا بد أن فيليب يتميز غيظاً ! يقال إنه قد رحل إلى فينتسيا . حمداً لله ! فها أنا قد تخلصت من ذلك الشيخ الذي لا يطاق . أما أسرته الكريمة فسوف تتفضل بالتزام الهدوء ! هل تعلم أنهم أوشكوا على القيام بثورة صغيرة في حيهم ؟ لقد قتلوا لي ألمانيين .

لورنزو : إن أكثر ما يثير غضبي هو أن سالفياتي ، ذلك الرجل الأمين ، قد قُطعت إحدى ساقيه . هل وجدت درعك ؟

الدوق : كلا ؛ في الحقيقة . وأنا متكدر لهذا السبب أكثر مما أستطيع أن أقول .

لورنزو : احترس من جومو . إنه هو الذي سرقه منك . ماذا ترتدي بدلاً منه ؟

الدوق : لا شيء . إنني لا أحتمل غيره . ولا يوجد درع خفيف مثله .

لورنزو : شيء مكدر بالنسبة إليك !

الدوق : إنك لا تحدثني عن خالتك !

لورنزو : لقد نسيت . إنها تعبدك ، وقد هجر النوم عينيها منذ أن علا نجم حبك في قلبها المسكين ارحمها قليلاً ، يا سيدي ، إذا سمحت ؛ وقل متى تريد أن تستقبلها ؟

الدوق : هل أنت جاد فيما تقول ؟

لورنزو : إنني جاد كالموت ذاته !

الدوق : أين أستطيع لقاءها ؟

لورنزو : في غرفة نومي ، يا سيدي . لسوف أضع الستائر البيضاء على سريري ، وإصيصاً من الخزامى على منضدتي ثم أنام بعد أن أسجل في مفكرتك أن خالتي ستكون في طريقها إليك عند منتصف الليل تماماً ، حتى لا تنساها بعد العشاء !

الدوق : إنني أبعد ما أكون عن ذلك ! آه ! إن كاترينا وجبة ملكية ! ولكن خبرني ، أيها الولد البارع ؛ هل أنت متأكد من أنها ستجيء ؟ كيف عرفت ذلك ؟

لورنزو : سأقول لك .

الدوق : سأمضي لأرى جواداً قد اشتريته أخيراً . وداعاً ، وإلى هذا المساء . تعال لتأخذني بعد العشاء ، وسنمضي سوياً إلى بيتك . أما تشيبيو فإنها تطن فوق أذني ، وبالأمس أيضاً كان لزاماً علي أن أحملها فوق ظهري طيلة الصيد(١) .

مساء الخير ، يا نديمي (يخرج)

لورنزو : (وحده) اتفقنا ، إذن ! أقوده الليلة إلى بيتى ، وغداً يرى الجمهوريون ما ينبغي عليهم أن يفعلوا ، لأن دوق فلورنسا سيكون قد مات ! يجب أن أخطر سكورونكونكولو . اسرعي أيتها الشمس إذا كنت مشوقة إلى الأنباء التى ستقولها لك هذه الليلةُ غداً ! (يخرج)

المشهد الثانى

طريق

بيير وتوماس ستروتسي « خارجين من السجن »

بيير : لقد كنت واثقاً بأن « الثمانية » سيبرئوننى وإياك أيضاً . هيا بنا ، نقرع بابنا ، ونعانق أبانا . إن هذا غريب ! النوافذ مغلقة !

---

(١) هنة طفيفة يبدو ان المؤلف لم يتلفت اليها ، فقد فاته ان الكساندر كان قد ترك الماركيزة تشيبيو (٣ : ٦) ليخرج للصيد .

البـــواب : (يفتح) واحسرتاه ! هل تعرفان الأنبـــاء ، يا سيدي ؟

بيـــير : أية أنباء ؟ إنك تبدو كشبح خارج من قبر ، على باب هذا القصر المهجور !

البـــواب : هل يمكن ألا تعلما شيئاً ؟ (يصل راهبان)

تومـــاس : وماذا كنا نستطيع أن نعلم ؟ إننا خارجان من السجن . تكلم ، ماذا حدث ؟

البـــواب : واحسرتاه ! يا سيديَّ المسكينين ؛ إنه شيء قوله فظيع !

الرهبـــان : (يقتربان) أهذا قصر آل ستروتسي ؟

البـــواب : نعم . ماذا تطلبان ؟

الراهبـــان : لقد جئنا لنأخذ جثة لويزة ستروتسي . هـــذا تفويض من فيليب لكى تسمح لنا بأن نحملها .

بيـــير : ماذا تقولان ؟ أية جثة تطلبان ؟

الراهبـــان : ابتعد يا بنى . إنك تحمل على وجهك ملامح فيليب ، وليس هنا شيء يطيب لك أن تعرفه !

تومـــاس : كيف ؟ هل ماتت ! ماتت ! يا رب السماء ! (يجلس على حدة)

بيـــير : إننى أثبت جناناً مما تظن ! من قتل أختى ؟ إن من كانت في سنها لا تموت في ليلة واحدة ، دون سبب غير مألوف من قتلها حتى أقتله ؟ أجبنى وإلا فالموت لك أنت نفسك !

البـــواب : واحسرتاه ! واحسرتاه ! من يستطيع أن يقول؟ ما من أحد يعرف شيئاً .

بيـــير : أين أبي ؟ تعال ، يا توماس ؛ لا دموع ! يا للسماء ! إن قلبى ينقبض كما لو كان يوشك أن يتجمد في صدري ، ويظل صخراً إلـــى الأبـــد !

الراهبـــان : إذا كنت ابن فيليب فتعال معنا . سنقودك إليه . إنه في ديرنا منذ الأمس .

بيـــير : ولن أعرف من قتل أختى ! أنصتا إلي أيهـــا القسيسان . إذا كنتما صورة الله فإنكمـــــا تستطيعان أن تتلقيا قسماً : بكل ما هنالك من أدوات للعقاب تحت السماء ؛ وبألوان العذاب التي في جهنم . . كلا : لا أريد أن أقـــول كلمة واحدة ! فلنسرع لأرى أبي . يا إلهى ! يا إلهى ! فليكن ما أظينه هـــو الحقيقة حتى أسحقهم تحت قدمي كحبات الرمال ! هيا ، هيا ، قبل أن أفقد قوتي ؛ ولا تقولوا لي كلمة واحدة ، فإنه ثأر لم يحلم بمثله الغضب المقدس
(يخرجون)

المشهد الثالث

طـــــريق

لورنـــــزو . سكورونكونكولـــو

لـــورنزو : عد إلى بيتك ، ولا يفتك أن تحضر في منتصف

الليل ؛ وستبقى وحدك في مكتبي حتى أجيء وأخطرك .

سكورونكونكولو : نعم ؛ يا سيدي (يخرج)

لورنزو : (وحده) بأي نمر حلمت بي أمي ، وهي بي حبلى ! عندما أذكر أنني أحببت الأزهار والمراعي وأغاني بترارك(٢) ! إن طيف الشباب ينهض أمامي مرتعداً ! يا إلهي ! لماذا تجعل هذه الجملةُ الواحدةُ : « في هذا المساء » هذه الغبطةَ المشتعلةَ تخترق عظامي كحديد أحمر ؟ من باطن أي وحش ، ومن حضن أي حيوان كثيف الشعر خرجتُ إذن ؟ أي شيء كان يفعله بي هذا الرجل ؟ عندما أضع يدي هنا ، على قلبي ، وأفكر . . . من سيسمعني أقول غداً : « لقد قتلته » دون أن يجيبني بقوله « لماذا قتلته ؟ » . . إن هذا لغريب ! لقد أساء إلى الآخرين ولكنه قد أحسن إلي بطريقته على الأقل ! ولو أنني ظللت ساكناً – في أعماق وحدتي ، في كافادجيولو(٣) – لما جاء يبحث عني هناك ، وقد جئت أنا أبحث عنه في فلورنسا ! لماذا ؟ هل كان شبح أبي يقودني – كأوريست – نحو ايجست

---

(٢) شاعر ايطالي من كبار فناني عصر النهضة . وقد اشتهر باشعاره العامية .. وقصائده التي كتبها في حبيبته لورا (١٣٠٤ – ١٣٧٤) والي براءة هذا الحب يشير لورنزو .

(٣) قرية قريبة من فلورنسا ، وفيها قضى لورنزو اغلب ايام طفولته .

جديد(٤) ؟ هل كان يسيىء إلي حينذاك ؟ شيء غريب ! ولكننى تركت كل شيء لإتمام هذا العمل . وأسقطَتْ فكرةُ الاغتيال الوحيدةُ هذه أحلامَ حياتي في التراب ! وما كنت إلا حطاماً منذ أن وقف هذا الاغتيال في طريقي كغراب شؤم . ودعاني إليه ! ما معنى هذا ؟ لقد سمعت منذ قليل . وأنا أعبر الطريق . رجلين يتحدثان عن نجم مذنب(٥) ! أهي دقات قلب بشري . هذه التى أحس بها تحت عظام صدرى ؟ أواه ! لماذا تراودني هذه لفكرة كثيراً متذ بعض الوقت ؟ هل أنا ذراع الرب ؟ هل توجد سحابة فوق رأسي ؟ أخشى — عندما أدخل تلك الغرفة . وأريد أن أجرد سيفى من غمده — أن أجرد سيف رئيس الملائكة المشتعلَ ، وأن أسقُطَ فوق ضحيتى رماداً ! (يخرج)

---

(٤) فى الاساطير اليونانية ان كلوتمنسترا زوجة اجامنون ، ملك آرجوس ، قد قتلته بالاشتراك مع عشيقها ايجست ، فقتلها ابنها اوريست انتقاما لأبيه ،بالاشتراك مع اخته الكترا .

ولكن شبح الاب هنا يذكرنا بهاملت — فى مسرحية شكسبير — اكثر مما يذكرنا باوريست .

(٥) يعتبر ظهور النجم المذنب نذيرا بحدث خطير .

المشهد الرابع

عند الماركيزة تشيبو

يدخل الكاردينال والماركيزة

الماركيزة : كما تشاء ، يا مالاسبينا .

الكاردينال : نعم ؛ كما أشاء . فكري مرتين ، أيتها الماركيزة ، قبل أن تلعبى بي ؟ هل أنت امرأة كالأخريات ؟ وهل ينبغي أن أحمل سلسلة ذهبية حول عنقى(٦) ، وتفويضاً في يدي ، لتعرفي من أكون ؟ هل تنتظرين أن يهتف خادم بأعلى صوته ، وهو يفتح باباً أمامي ، لتعرفي قدرتي ؟ اعلمى هذا : ليست الألقاب هى التى تصنع الرجل . وما أنا بمبعوث من البابا ، ولا بقائد لجيش شارلكان . إننى أكثر من هذا !

الماركيزة : نعم ؛ أعرف هذا . لقد باع قيصر ظله للشيطان . وهذا الظل الامبراطوري يتجول في رداء أحمر ، تحت اسم تشيبو ! .

الكاردينال : اذكرى أنك عشيقة ألكساندر ؛ وسرك بين يدىَّ !

الماركيزة : افعل به ماتشاء ، وسوف نرى ما يستطيع كاهن اعتراف أن يجعل من ضميره !

الكاردينال : أنت مخطئة ، فإننى لم أعرفه من اعترافك . لقد

---

(٦) كما يفعل رسل الملك او الامير .

رأيته بعينى . لقد رأيتك تعانقين الدوق ! ولو كنت أقررت لى به في الاعتراف ، لكان في مقدورى أن أعلنه أيضا بلا وزر ، مادمت قد رأيته خارج الاعتراف !

المـــاركيزة : حسنا ! وبعد ؟

الكاردينـــال : لمـــاذا كان الدوق يتركك في خطو متثاقـــل ، وهو يتنفس الصعداء كتلميذ عند دق الجرس ؟ لقد أتخمته بوطنيتك التى تمتزج ، كالشراب المـــاسخ ، بجميع الأطعمة على مائدتك ! أىّ كتب قرأتِ ، وأية عجوز نكدة كانت مربيتك حتى أنك لاتعرفين أن عشيقة الملك تتحدث عادة في شيء آخـــر غير الوطنية ؟

المـــاركيزة : أعترف بأنهم لم يوضحوا لى قط ما ينبغى أن تتحدث فيه عشيقة الملك ! ولقد أهملت تعلم هذه النقطة كما لعلنى قد أهملت أكل الأرز لكى أسمن على الطريقة التركية !

الكاردينـــال : إن الاحتفاظ بعشيق ، أكثر قليلا من ثلاثة أيام ، لايحتاج إلى علم واسع !

المـــاركيزة : لو أن قسيسا لقن امرأة هذا العلم لكان شـــيئا بسيطا للغاية ! أى شيء لم تنصحنى به ؟

الكاردينـــال : هل تريد أن أنصحك ؟ خذى معطفك ، وادلفى إلى مخدع الدوق . وإذا توقع منك كلاما كثيرا ، عندما يراك ، فأثبتى له أنك لا تفعلين هـــذا في

كل وقت ! وكونى أشبه بمن تسير وهى نائمة ..
وإن غفا على هذا القلب الجمهورى ، فاعملى
على ألا يكون هذا بسبب الملل ! هل أنت
عذراء ؟ ألم يعد ثمـة نبيذ قبرصى ؟ أما من
حكاية مفرحة في أعماق ذاكرتك ؟ ألم تقـرئى
لاريتـان (٧) ؟

المـاركيزة : ياللسماء ! لقد سمعت كلمات كهذه توسوس
بها عجائز قبيحات ، يرتعدن من البرد ، في
« السوق الجـديد » . هل أنت رجل ، إذا لم
تكن قسيسا ؟ هل أنت واثق بأن السماء خالية ،
حتى تجعل حمرة الخجل تسرى في ردائك
الأرجوانى ذاته ؟

الكاردينـال : مامن شيء يعدل في عفته أذن امرأة سـاقطة !
تظاهرى أولا تتظاهرى بأنك تفهمينى ، ولكن ،
تذكرى أن أخى هو زوجك !

المـاركيزة : إننى لا أستطيع أن أدرك في غير غموض أى
مصلحة لك في تعذيبى هكذا ! إننى أبغضـك
بغضا شديدا ! ماذا تريد منى ؟

الكاردينـال : هنالك أسرار لا ينبغى أن تعرفها المرأة ، ولكنها
تستطيع أن تنجح عندما تعرف جوهرها .

المـاركيزة : أى خيط خفى من أفكارك المظلمة تريد أن
تجعلنى أمسك به ؟ إذا كانت رغباتك مخيفـة

---

(٧) شاعر ايطالى هجاء ، وكاتب اباحى،ولد فى مدينة اريتزو (١٤٩٢ - ١٥٥٦).

كتهديداتك فتكلم ! أرني على الأقل تلك الشعرة التي تعلق السيف فوق رأسي (٨) !

الكاردينال : إنني لا أستطيع أن أتكلم إلا بعبارات مبهمة لأنني غير واثق بك ! وحسبك أن تعرفي أنك لو كنت امرأة أخرى لكنت ماكة في هذه الساعة ! وما دمت تسمينني ظل قيصر ، فقد رأيتِ أنه ظل كبير بالقدر الذى يكفى لأن يحجب شمس فلورنسا ! هل تعرفين إلى أين يمكن أن تقود ابتسامة امرأة ؟ إن ألكساندر ابنٌ لبابا . وعندما كان هذا البابا في بولونيا . . . ولكنني أترك نفسي تنساق إلى بعيد !

المــاركيزة : حاذر أن تعرّف بدورك ! لئن كنتَ أخا زوجي فأنا عشيقة ألكساندر !

الكاردينال : لقد كنتها أيتها الماركيزة ، وكثيرات غيرك أيضا

المــاركيزة : لقد كنتها ، نعم ؛ أشكر الله ! لقد كنتها(٩) !

الكاردينال : لقد كنت واثقا بأنك ستبدئين بأحلامك ، ولكنك لابد أن تعودى ذات يوم إلى أحلامي . انصتّي إليّ ؛ إننا نتشاجر بغير مناسبة . ولكنك تأخذين كل شيء مأخذ الجد ، في الحقيقة !

---

(٨) اشارة الى « سيف داموكليس »· وكان داموكليس هذا نديما لحاكم سيرا قوسه – الرابع قبل الميلاد – وكان يزهو بمكانته لديه ، فدعاه الحاكم الى وليمة واجلسه فى مكانه ، ثم وضع فوق راسه سيفا معلقا بشعرة من ذيل حصان ، حتى اذا رفع راسه ، وراى ذلك السيف ، تبين مدى غروره وعبث اطمئناله !

(٩) اى ان ذلك شيء قد أصبح فى ذمة الماضى ·

تصالحي مع ألكساندر . ومادمت قد جرحت مشاعرك الآن ، عندما ذكرت لك كيف تفعلين ذلك ، فلا أرى فائدة من تكراره . كوني سهلة القياد . وفي خلال عام ، أو في خلال عامين ، ستشكرينني ! لقد عملتُ وقتا طويلا لكي أكون ما أنا . وإني لأعرف إلى أين أستطيع أن أمضي . ولو كنت واثقا بك لقلت لك أشياء لن يعرفها كائن ابدا . .

المـــاركيزة : لا تأمل في شيء ، وثق بأنني أحتقرك ! (تريد أن تخرج)

الكاردينـــال : لحظة واحدة ! ليس بهذه السرعة ! ألا تسمعين صوت جواد ؟ ألا ينبغي أن يجيء أخي اليوم أو غدا ؟ هل تعرفينني رجلا ذا كلمتين ؟ اذهبي إلى القصر وإلا هلكتِ !

المـــاركيزة : إنني أفهم أن تكون طموحا ، وأن تكون الوسائل كلها صالحة لديك ، ولكن : هلا كان حديثك أوضح من هذا ؟ هيا ، ياماالاسبينا ؛ إنني لا أريد أن أيأس من فسادى كل اليأس . اذا كنت تستطيع أن تقنعني فافعل ، وحدثني بصراحة . ماغرضك ؟

الكاردينـــال : إنك لن تيئسي من إقناع نفسك . أليس هـــذا صحيحا ؟ هل تعتبرينني طفلا ، وهل تعتقدين أنه يكفي لفتح شفتيّ أن تدعكيهما بالعسل ؟ اعملي أولا ، وبعدها أتكلم ! ويوم يكون لك

السلطان الضرورى كامرأة . لا على عقل ألكساندر دوق فلورنسا ، ولكن على قلبه ألكساندر عشيقك ، سأخبرك بالباقي ،وستعرفين ما أنتظره !

المـــاركيزة : وهكذا سيكون لزاما عليّ بعد أن أقرأ لاريتان ليعطيني خبرةً أولى ، أن أقرأ كتاب أفكارك السريّ لأكتسب خبرة ثانية ؟ هل تريد أن أقول لك ، أنا ، مالا تجرؤ على أن تقوله لى ؟ إنك تخدم البـــابا إلى أن يجد فيك الامبراطور خادما أحسن من البـــابا نفسه ! إنك تأمل أن يدين لك قيصر ذات يوم — حقيقةً . وكليةً — بعبودية إيطاليا ، ويومئذ . . . . أوه ! يومئذ ، أليس كذلك ؟ يومئذ يستطيع ذلك الذى هو ملك نصف الدنيا أن يمنحك ميراث السموات الهزيل مكافأة لك (١٠) ! إنك لكى تحكم فلورنسا ، إذ تحكم الدوق ، حرى بأن تجعل من نفســك امرأة على التو ، إذا استطعت ! وعندماتُحْدِثُ ريتشياردا تشيبو ، المسكينة ، انقلابين أو ثلاثة
ريتشياردا تشيبو ، المسكينة ، انقلابين أو ثلاثة
في تفكير ألكساندر ، يضيف الناس على التـــو أن ريتشياردا تشيبو تقود الدوق ، ولكن أخا زوجها يقودها ! وكما تقول : من يدرى إلى أى مدى ستدفع دموع الشعوب بسفينتك بعد أن

---

(١٠) تقصد التاج البابوى .

تصير بحـــرا ؟ أهو شيء قريب من هذا ؟ إن خيالى لا يستطيع أن يذهب إلى الحد البعيد الذى يذهب إليه خيالك ، من غير شك ، ولكننى أعتقد أنه شيء قريب من هذا . !

الكاردينـــال : اذهبي الليلة إلى قصر الدوق وإلا هلكتِ !

المـــاركيزة : هلكت ؟ وكيف يكون ذلك ؟

الكاردينـــال : سيعرف زوجك كل شيء !

المـــاركيزة : افعلها ! افعلها ، وسأقتل نفسى !

الكاردينـــال : تهديد امرأة ! انصتى إلىّ . ســـواء أكنت قـــد أحسنت فهمى أو أسأته ، فاذهبي الليلة إلى قصر الدوق !

المـــاركيزة : كلا !

الكاردينـــال : هاهو زوجك يدخل الفناء . قسما بكل مقدس في الدنيا ، سأروى له كل شيء ، إذا قلت « كلا » مرة أخرى !

المـــاركيزة : كلا ، كلا ، كلا ! (يدخل الماركيز) لوران ، لقد استسلمت للدوق وأنت في ماسا . لقـــد استسلمت وأنا أعرف من هو ، وأى دور حقير سألعبه ! ولكن ؛ هاهو ذا قسيس يريد أن يرغمني على أن ألعب دورا أحقر منه أيضا ! إنه يعرض علىّ أشياء فظيعة ليضمن لى لقب عشيقة الدوق ، ويحوله لمصلحته ! (تسقط على ركبتيها) .

المــاركيز : هــل أنت مجنونة ؟ ماذا تعني بقولهــا هذا ، ياماﻻسبينا ؟ تكلم ! إنك جامد كتمثال ! أتكون هذه لعبة ، ياكاردينال ؟ تكلم ! ماذا ينبغي عليّ أن أعتقد ؟

الكاردينــال : آه ! يا إلهي ! (يخــرج)

المــاركيز : لقد أغمى عليها ! أنتم ، هناك ! هاتوا خلاً !

المشهد الخامس

غــرفة نــوم لورنــزو

لورنــزو . خادمــان

لورنــزو : بعد أن تضعا هذه الأزهار على المنضدة . وهذه بجانب الفراش ، ستوقدان نارا كافية ، ولكن بطريقة تجعل لهيبها لا يرتفع الليلة ، وتجعل الفحم يسخن دون أن يتوهج ، ثم تعطياني المفتاح ، وتذهبان للنوم (تدخل كاترينا)

كاترينــا : إن أمنا مريضة . ألا تجيء لتراها ، يالورنزو ؟

لورنــزو : أمي مريضــة ؟ !

كاترينــا : وا أسفاه ! إنني لا أستطيع أن أخفى عنك الحقيقة ! لقد تسلمتُ بالأمس رسالة من الدوق ، يقول لى فيها إنك حدثتني عن حبه إياى ، حتما ! وقد آلمت قراءة هذه الرسالة مارى كثيرا !

لورنــزو : ولكنني لم أحدثك عن ذلك ! ألم تستطيعى أن تقولى لها إنني لم تكن لى علاقة بشيء ؟

كاترينـــا : لقد قلت لها . مابال غرفتك اليوم جميلة ، وفي هذه الحالة الحسنة ؟ لم أكن أعتقد أن روح النظام قد أصبحت مديرة بيتك !

لورنـــزو : لقد كتب إليك الدوق ، إذن ؟ انه لشيء غريب انى لم اعرف هذا قط ! و . . . ما رأيـــك في رسالته ؟

كاتريـــا : ما رأيي ؟

لورنـــزو : نعم ، في تصريح الكساندر ! كيف يراه هذا القلب الصغير ، البرىء ؟

كاترينـــا : ماذا تريد ان ارى ؟

لورنـــزو : ألم تداعبك الاماني ؟ غرام يثير حسد الكثيرات ! ولقب جميل تكتسبينه : عشيقة الـ . . . اذهبي ، ياكاترينا ، اذهبي ، وقولي لامي انى قـــادم وراءك . اخرجى من هنا ! اتركيني ! (تخرج كاترينا) يا الهى ! اى رجل من الشمع انـــا ! هل تغلغلت الرذيلة في اعماقي ، واتحدت بألياف جسدى كثوب ديجانيرا (١١) ، فلم اعـــد استطيع ان احكم لساني ، واصبح الصـــوت الذى يخرج من شفتيّ داعراً برغمى ؟ لقـــد كنت بسبيل إفساد كاترينا ! واعتقد بأنـــني

---

(١١) فى الاساطير اليونانية ان نيسوس كان قد اغوى ديجانيرا ، زوجة هرقل فحكم عليه هذا بالموت ، فارسل نيسوس اليها رداء مسموما ، واوهمها بان به سحرا يبعث الحب فى قلب من يرتديه ، فلما اهدته الى زوجها وارتداه ، سرت فى جسده نار فظيعة ، ولم يحتملها فقتل نفسه !

خليق بإفساد أمي إذا خامرتني هذه الفكـــرة !
ويعلم الله أي وتر ، وأي قوس شده الأرباب
في رأسي ، واية قوة في الاسهم التي تخــــرج
منه ! ولو كان البشر كلهم شرارات صغيرة من
موقد كبير ، فلابد ان المجهول الذي جبلني قد
اسقط جذوة من النار بدلامن شرارة ، في هذا
الجسد الواهن ، المترنح ! انني استطيـــع ان
اتروى ، واختار ، ولكنني لا استطيع أن أرتد
على اعقابي بعد ان اكون قد اخترت . يا الهي !
ألا يزهو الشباب المحدثون بكونهم أشرارا ؟
وهل يجد الصغار الخارجون من الكلية شـيئا
اكثر إلحاحا من الفساد (١٢) ؟ فأي سيل مـن
الوحل هو الجنس البشري الذي يتدافع هكذا في
المواخير بشفاه جائعة الى الفجور ، في حين انني
ـ أنا الذي لم يشأ أن يتخذ الا قناعا شبيهـــا
بوجوههم ـ لا أستطيع أن استرد ذاتي ، ولا أن
اغسل يدي حتى بالدم ! ايتها المسكينة كاترينا !
لقد كنت خليقة بأن تموتي كما ماتت لويـزه
ستروتسي ، او تسقطي كما سقطت الكثيرات
في الهوة الابدية ، إذا لم اكن هنا ! ايــــه ،
يا الكساندر ! ما أنا بالتقي ،ولكنني أريد حقا ن
تصلي قبل مجيئك الليلة إلى هذه الغرفة (١٣)

---

(١٢) هذه لمحة من حياة موسية سجلها في روايتـه : « اعتراف فتى مـن فتيـان العصر » .

(١٣) لمحة من شكسبير ، حيث يطلب عطيل من ديد مونة ان تصلي قبل ان يقتلها بينما يرفض هاملت ان يقتل عمه وهو يصلي حتى لا تشمله رحمة الله .

ولو ان كاترينا لم تكن فاضلة ولا عيب فيها ،
فكم من قول كان ينبغى مع ذلك أن يقال حتى
أجعل من هذه الحمامة العزيزة فريسة لهـــذا
الجلاد ذى الشعر الاحمر ! عندما أذكر انـــني
كدت أتكلم ! وكم من فتيات ملعونات من
آبائهن يتجولن الآن حـــول الحدود أو ينظرن
لى رؤوسهن الحليقة (١٤) في مرآة مهشمـــة
بزنزانة ، وقد كن مثل كاترينا في كل شيء ،
ثم اصغين الى قواد أقل براعة مني ! حســـنا !
لقد اقترفتُ الكثير من الجـــرائم . واذا وضعت
حياتي ذات يوم في ميزان قاض ، أيـــا كان ،
فسوف يكون جبل من النحيب في أحـــــــد
الجانبين ، إلا انه قد يكون في الجانب الآخـــر
قطرة واحدة من اللبن الطاهر ، منسكبة مـــن
صدر كاترينا ، وتكون قد غذت اطفالاشرفاء !
(يخـــرج)

المشهد السادس

واد . دير في صدر المكان

يدخل فيليب ستروتسي وراهبان . رهبـــــان
مبتدئون يحملون نعش لويزه ويضعونه في قبر .

فيليـــب : دعوني اقبلها قبل ان تضعوها في مثواها الأخير ،
لقد كانت تنام فأنحني فوقها هكذا لأمنحهـــا

(١٤) كانت الفتيات المنحرفات يعاقبن بحلق رؤوسهن فى السجون .

قبلة المساء ! وكانت عيناها الساجيتان تنطبقان
هكذا ، في نصف اغماضة ، ولكنهما كانتـا
تنفتحان ثانية ،مع أول شعاع من اشعةالشمس،
كزهرتين بلون السماء ! وكانت تنهـض في
هدوء ، والبسمة على شفتيها ، فترد الى ابيهـا
الشيخ قبلة الامس ! لقد كان وجهها الملائكى
يجعل لحظة سعيدة من لحظة بالغة الشقاء : تلك
التى يستقيظ فيها رجل قد سئم الحياة ! لقـد
كنت أرى الفجر فأقول : يوم آخر ، وخط
آخر للمحراث في حقلي ! ولكننى كنت ألمح
ابنتى عندئذ فتبدو لى الحياة صورة من جمالها ،
وأرحب بضوء النهار !

(يغلقون القـبر)

بيرستروتسى : (وراء الكواليس) من هنا . تعال من هنا .

فيليـب : لن تنهضى من نومك بعد الآن ، ولن تضعـى
قدميك العاريتين فوق هذا العشب مرة أخـرى
لتبحثى عن ابيك ! ياعزيزتي لويزه ! لم يعرف
غير الله من كنت ، وغيرى ، أنا ، أنا ، أنا !

بيـير : (داخلا) إنهم في سستينو(١٥) مائة رجـل
قادمون من بييمون (١٦) .تعال يافيليب، لقد
مضى وقت الدمـوع !

فيليـب : يابنى ، هل تعرف ماوقت الدمـوع ؟

---

(١٥) مدينة صغيرة بالقرب من اريتزو .
(١٦) اقليم فى شمال ايطاليا ، بين جبال الالب والابينين .

بيـــير : لقد اجتمع المنفيون في سستينو ، وهذا وقـــت التفكير في الانتقام ! فلنتقدم بلا تردد نحـــــو فلورنسا بجيشنا الصغير . ولو استطعنا ان نصل في اللحظة المناسبة ليلا ، ونفاجىء نقط الحراسة في القلعة ، لا نتهى كل شيء . وحق السماء ! لأشيدن قبرا فاخرا لأختي غير هذا !

فيليـــب : لن أذهب ، أنا . اذهبوا بدوني ، أيها الأصدقاء

بيـــير : إننا لا نستطيع ان نستغنى عنك . ولتعلـــم ان الحلفاء يعتمدون على اسمك ، وفرنســـوا(١٧) الأول نفسه ينتظر منك حركة في سبيل الحرية ! انه يكتب اليك كما يكتب الى قادة الجمهوريين الفلورنسيين ، وهذه رسالته .

فيليـــب : (يفتح الرسالة) قل لمن حمل اليك هذه الرسالة أن ينقل الى ملك فرنسا هذا الجواب : « يوم ان يحمل فيليب السلاح في وجه وطنه يكون قـــد أصبح مجنونا » !

بيـــير : ما هذا القرار الجديد ؟

فيليـــب : انه هو الذى يليق بي !

بيـــير : وهكذا تخسر قضية المنفيين لكى تستمتع بانشاء جملة خطابية ؟ احترس يا ابي.إنها ليست مسألة فقرة من بلينى (١٨) ! فكر قبل ان تقول : لا !

---

(١٧) ملك فرنسا ، والخصم العنيد لشارل الخامس (١٤٩٤ ـ ١٥٤٧) وهو هنا يمهد لاجتياح اقليم توسكاني ، وعاصمته فلورنسا ، فيما بعد .

(١٨) كان فيليب يدرس اعمال بلينى الكبير (الذى قتله بركان فيزوف عام ٧٩ ب . م) . وقد حقق كتابه فى التاريخ الطبيعى .

فيليب : إننى أعرف ، منذ ستين عاما ، ماينبغى أن أرد به على رسالة ملك فرنسا !

بيير : هذا شيء يفوق كل تصور ! إنك سترغمنى على أن أقول لك أشياء معينة . . . تعال معنا ، يا أبى ، أتوسل إليك ! ألم تقل لى : « خذنى معك » عندما كنت ذاهبا إلى بيت عائلة باتسى ؟ هل كان الموقف مختلفا حينذاك ؟

فيليب : مختلفا جدا ! إن أبا مهانا ، يخرج من بيته شاهرا سيفه مع أصدقائه لكى يطالب بالعدالة ، جد مختلف عن رجل متمرد . يحمل السلاح ضد وطنه في الخلاء . ودون اعتبار للقوانين !

بيير : لقد كنا نطالب بالعدالة . وكنا نعمل في سبيل القضاء على ألكساندر . فماذا تغير اليوم ؟ إما أنك لاتحب وطنك . وإما أنك ستستفيد من فرصة كهذه !

فيليب : فرصة ! يا إلهى ! هذه فرصة ؟ ! (يضرب القبر)

بيير : كن لينا ، واستجب !

فيليب : ليس حزنى بالمغرض أو الطموح ! اتركنى وحدى ؛ لقد قلت ما يكفى !

بيير : أيها الشيخ العنيد ! أيها القوال القاسى للحكم والأمثال ! ستكون سببا في هلاكنا !

فيليب : اسكت ، أيها الوقح ! اخرج من هنا !

بيير : إننى لا أستطيع أن أذكر مايعتمل في صدرى !

اذهب إلى حيث تشاء ، وسنعمل بدونك هذه المرة . نعم ! وحق الله ! لن يقال إن كل شيء قد ضاع نتيجة لغياب مترجم عن اللاتينية !
(يخـــرج)

فيليـــب : لقد جاء يومك ، يا فيليب ! هذا كله يدل على أن يومك قد جاء !

المشهد السابع

شاطيء الآرنو . رصيف . يشاهد صف طويل من القصور

لورنـــزو : (داخلا) هاهي الشمس تغرب ، وليس عندى وقت أضيعه ، بينما يبدو أن الكل هنا وقتـــه ضائع ! (يقرع بابا) ياهو ! ياسيد ألامانو ! ياهـــو !

ألامانـــو : (في شرفته) من هناك ؟ ماذا تريد مني ؟

لورنـــزو : جئت أخطرك بأن الدوق سيقتل حتما هـــذه الليلة ! فلتأخذ أهبتك مع أصدقائك ، إذا كنتم تحبون الحـــرية !

ألامانـــو : ومن الذى سيقتل ألكساندر ؟

لورنـــزو : لورنـــزو دى مديتشى !

ألامانـــو : أهذا أنت يارنزيناتشو ؟ آه ! ادخل إذن ، وتناول عشاءك مع قوم أفاضل في قاعتى !

لورنـــزو : لا وقت عندى . تأهب للعمل غدا .

ألامانـــو : هل تريد — أنت — أن تقتل الدوق ؟ قل شـــيئاً آخر ! لقد أسرفت في الشراب . وأدارت الخمر رأسك ! (يدخل)

لورنـــزو : (وحده) لعلى أخطىء عندما أقول لهم إنه أنا من سيقتل ألكساندر ، فإن العالم كله يرفض أن يصدقنى (يقرع بابا آخر) ياهو ! ياسيد باتسى ! ياهـــو !

باتســـى : من ينـــادينى ؟

لورنـــزو : جئت أقول لك إن الدوق سيقتل الليلة ! حاول ان تعمل غدا من اجل حرية فلورنسا

باتسي : ومن ياترى سيقتل الدوق ؟

لورنـــزو : لايهم ! اعمل دائما . أنت وأصدقاؤك . لا استطيع أن اذكر لك اسم الرجل !

باتســـى : إنك مجنون وغريب الأطوار ! اذهب الى الشيطان ! (يدخـــل)

لورنـــزو : (وحده) واضح أن تصديقهم إياى سيقل أيضاً إذا لم أقل إنه أنا (يقرع بابا) ياهو ! ياســـيد كورسينى !

حاكم القلعـــة : من هـــذا ؟

لورنـــزو : سيقتل الدوق ألكساندر هذه الليلة !

حاكم القلعـــة : حقا ، يالورنزو ؟ ! إذا كنت مخمورا فامزح في مكان آخر ! لقد جرحت لى جوادا . بغير مناسبة ، في حفل عائلة نازى ، عليك اللعنة ! (يدخل)

حاكم القلعـــة : حقا ، يالورنزو ؟ ! إذا كنت مخمورا فامـــزح في مكان آخر ! لقد جرحت لى جوادا ، بغير

مناسبة ، في حفل عائلة نازى ، عليك اللعنـــة !
(يدخل)

لورنـــزو : فلورنسا المسكينة ! فلورنسا المسكينة ! (يخرج)

المشهد الثامن

سـهل

يدخل بيـــير ستروتسي ومنفيـــان

بيـــير : لا يريد أبى أن يجيء . وكان مستحيلا علىّ أن أجعله يصغي إلى صوت العقل !

المنفي الأول : لن أقول هذا لزملائى . إنه يدفعهم إلى الفرار !

بيـــير : لمـــاذا ؟ اركبوا جيادكم هذا المساء ، واذهبوا بأقصى سرعة إلى سستينو . وسأكون هناك في صباح الغـــد . قولوا إن فيليب قد رفض ، ولكن بيـــير لا يرفض !

المنفي الأول : إن الحلفاء يريدون اسم فيليب ، ولن نفعل بدونه شـــيئا !

بيـــير : إن اسم عائلة فيليب هو اسمى نفسه . قولوا إن ستروتسي سيجيء ، وهذا يكفى .

المنفي الأول : سيسألونني عمن يكون من آل ستروتسي ، وما من شيء سيتم إذا لم أقل إنه فيليب .

بيـــير : أيها الغبي ! افعل مايقال لك ، ولا تجب إلا عن نفسك ! كيف تعرف مقدما أن شيئا لن يتم ؟

المنفى الأول : لا ينبغى ، أيها السيد ، أن تساء معاملة الناس !

بيـــير : هيا ! اركب جوادك ، واذهب إلى سستينو !

المنفى الأول : الحق ياسيدى أن جوادى متعب . لقد قطعت اثنى عشر فرسخا في الليل ، ولا أريد أن أسرجه في هذه الســـاعة .

بيـــير : ما أنت إلا أحمق ! (إلى المنفى الآخر) اذهب أنت ! ستتصرف خيرا منه !

المنفى الثـــانى : ليس الزميل مخطئا فيما يتعلق بفيليب . ولا شك في أن اسمه سيخدم القضية .

بيـــير : جبناء ! سفهاء قد فقدوا عزائمهم ! إن من يخدمون القضية هم نساؤكم وأطفالكم الذين يموتون جوعا ! هل تسمعان ؟ إن اسم فيليب سيملأ أفواههم ولكنه لن يملأ بطونهم ! يالكم من خنـــازير !

المنفى الثـــاني : يستحيل التفاهم مع رجل فظ كهذا ! فلنرحل أيها الزميل !

بيـــير : غر أيها الوغد ! وقل لحلفائك إن ملك فرنسا يريدني ، إذا لم يكونوا يريدونني ، وأن يحذروا أن يجعل لي سلطاناً عليكم جيمعاً !

المنفي الثـــاني : (إلى الآخر) فلنذهب للعشاء يا زميلي . لقـــد أعياني التعب مثلك (يخرجان) .

المشهد التاسع

ميـــــدان . في الليـــــل

لـــورنزو : (يدخل) سأقول له إن الدافع إلى ذلك هــو الحياء ، وآخذ المصباح . . . إن هذا يحدث دائماً . . . إن المتزوجة حديثاً ، على سبيل المثال ، تطلب ذلك من زوجها لتدخل مخدع الزوجية . وكاترينا مفروض أنها فاضلة للغاية . . البنت المسكينة ! من الفاضلة تحت الشمس إذا لم تكن هي ! لقد كان يمكن أن تموت أمــــي بسبب هذا كله !

هكذا يتم كل شيء . صبراً ! إن ساعة من الزمان إنما هي ساعة لا تزيد ؛ وقد دقت الساعة الآن . وإذا أصررتَ رغم ذلك(١٩) ؟. كلا ؛ لماذا ؟ أبعد المصباح إذا شئت . إنـــه شيء بسيط للغاية عندما تبيح امرأة نفسها أول مرة . . . أدخل إذن . وتدفأ قليلاً إذن . . . أوه ! نعم ؛ نزوة فتاة صغيرة لا غير ! . . وأي دافع إلى هذا الاغتيال يمكن تصديقه ؟ إنه يمكن أن يدهشهم ؛ حتى فيليب !

هذا أنت ، أيها الوجه الشاحب ! (يظهر القمر) لو كان الجمهوريون رجالاً ، فأي ثورة كانت خليقة بأن تقوم غداً في المدينـــة !

(١٩) في هذا الجزء الاول من المنولوج يتخيل لورنزو مجيء الدوق ، وخطته لاظلام الغرفة ، وما سيقوله الدوق ردا عليه ، الى جانب افكاره هو وتاملاته .

ولكن بيير ذو مطامع ، وآل روتشيلاي وحدهم يساوون شيئاً . . . آه ! الكلمات ، الكلمات والأقوال الأبدية ! شيء مضحك جـداً في الحقيقة ! . . أيتها الثرثرة البشرية ! أيهـا القاتل الكبير للأجساد الميتة ! والمحطم الكبير للأبواب المفتوحة ! أيها الإنسان العاجز !

كلا ، كلا ؛ لن آخذ المصباح . . سأتجه إلى القاب مباشرة ، وسيرى نفسه مقتولاً . وسيقف الناس غداً في النوافذ !

إلا أن يكون قد اتخذ لنفسه زردا جديداً أو درعاً ! اختراع ملعون ! لأهون على المرء أن يصارع إلهاً أو شيطاناً ، ولا يصارع خيوطاً من حديد منسوجة بيد صانع الأسلحة القذرة ! سأدخل بعده . وسيضع سيفه هنا . . أو هنا . . نعم ؛ فوق الأريكة . . أما حمالة السيف التي تلتف حول المقبض فأمرها يسير . وإذا خطر له أن يرقد في الفراش لكانت تلك هي الفرصة الحقيقية ! راقداً أم جالساً أم واقفاً ؟ جالسـاً بالحرى ! سأبدأ بالخروج. إن سكورونكونكولو محبوس في غرفة المكتب . ثم نأتي بعد ذلك . . نأتي ! ولكنني لا أريـد أن يـدير ظهـره . وسأذهب إليه مباشرة . آه ! اسكت ، اسكت ! توشك الساعـة أن تحين . . . يجب أن أذهب إلى حانة ما . إنني لا أدرك أن البرد يشملني ،

وسأفرغ قنينة من الخمر . كلا ؛ لا أريد أن
أشرب ! إلى أين أمضى ، إذن ؟ الحانات مغلقة !

أهي فتاة فاضلة ؟ . . نعم ؛ في الحقيقة . .
في قميص نومها ؟ أوه ! كلا ، كلا ؛ لا أظن
ذلك ! أيتها المسكينة كاترينا ! لو ماتت أمي
من جراء هذا كله لكان شيئاً يدعو إلى الأسى !
ولو كنت ذكرت لها خطتي فماذا كنت
أستطيع أن أفعل ؟ لم يكن ذلك ليجعلها تستريح
بل كان حرياً بأن يجعلها تقول : « جريمة !
جريمة ! » حتى تلفظ النفس الأخير ! لا أدرى
لماذا أسير ؟ إننى أسقط إعياء (يجلس على مقعد)
مسكين أنت ، يا فيليب ! ابنة جميلة كالنهار .
جلست بالقرب منها مرة واحدة ، تحت
شجرة الكستناء ، وكنت أرى يديها الصغيرتين
البيضاوين ولشد ما كان ذلك يؤثر في نفس
الإنسان ! كم من أيام قضيتها ، أنا نفسي ،
جالساً تحت الأشجار ! أواه ! يا له من هدوء !
ويا له من أفق في كافادجيولو ! لقد كانت
جانيت — ابنة البواب ، الصغيرة — جميلة ،
وهي تجفف غسيلها ! كيف كانت تطرد
الأغنام التى أخذت تسير فوق ثيابها المنشورة
على الحشائش ، وكانت العنزة البيضاء ترجع
دائماً بقوائمها الطويلة ، الرفيعة (تدق الساعة)

آه ! آه ! يجب أن أذهب إلى هناك . مساء الخير ،

يا حبيبي ! هيا . إذن . . اشرب نخبك مـــع جومو . . هنيئاً ! لسوف يكون شيئاً طريفاً أن يخطر له فيسألني : هل غرفتك منعزلة ؟ هل يسمع الجيران شيئاً ؟ لسوف يكون شيئاً طريفاً ! آه ! لقد أعددنا لذلك عدته ! نعم ؛ إذا خطرت له هذه الفكرة لكانت شيئاً يدعو إلى الضحك !

إنني أخطىء تقدير الوقت ، فما هـــو إلا نصف الساعة ه ما هذا الضوء إذن ، تحت ظلة الكنيسة ؟ إنهم ينحتون ، ويحركـــون الأحجار . يبدو أن أولئك الرجال شجعان مع الأحجار ! كيف يقطعون ، وكيف يدقون ! إنهم يصنعون تمثالاً للمسيح المصلوب . فبأية شجاعة يسمرونه ! وددت أن يطبق جثمانهم الرخامي على أعناقهم !

أوه ! ، أوه ! ما الحكايـــة ؟ إن بي رغبة في الرقص لا تصدق ! وأعتقد أنني إذا تركت نفسي على سجيتها لتوثبت كعصفور دوري فوق أكوام الحجارة هذه كلها ، وفوق هذه الكتل الخشبية كلها ! هيا ، يا حبيبي ! هيا ، يا حبيبي ! البس قفازيك الجديدين وحلـــة أجمل من هذه تمرالالا ! تجمل ، فالعروس جميلة ! ولكنني أقولها لك في أذنك : احترس من مدينتها الصغيرة !

المشهد العاشر

في قصـــر الـــــدوق

الدوق « يتناول عشاءه » . جومو . يدخل الكاردينال تشيبو

الكاردينـــال : احترس من لورنزو ، يا صاحب السمو !

الـــــدوق : هذا أنت ، يا كاردينال !؟ اجلس إذن ، وخذ كأساً .

الكاردينـــال : احترس من لورنزو ، أيها الدوق ! لقد طلب مساء اليوم من الأسقف دى مارتسي أن يصرح له بالحصول على خيول للسفر هذه الليلة .

الـــــدوق : هذا غير ممكن !

الكاردينـــال : لقد عرفته من الأسقف ذاته .

الـــــدوق : أوه ! أقول لك إن عندي أسباباً تجعلنى أعرف أن هذا غير ممكن .

الكاردينـــال : قد يكون إقناعي مستحيلاً . إننى أؤدي واجبى عندما أحذرك !

الـــــدوق : ولو كان هذا صحيحاً ، فأي شيء مخيف تجده فيه ؟ لعله ذاهب إلى كافاد جيولو .

الكاردينـــال : إن ما يدعو إلى الخوف يـــا مولاي ، هو أننى قد رأيته بعينى ، في طريقى إلى هنا ، وهـــو يتوثب فوق الأخشاب والأحجار كرجلـــ مجنون ! لقد ناديته . وأنا مضطر إلى الاعتراف

بأن نظراته قد أخافتنى ! ثق أنــه ينضج في رأسه خطة لهذه الليلة !

الـــــدوق :ولماذا يكون في هذه الخطط خطر علي ؟

الكاردينـــال : هل ينبغي أن أقول كل شيء ، حتى ولــو كنت أتكلم عن شخص أثير ؟ أعلم أنه قد قال هذا المساء علانية لشخصين من معارفي ، وهما في شرفتيهما ، إنه سيقتلك الليلة !

الـــــدوق : اشرب كأساً من الخمر إذن ، أيها الكاردينال . ألا تعلم أن رنزو يكون ثملاً عند غروب الشمس ؟ (يدخل سير موريتشه)

سير موريتشه : احترس من لورنزو ، يا صاحب السمو ! لقد قال لثلاثة من أصدقائي أنه يعتزم أن يقتلك الليلة !

الـــــدوق : وأنت أيضاً ، يا موريتشه الشجاع ، تؤمن بالخرافات ! لقد كنت أعتقد أنك أكثر رجولة من هذا !

سير موريتشه : إن صاحب السمو يعرف إذا كنت أخاف بلا مبرر ! إنني أستطيع أن أبرهن على صدق ما أقول .

الـــــدوق : إجلس إذن . واشرب نخبنا مع الكاردينال . . ولن يسوءك أن أمضى إلى شئوني (يدخل لورنزو) حسناً ! هل حان الوقت يا نديمي !؟

لورنـــزو : سينتصف الليل بعد لحظة .

الـــــدوق : فليعطني أحد صداري المصنوع من جلد السمور

لورنـــزو : فلنسرع . ربما كانت جميلتك الآن في مكـــان اللقـــــاء !

الـــــدوق : أي قفازين ينبغي أن آخذ ؟ قفازَيْ الحرب ، أم قفازي الحب ؟

لورنـــزو : قفازي الحب ، يا صاحب السمو !

الـــــدوق : فليكن ! إنني أريد أن أكون عاشقاً مليحاً ! (يخرجان)

سير موريتشه : ما قولك في هذا ، أيها الكاردينال ؟

الكاردينـــال : فلتكن مشيئة الرب ، رغما عن البشر (يخرجان) .

المشهد الحادى عشر

غرفـــة نـــــوم لورنـــــزو

يدخـــــل الـــــدوق ولورنـــــزو

الـــــدوق : إنني أرتعد . . الجو بارد حقاً ! (يخلع سيفه) أوه ! ماذا تفعل يا نديمي ؟

لورنـــزو : إنني ألف حمالتك حول سيفك ، وأضعه تحت وسادتك . يحسن أن يكون سلاح المرء تحت يده دائماً (يلف الحمالة بطريقة تمنع خروج السيف من غمده)

الـــــدوق : إنك تعلم أنني لا أحب النساء اللواتي يثرثرن .

وقد بلغنى أن كاترينا تجيد الكلام . سألجأ إلى الفراش حتى أتجنب الأحاديث . . بالمناسبة لماذا طلبت خيولاً للسفر ، من الأسقف دى مارتسي ؟

لورنـــزو : لكي أرى أخي ، فهو مريض جداً ، كما كتب إليّ .

الـــــدوق : امض إذن ، واحضر خالتك .

لورنـــزو : في لحظة واحدة ! (يخرج)

الـــــدوق : (وحده) إن مغازلة امرأة تجيبك بقولها : « نعم » عندما تسألها الأيجاب أو النفى ، قد كانت تلوح لي على الدوام حمقاً ، وشيئاً يليق برجل فرنسي ، في الحقيقة ! واليوم بخاصة ، وقد أكلتُ في العشاء كثلاثة من الرهبان ، لا أستطيع أن أقول فقط « يا قلبى » أو « يـــا مهجتى » للطفلة الأسبانية(٢٠) ! إننى أريد أن أتظاهر بالنوم . قد يكون ذلك استعلاء ، ولكنه سيكون مناسباً (يرقد . يعود لورنزو والسيف في يده)

لورنـــزو : أنائم أنت ، يا سيدي ؟ (يطعنه)

الـــــدوق : هذا أنت ، يا لورنزو ؟

---

(٢٠) تزوج الكساندر ابنة شارل الخامس عام ١٥٣٦ بعد تأجيل دام سنوات لصغر سنها.وكان يحترمها ويدللها تقديرا لاسرتها فقد كان الطموح دافعه الى ذلك الزواج.

لورنـــزو : لا يراودك الشك في ذلك ، يا سيدي . (يطعنه من جديد يدخل سكورونكونكولو)

سكورونكونكولو : هل انتهى ؟

لورنـــزو : أنظر ، لقد قضم إصبعى ! سأحتفظ حتـــى الموت بهذا الخاتم الدامي . . بهذه الماسة التى لا تقدر !

سكورونكونكولو : آه ! يا إلهى ! إنه دوق فلورنسا !

لورنـــزو : (يجلس على حافة النافذة) ما أجمل الليلة ! وما أنقى الهواء ! تنفس ، تنفس أيهـــــا القلب الذي مزقه الفرح !

سكورونكونكولو : تعال ، يا سيدي ؛ إن ما فعلناه كثير جداً ! فلنهرب !

لورنـــزو : ما أرق نسيم الليل ، وما أجمل عطره ! كيف تتفتح أزهار المروج ! يا للطبيعة الرائعـــة ! يا للراحة الأبدية !

سكورونكونكولو : سيجمد الهواء على وجهك العرق الذي ينضح به ! تعال يا سيدي !

لورنـــزو : آه ! يا إله الرحمة ! يا لها من لحظة !

سكورونكونكولو : (جانباً) إنه منشرح الصدر بشكل غريب ! أما أنا فأبادر بالرحيل ! (يريد أن يخرج)

لورنــزو : انتظر ، واجذب هذه الستائر . أعطنى الآن مفتاح هذه الغرفـــة .

سكورونكونكولو : عسى ألا يكون الجيران قد سمعوا شيئاً !

لورنــزو : ألا تذكر أنهم قد تعودوا ضجيجنا ؟ هيا بنا . فلنرحل !

(يخرجان)

* * *

الفصل الخامس

المشهد الأول

في قصر الدوق

يدخل فالورى وسير موريتشه وجويتشياردينى (١) . جمهور من الحاشية يدور في أنحاء القاعة وما يجاورها .

سير موريتشه : لم يعد جومو من مهمته ، وهذا يبعث على القلق أكثر فأكثر !

جويتشياردينى : ها هو يدخل القاعة (يدخل جومو)

سير موريتشه : حسنا ! ماذا علمت ؟

جومو : لاشيء على الأطلاق ! (يخرج)

جويتشياردينى : إنه لا يريد أن يجيب . والكاردينال تشيبو يغلق على نفسه مكتب الدوق ، وإليه وحده تصل الأخبار (يدخل رسول آخر) حسنا ! هل وجد الدوق ؟ هل يعرف أحد مصيره ؟

الرسول : لا أدرى (يدخل غرفة المكتب)

فالورى : إن اختفاءه هذا حدث رهيب ، أيها السادة !

---

(١) فرنسوا جويتشياردينى (١٤٨٣ - ١٥٤٠) مؤرخ وسياسى ، كان مستشارا للبابا كليمنت السابع ، وقام بدور كبير فى انتخاب الكساندر ، وكان له نفوذ كبير فى عهده ، كما كان له فضل فى انتخاب خلفه كوم دى مديتشى الا انه فقد مكانته عنده ومات مغضوبا عليه .

ما من أخبار عن الدوق ! ألم تقل ، ياسير موريتشه ، إنك قد رأيته مساء الأمس ؟ ألم يكن يبدو مريضا ؟ (يعود جومو)

جومو : (إلى سير موريتشه) أستطيع أن أقول لك الخبر في أذنك . . . لقد قتل الدوق !

سير موريتشه : قتل ! من قتله ؟ أين وجدتموه ؟

جومو : حيث قلت لنا . في غرفة لورنزو .

سير موريتشه : آه ! هل يعرف الكاردينال ذلك ؟

جومو : نعم ؛ يا صاحب السعادة .

سير موريتشه : ماذا يعتزم أن يفعل ؟ ما العمل ؟ إن أفواج الشعب تتجمع الآن أمام القصر ، ولقد ذاعت هذه الحكاية البغيضة كلها . . والموت لنا إذا تأكدت ! إنهم سيذبحوننا ! (خدم يحملون براميل مملوءة بالخمر ، وأطعمة ، ويعبرون مؤخرة المسرح)

جويتشيارديني : مامعنى هذا ؟ هل سيوزعون أطعمة على الشعب(٢) ؟

(يدخل رجل من البلاط)

الرجل : هل ظهر الدوق ، أيها السادة ؟ هذا قريب قد جاء من ألمانيا أخيرا ، وأريد أن أقدمه

---

(٢) الحقيقة مايقوله المؤرخ فاركى انهم لم يوزعوا على الناس اطعمة بل نظموا لهم مباريات فى لعبة الأطواق Jeux de Bague وفيها يتناول الفرسان باطراف سيوفهم اطواقا معلقة ، وهم يرمحون على ظهور الجياد !

إلى سموه . أرجو أن تنظروا إليه بعين الرضا !

جويتشيارديني : أجبه ، ياسيد فالورى ! إنني لا أعرف ماذا أقول له !

فالــورى : إن القاعة تمتلىء كل لحظة بهؤلاء القادمين للتحية ، منذ الصباح ! إنهم ينتظرون ، في هــدوء ، أن يؤذن لهم في الدخول !

سير موريتشه : (إلى جومــو) هل دفن هناك ؟

جومــو : نعم ؛ يقينا . في قاعة الصلاة . ماذا نملك غــير هذا ؟ لو علم الشعب بهذه الميتة لأدى ذلك إلى ميتات أخرى كثيرة ! ستعمل له جنازة عامة عندما يكون هناك وقت لذلك . وقد حملنــاه في ملاءة حتى ذلك الحين .

فالــورى : أى شيء سيحدث لنــا ؟

رجال كثيرون : (يقتربون) هل سيسمح لنا بأن نقدم فــروض الولاء إلى صاحب السمو عما قريب ؟ مارأيكم أيها السادة ؟ (يدخل الكاردينال (تشــيبو)

دينــال : نعم ، أيها السادة ، يمكنكم أن تدخلوا بعد في ساعة أو ساعتين . لقد أمضى الدوق الليــل حفل تنكرى ، وهو يستريح الآن (خــدم يعلقون ملابس تنكرية في النوافذ)

رجال الحاشية : فلننصرف . لا يزال الدوق نائمــا . لقد أمضى الليلة في الحفل الراقص (ينسحب رجال الحاشية . يدخل « الثمانية »)

نيكوليــنى : حسنا ! هل تقرر شيء ، أيها الكاردينال ؟

الكاردينــال : (٣) Primo avulso, non de ficit alter
Aureus, et simili frondescit viraga metallo

(يخـــرج)

نيكوليــنى : شيء بديع ؛ ولكن ، من الموجود فعلا ؟ لقـــد مات الدوق ، ولابد من انتخاب غيره ، وبأسرع مانستطيع ! وإذا لم يكن لنا دوق هذه الليلة — أو غدا — كانت هذه نهايتنا ! إن الشعب ، في هذه اللحظة ، كالمـــاء الذى يوشك على الغليان !

فيتـــورى : إننى أقترح أوكتافيان دى مديتشى .

كابونـــى : لمـــاذا ؟ إنه ليس قريبا من الدرجة الأولى .

أتشـــيايولى : ولو أخذنا الكاردينـــال ؟

سير موريتشه : هل تمـــزح ؟

روتشـــيلاى : لمـــاذا لا تأخذون الكاردينال حقا ، وأنتم تتيحون له أن يجعل من نفسه قاضيا أوحد في هذه المسألة ، رغم جميع القوانين ؟

فيتـــورى : إنه رجل قادر على أن يحسن علاجها .

روتشـــيلاى : فليحصل على أمـــر بذلك من البـــابا .

---

(٣) بيت لاتينى من الشعر قاله فرجيل فى الانياده ، وترجمته : « عندما يقطع غصن لايلبث أن ينبت غصن ذهبى آخر تكسوه أوراق من نفس المعدن » ويعنى المتكلـم انهم لن يجدوا صعوبة فى اختيار دوق جديد من نفس العائلة أو من أسرة مالكة أخرى كالبوربون مثلا .

فيتـــورى : لقد فعل هذا . وقد أرسل البابا موافقته بواسطة رسول كان الكاردينال قد بعث به إليه ليلا .

روتشـــيلاى : تعنى مع طائر ، من غير شك ؛ فالرسول ينبغى أن يأخذ وقتا في الذهاب ، قبل أن يجد وقتـــا للأياب ! هل تعتبرنا أطفالا ؟

كانيجيـــاتى : (يقترب) إليكم مانفعله ، إذا وثقتم بى ، أيها السادة : ننتخب جوليان ، ابنه (٤) غير الشرعى دوقا لفلورنســـا .

روتشـــيلاى : مرحى ! طفل في الخامسة ! أليس في الخامسة من عمره ياكانيجيانى ؟

جويتشياردينى : (بصوت خفيض) ألا ترون من يقف وراء ذلك ؟ إنه الكاردينال الذى يضع في رأســـه هذا الاقتراح السخيف ! وسوف يكون تشيبو وصيا أما الطفل فيأكل كعكا !

روتشـــيلاى : شىء مخجل ! سأخرج من هذه القاعة إذا أصررتم على مثل هذه الأقوال ! (يدخل كورسى)

كـــورسى : لقد كتب الكاردينال الآن إلى كوم دى مديتشى أيهـــا الســـادة .

الثمانيـــة : دون أن يســـتشيرنا ؟

كـــورسى : لقد كتب الكاردينال أيضا إلى بيزا (٥) ،

---

(٤) ابن الكساندر .

(٥) مدينة ايطالية على نهر الارنو ، مشهورة بكنيستها وبرجها المائل ومقابـــر عظمائها ـ الكامبو سانتو ـ وهى موطن العالم جاليلو .

وأريدزو (٦) ، وبستوا (٧) ، وإلى القـــادة العسكريين . وسيكون جاك دى مديتشى هنـــا غـــدا ، مع أكـــبر عدد ممـــكن من الناس . وألكساندر فيتيللى (٨) في القلعة الآن مع الحرس كله . أما لورنزو فقد رحل للحاق به ثلاثة من الرســـل .

روتشـــيلاى : فليجعل كاردينالك من نفسه دوقا على التـــو ، وسوف يتم ذلك في أسرع وقت ممكن !

كـــورسى : لقد طلب إلىّ أن أرجوكم أن ترشحوا كـــوم دى مديتشي كحاكم مؤقت للجمهورية الفلورنسية.

جـــومو : (إلى خدم يعبرون القاعة) افرشـــوا رملا حول الباب ، ولا تدخروا من الخمر أكثر من بقيـــة الأشياء !

روتشـــيلاى : أيها الشعب المسكين ! أى غر ، أبله ، يجعلون منك !

فيتـــورى : إن كوم في الواقع هو صاحب الحق الأول بعد ألكساندر . إنه أقرب الناس إليه .

أتشـــيايولى : أى رجل هذا ؟ إن معرفتى به قليلة للغاية .

كـــورسى : إنه خير أمير في الدنيـــا !

جويتشياردينى : مهلا ، مهلا ؛ ليس هكذا تمـــاما ! ولو قلت

---

(٦) مدينة ايطالية على نهر الارنو ، وهى موطن القائد ميسينا والشاعر بترارك .

(٧) مدينة ايطالية هزم فيها الثائر كاتيلينا واعدم فى عام ٦٣ ق.م .

(٨) كان فيتيللى قائدا للجنود الماجورين لعائلة مديتشى .

إنه أكثر الأمراء إسهابا في الكلام(٩)، وأكثرهم أدبا ، لكنت أقرب إلى الصواب .

سير موريتشه : أصواتكم يا سـادة !

روتشـيلاى : إنني أعترض على هذا الانتخاب رسميا ، وباسم جميع المواطنين !

فيتـورى : لمـاذا ؟

روتشـيلاى : لم تعد الجمهورية في حاجة إلى أمراء أو دوقات أو سادة ! هذا رأيى ! (يشير إلى بطاقتـه البيضاء)

فيتـورى : ليس لك إلا صوت واحد . سنستغنى عنك !

روتشـيلاى : وداعا ، إذن ! إننى أغسل يدى من هـذه المسـألة !

جويتشياردينى : (يجرى وراءه) أوه ! يا إلهى ! إنك يا باللا عنيف للغاية !

روتشـيلاى : دعنى ! إن اثنين وستين عاما قد مضت من عمرى ، ولا تستطيعون أن تلحقوا بى أذى كبيرا بعد الآن ! (يخرج)

نيكوليـنى : أصواتكم ياسادة (يفرز البطاقات التى ألقيت في قبعة) هنالك إجماع في الرأى . هل رحـل الرسول إلى تريبيـو ؟

كـورسى : نعم ، ياصاحب السعادة . سيكون كوم هنـا في صبيحة الغـد ، إذا لم يرفض ؟

(٩) انظر ايضا حديث الصائغ فى المشهد الرابع من هذا الفصل .

فيتــورى : ولمـــاذا يرفض ؟

نيكوليـــنى : آه ! يا الهى ! ماذا يكون مصيرنا اذا رفض ؟ ان يوما كاملا يضيع من قطع خمسة عشرفرسخا من هنا الى تريبيو ، حيث يوجد كوم ، ومثلها في العودة ! لقد كان ينبغى أن نختار واحدا أقرب الينـــا من ذلك !

فيتيـورى : ماذا تريد ؟ لقد أدلينا بأصواتنا ، ويحتمل أن يصل ، ان هذا كله يسبب الدوار ! (يخرجون)

المشهد الثانى

في فينتســـيا

فيليب ستروتسى : (في مكتبه) لقد كنت متأكدا من ذلك . إن بيير متصل بملك فرنسا . وها هو ذا يقف على رأس جيش ، متأهبا لاحراق المدينة ، وإغراقها في بحـــر من الدماء ! وهذا إذن ماسيفعله اسم ستروتسى ، هذا الاسم المنكود الذى كانموضعا للاحترام أمدا طويلا ! ويكون قد أنجب رجلا متمردا ، وتسبب في مذبحة أو مذبحتين ! ياعزيزتى لويزه ! إنك ترقدين في سلام تحت العشب ، ونسيان العالم كله حولك ، وفيك ؛ هنالك حيث تركتك في أعماق الوادى الحزين ! (طرق على الباب) ادخل (يدخل لورنزو)

لورنـــزو : فيليب ! إننى أحمل إليك أجمل جوهـــرة لتاجك !

فيليب : ما هذا الشيء الذى تلقى به عندك ؟ مفتاح ؟ ...

لورنزو : هذا المفتاح يفتح غرفتى . وفي غرفتى ألكساندر دى مديتشى مقتولا بهذه اليد !

فيليب : حقا ! حقا ! إنه شيء لايصدق !

لورنزو : صدقه إذا سمحت . ستعرفه من آخرين غيرى .

فيليب : (يأخذ المفتاح) ألكساندر قد مات ! أهذا ممكن ؟

لورنزو : ماذا تقول إذا عرض عليك الجمهوريون أن تكون دوقا في مكانه ؟

فيليب : سأرفض ياصديقى .

لورنزو : حقا ! حقا ! إنه شيء لايصدق !

فيليب : لماذا ؟ إنه شيء بسيط جدا بالقياس إلىّ .

لورنزو : كما أنه شيء بسيط جدا بالقياس إلىّ أن أقتل ألكساندر ! لماذا لاتريد أن تصدقنى ؟

فيليب : يابروتسنا الجديد ! إننى أصدقك ، وأقبلك ! لقد كتبت النجاة للحرية إذن ! نعم ؛ إننى أصدقك . وأنت كما قلت لى . اعطنى يدك . لقد مات الدوق ! آه ! مامن كراهية في غبطتى ؛ مامن شيء غير الحب الأطهر ، والأقدس ، للوطن ؛ والله شهيدى على ذلك !

لورنزو : اهدأ ! لم تكتب النجاة لأحد غيرى ، أنا الذى قصمت ظهره خيول الأسقف دى مارتسى !

فيليب : ألم تخبر أصدقاءنا ؟ أليست سيوفهم في أيديهم ، في هذه الساعة ؟

لورنزو : لقد أخبرتهم ! لقد قرعت جميع أبواب الجمهورين بإلحاح أخ من يجمعون الصدقات ! لقد طلبت اليهم أن يصقلوا سيوفهم ؛ وقلت لهم إن ألكساندر سيكون قد مات عندما يستيقظون من نومهم ! وأعتقد أنهم — حتى هذه الساعة — قد استيقظوا أكثر من مرة ، وعادوا إلى النوم بنفس المقدار ! ولكنني في الحقيقة لا أنتظر شيئا آخر !

فيليب : هل أخبرت عائلة باتسي ؟ هل قلت هذا لكورسيني ؟

لورنزو : للخلق كافة . وأعتقد أنني كنت أقوله للقمر ، فقد كنت واثقاً بأن أحداً لا يصغي إليّ !

فيليب : ماذا تعني ؟

لورنزو : أعني أنهم قد هزوا أكتفاهم ، وأنهم قد عادوا إلى موائدهم ، وأقماع نردهم ، ونسائهم !

فيليب : ألم توضح لهم المسألة إذن ؟

لورنزو : ماذا تريدني أن أوضح ؟ هل تعتقد أنني كنت أملك ساعة واحدة أستطيع أن أضيعها مع كل واحد منهم ؟ لقد قلت لهم : « استعدوا » وضربت ضربتي !

فيليب : وهل تعتقد أن آلى باتسي لا يفعلون شيئاً ؟ ماذا تعرف عن ذلك ؟ إنك لم تتلق أنباء منذ رحيلك ، وقد قضيت أياماً كثيرة في الطريق .

لورنزو : أعتقد أن آل باتسي يفعلون شيئاً . أعتقد أنهم يلعبون بالسيف في غرفتهم الجانبية وهم يشربون خمر الجنوب من آن لآخر عندما تجف حلوقهم

فيليب : إنك تحافظ على رهانك . ألم ترد أن تراهنني على هـذا الذي تقوله لي ؟ كن مطمئناً . إن عندي أملا أقوى من ذلك .

لورنزو : إنني أكثر اطمئناناً مما أستطيع أن أقول .

فيليب : لماذا لم تخرج ورأس الدوق في يدك ؟ لقد كان الشعب حرياً بأن يتبعك باعتبارك منقـذه ، وقائده .

لورنزو : لقد تركت الوعل للكلاب ! فليصنعوا الوليمة بأنفسهم !

فيليب : لقد كنت خليقاً بأن تمجد الناس إذا لم تكن تحتقرهم .

لورنزو : إنني لا أحتقرهم على الأطلاق . إنني أعرفهم . إنني جـد مقتنع بأن هناك القليلين جـداً ممن يوغلون في الشر ، والكثيرين من الجبنـاء ، وعدداً كبيراً من غير المكترثين . وهنـاك أيضاً متوحشون ، كسكان بستوا(١٠) . لـ

(١٠)لقد كانت بستوا تحت حكم الفلورنسيين الا أن السيطرة عليها كانت عسيرة .

وجدوا في هــذه المسألة فرصة صغيرة لذبح قضاتهم جميعاً في وضح النهار ، وفي منتصف الشوارع ! لقد عرفت هذا منذ أقل من ساعة واحدة !

فيليـــب : إننى مفعم بالسرور والأمل . وإن قلبى ليخفق رغماً عنى .

لـــورنزو : هذا خير لك !

فيليـــب : ما دمت لا تعرف شيئاً ، فلماذا تتكلم بهذه الطريقة ؟ ليس جميع البشر بقادرين عـــلى الأشياء الكبيرة ، بالتأكيد . ولكنهم جميعا يشعرون بالأشياء الكبيرة . هل تنكر تاريخ العالم كله ؟ إن احراق غابة يحتاج إلى شرارة من غير شاك . ولكن الشرارة يمكن أن تخرج من حصاة فتشتعل النـــار في الغابة ! وهكذا يستطيع لمعان سيف واحد أن يضيىء جيـــلاً بأسره ! .

لورنـــزو : إننى لا أنكر التاريخ ، ولكننى لم أكن فيه .

فيليـــب : فلتسمح لي بأن أدعوك بروتس ! وإذا كنت أحلم فدع لي هــذا الحلم ! يـــا أصدقائي ، ومواطنى ! هل تستطيعون أن تجهزوا فراش موت جميلا لستروتسي العجوز ، إذا سمحتم؟

اورنـــزو : لماذا تفتح النافذة ؟

فيليـــب : ألا ترى رسولاً مقبلاً ؟ يا عزيزي بروتس !

يا عزيزي لورنزو العظيم ! إن الحرية أشرقت في السماء ! إننى أحس بها ، وأستنشقها !

لورنزو : فيليب ! فيليب ! ليس هناك شيء من ذلك ، فاغلق النافذة ، إن هذا الكلام كله يؤلمنى !

فيليب : يلوح لي أن جمهرة من الناس في الطريق . إن منادياً يقرأ إعلاناً (ينادى) جان ! اذهب واشتر الصحيفة من هذا المنادى .

لورنزو : رباه ! رباه !

فيليب : لقد صرت شاحب الوجه كرجل ميت ! ماذا بك ؟

لورنزو : ألم تفهم شيئاً ؟ (يدخل خادم وهو يحمل الاعلان)

فيليب : نعم ؛ اقرأ إذن هذه الصحيفة التى ينادون عليها في الطريق .

لورنزو : (يقرأ) « يتعهد مجلس الثمانية في فلورنسا لأي رجل من النبلاء أم من عامة الشعب ، يقتل لورنزو دى مديتشى – خائن الوطن ، وقاتل سيده – في أي مكان ، وبأي طريقة كانت ، على أرض إيطاليا كلها ، بما يأتي : « – أربعة آلاف فلورين ذهبى كل عام ؛ له في حياته ، ولوارثيه الشرعيين بعد موته ؛ ٢– إيراد ثابت قدره مائة فلورين ذهبى كل عام ؛ له في حياته ولوارثيه الشرعيين بعد موته ؛ ٣– التصريح

بممارسة جميع الأعمال الإدارية ، والتمتع بجميع الفوائد والامتيازات التى تتيحها له الدولة رغم مولده إذا كان من العامة ؛ ٤ـ عفو دائم عن جميع أخطائه الماضية والمستقبلة ؛ العادية ، وغير العادية »(١١) .

« موقع بأيدي الثمانية »

ما رأيك يا فيليب ؟ ! إنك لم تكن تريد أن تصدق منذ قليل أنني قد قتلت ألكساندر ؟ هأنت ترى جيداً أنني قد قتلته !

فيليب : اسكت ! إن أحداً يصعد الدرج ! اختبىء في هذه الغرفة !

(يخرجان)

المشهد الثالث

فلورنسا . طريق

يدخل رجلان

الرجل الأول : أليس هذا هو الماركيز تشيبو ، الذي يسير هناك ؟ يلوح لي أنه يقدم ذراعه إلى زوجته (يمر الماركيز والماركيزة)

الرجل الثاني : يبدو أن هذا الماركيز الطيب ليس ذا طبع حقود ! من لا يعرف في فلورنسا أن زوجته قد كانت عشيقة الدوق الراحل ؟

---

(١١) هذا ملخص النص الأصلى الطويل الذى اعلن فى ٢٤ ابريل عام ١٥٣٧ .

الرجل الأول : يبدو أنهما قد تصالحا ! أعتقد أنني قد رأيتهما يتصافحان .

الرجل الثاني :إنه جوهرة الأزواج ، في الحقيقة ! عندما يبتلع الرجل هكذا حية بطول نهر الآرنو ، يقال إن له معدة جيدة !

الرجل الأول : أعرف أنه شيء يرغم على الكلام . . ولكنني لا أنصحك بأن توجه إليه الحديث ! إنــــه مقاتل من الدرجة الأولى ، بجميع الأسلحــة ، وصناع الأهاجي يخشون رائحة بستانه !

الرجل الثاني : إذا كان رجلاً شاذاً ، فليس هنالك ما يقال .

(يخرجان)

المشهد الرابع

فنــــــدق

يدخل بيير ستروتسي ورســــول

بيــير : أهذه كلماته هــو ؟

الرســول : نعم ؛ يا صاحب السعادة . إنها كلمات الملك نفسه .

بيــير : حسناً (يخرج الرسول) أن يحمى ملك فرنسا حرية إيطاليا ، فهذا بالضبط كان يحمى أحد اللصوص امرأة جميلة ، في سفر ، من لص آخر ! إنه يذوذ عنها حتى يغتصبها ! مهما يكن من أمر ، فإن طريقاً ينفتح أمامي ، وفيه

من حبات القمح الطيبة أكثر مما فيه من التراب ! اللعنة على لورنزو ، هذا الذي يريد أن يصبح شيئاً ! إن انتقامي قد جعلني أنسل بين الأصابع كطير شارد ، ولم أعد أستطيع أن أتخيل هنا شيئاً يليق بي ! فلنقم بهجمة قوية على المدينة ، ثم نترك هناك أولئك الضعاف الذين لا يفكرون إلا في اسم أبي ، والذين يقيسونني طول النهار ليعرفوا من أي جانب أشبهه ! لقد ولدت لشيء آخر غير أن أكون زعيماً للصوص ! (يخرج)

المشهد الخامس

ميدان . فلورنسا

الصائغ ، وتاجر الحرير « جالسين »

التاجر : الحظ ما أقوله جيداً ، وانتبه إلى كلامي . لقد قتل الدوق الراحل في عام ١٥٣٦(١٢) وهو العام الذي نحن فيه . تابعني باستمرار . لقد قتل إذن في عام ١٥٣٦ . انتهينا من ذلك . وكان عمره ستة وعشرين عاماً — هل تلحظ هذا ؟ ولكن هذا لا يهم أيضاً . لقد كان عمره ستة وعشرين عاماً إذن . وقد مات في اليوم السادس

---

(١٢) كان مقتل الكساندر في السادس من يناير عام ١٥٣٧ ولكن السنة كانت تنتهي حتى عام ١٥٦٤ — في عيد الفصح (بين ٢٢ مارس ، و ١٥ ابريل) ومن ثم كانت الأشهر الاولى من عام ١٥٣٧ تعتبر داخلة في عام ١٥٣٦ .

من الشهر(١٣) . نعم ! نعم ! هل كنت تعرف هذا ؟ ألم يكن موته في اليوم السادس بالضبط ؟ اسمع الآن : لقد مات في الساعة السادسة من الليل (١٤) ! ما رأيك في هذا أيها الأب مونديللا ؟ إنه شيء غريب ، وإلا كنت لا أعرف شيئاً . لقد مات إذن في الساعة السادسة من الليل . انتظر ! لا تقل شيئاً . لقد كانت به جروح ستة ! ما رأيك ؟ هل يدهشك ذلك الآن ؟ لقد أصيب بستة جروح ، في الساعة السادسة ليلاً ، في اليوم السادس من الشهر ، في السادسة والعشرين من العمر ، في عام ١٥٣٦ ! بقيت الآن كلمة واحدة : لقد حكم ستة أعوام !

الصائغ : ما هذا الهراء الذي تقوله لي يا عزيزي ؟

التاجر : كيف ! كيف ! هل أنت عاجز عن الحساب عجزا مطلقا ؟ ألا ترى ما يترتب على هذه الاتفاقات الخارقة التي تشرفت بتوضيحها لك ؟

الصائغ : نعم ؛ في الحقيقة . إني لا أرى ما يترتب على ذلك !

التاجر : أنت لاتراه ؟ أيمكن ياعزيزى ألا تراه ؟

(١٣) اورد فاركى هذه الملحوظة فى «تاريخ فلورنسا» وسبقه الى مثلها تاسيت فى « الحوليات » عند حديثه عن حرق روما بيد الطاغية نيرون ، فقد ذكر اعتقاد العامة بان ٤١٨ سنة و ٤١٨ شهرا و ٤١٨ يوما تفصل بين هذا الحريق والحريق الذى سبقه ، وكانوا يريدون ان يبرهنوا بذلك على تدخل الآلهة فى مثل هذه الحوادث .

(١٤) اى فى منتصف الليل .

الصـــائغ : لست أرى أن أقل شيء يترتب عليه ! في أى شيء يمكن أن يفيدنا ذلك ؟

التاجـــر : يترتب على ذلك أن ست « ستات » قد أسهمت في موت ألكساندر ! شش ! لاتردد ذلك منسوبا إلىّ . أنت تعلم أننى أعد رجلا عاقلا وحذرا ، فلا تسىء إلىّ ، بحق جميع القديسين ! المسألة أخطر ممـــا نظن ، وأنا أقول لك هذا باعتبارك صديقـــا .

الصـــائغ : إليك عنى ! إننى رجل هرم ولكننى لست امرأة هـــرمة أيضا ! إن كوم سيصل اليوم ، وهذا أوضح شيء يترتب على الحادث الذى نحـــن بصدده ! لقد دُفِعَ إلينا بمنمق جيد للكلام ، في ليلتك ذات الست « ستات » ! أواه ! ياللدمار ! ألا يدعو ذلك إلى الخجل ؟ عمالى ، ياعزيزى ، آخر عمالى ، كانوا يدقون بأدواتهم على المناضد عندما يرون « الثمانية » مارين ، ويصرخون فيهم قائلين : « إذا كنتم لاتعرفون ولا تستطيعون أن تعملوا فاطلبونا ونحن نعمل » !

التاجـــر : لم يصرخ غير عمالك . وفي المدينة طنين لم أسمع مثله يوما حتى عن طريق الأشاعة !

الصـــائغ : البعض يجرى وراء الجنود . والبعض الآخـــر يجرى وراء الخمر التى توزع . إنهم يملئون بهـــا أفواههم ، ورءوسهم ، حتى يفقدوا الشيء

القليل من الادراك الحسن ، والقول السديد الذى يمكن أن يبقى لهم !

التاجر : إن هناك من كانوا يريدون أن يعيدوا تأسيس المجلس ، ويختاروا مديرا للبلدية بالانتخاب الحر ، كما كان يحدث في الماضى .

الصائغ : هناك من كانوا يريدون ، كما تقول . ولكن ؛ ليس هناك من كانوا يعملون ! لقد كنت — أنا ، الشيخ الهرم — في « السوق الجديد » وتلقيت ضربة رمح قوية في ساقي ، ولم يأت أحد لنجدتى ! التلاميذ وحدهم هم الذين ظهروا .

التاجر : أصدق هذا تماما . هل تعرف ما يقال ، ياعزيزى ؟ يقال إن حاكم القلعة ، روبرتو كورسينى ، قد ذهب مساء الأمس إلى اجتماع الجمهوريين في قصر سالفياتى .

الصائغ : ليس هناك أصدق من هذا القول . لقد عرض أن يسلم القلعة إلى أصدقاء الحرية ، مع المئونة والمفاتيح والباقى جميعه .

التاجر : وهل فعلها ياعزيزى ؟ هل فعلها ؟ إنها خيانة عظمى !

الصائغ : نعم ! لقد تصايحوا ، وشربوا النبيذ الحلو ، وهشموا زجاج النوافذ . ولكن اقتراح هذا الرجل الشجاع لم يحظ بمجرد السماع ! ولأنهم لم يجدوا الجرأة على أن يفعلوا ماكان يريده ،

فقد قالوا إنهم يرتابون فيه ، وإنهم يخشون.
ألا يكون صادقا فيما يعرضه عليهم ! ألف مليون.
لعنة ! إنني أحتدم غيظا ! انظر ؛ ها هم رسل
تريبيو قد جاءوا ، وليس كوم ببعيد من هنا .
طابت ليلتك ياعزيزى ؛ إن دمى يغلى ! يجب
أن أذهب إلى القصر !

(يخرج)

التاجر : انتظر إذن ، ياعزيزى ؛ سأذهب معك

(يخرج)

(يدخل معلم مع سالفياتى الصغير ، ومعلم آخر مع ستروتسى الصغير)

المعلم الأول : (١٥) Sapientissime doctor ؛ كيف حال سيادتك ؟ وكنز صحتك الغالية ، هل تراه بخير ؛ وهل تحتفظ باتزان مناسب في هذه العواصف التي نحن فيها ؟

المعلم الثانى : إن لقاء حافلا بالعلم ، وثمرات المعرفة ، كلقائك على هذه الأرض المضطربة ، المتصدعة ، لهو شيء خطير ياسيدى الدكتور ! اسمح لى بأن أشد على هذه اليد الهائلة التي خرجت منها روائع لغتنا ! ولتعترف بأنك قد كتبت قصيدة منذ وقت قريب .

سالفياتى الصغير : أيها الوغد ستروتسى !

---

(١٥) جملة ايطالية معناها : أيها الدكتور العلامة .

ستروتسي الصغير : لقد ضرب أبوك ياسالفياتي !

المعلم الأول : هل تطاولتْ حتى وصلتْ إليك هذه التنفسة الصغيرة التي عابثني بها ربتنا ، وأنت الفنان المدقق ، الكبير ، الصارم في أحكامه ؟ هل قبلت عينان كعينيك ، تجوبان آفاقا موشاة ، ومتألقة ، أن تلتفتا إلى أبخرة قد تكون غريبة . وجريئة ، من صنع خيال متعدد الألوان ؟

المعلم الثاني : أوه ! إذا كنت تحب الفن ، وإذا كنت تحبنا ، فاتل علينا قصيدتك ، من فضلك ! إن المدينة لاهم لها سوى قصيدتك !

المعلم الأول : لعلك ستدهش ، إذ يبدو لك أنني ، وقد كنت أتغنى بالملكية في أول الأمر ، على نحو ما ، أتغنى بالجمهورية هذه المرة !

سالفياتي الصغير : لاتركلني بقدمك ، ياستروتسي !

ستروتسي الصغير : خذ أيها السالفياتي الكلب ؛ خذ ركلتين أيضا !

المعلم الأول : هذه أبيات القصيدة : فلنحتفل بالحرية التي عادت تترعرع أشد اقتدارا . . . .

سالفياتي الصغير : دع هذا الولد الشقي يسكت ، ياسيدى . إنه سفاح . وآل ستروتسي جميعهم سفاحون !

المعلم الثاني : أنت ، أيها الصغير ! التزم الهدوء !

ستروتسي الصغير : هل تعود إلى ذلك خفية ! خذ ! احمل هذه إلى أبيك أيها الوغد ، وقل له أن يضعها مع الجرح

البليغ الذى أصابه من بيير ستروتسى ، أيها القاتل بالسم ! إنكم قاتلون بالسم جميعا !

المعلم الأول : اسكت ياعديم الحيـاء ! (يضربه)

ستروتسى الصغير : أى ! آى ! لقد ضربنى !

المعلم الأول : فلنحتفل بالحرية التى عادت تترعرع أشـد اقتـدارا تحت شمس أشـد حرارة ، وسماء أشـد احمـرارا

ستروتسى الصغير : آى ! آى ! لقد سلخ أذنى !

المعلم الثـانى : لقد ضربته بشـدة ياصديقى (ستروتسى الصغير يضرب سا لفياتى الصغـير)

المعلم الأول : وبعد ؟ ما معنى ذلك ؟

المعلم الثـانى : أرجوك أن تسـتمر .

المعلم الأول : بسرور . ولكن هذين الطفلين لايكفان عن العراك . (يخرج الطفلان وهما يتعاركان . يتبعانهما)

المشهد السادس (١٦)

فينتسيا . غـرفة مكتب ستروتسى

فيليب . لورنزو « ممسـكا برسـالة »

لورنـزو : هذه رسالة تخبرنى بأن أمى قد ماتت ! تعـال إذن نقم بجولة يا فيليب .

---

(١٦) فى هذا المشهد لايلتزم موسيه الدقة التاريخية التى التزمها قبل ذلك • فلقد قتل لورنزو بعد خروجه من القداس فى يوم الاحد ٢٦ فبراير ١٥٤٨ • وقد عاشت امه زمنا بعد وفاته • وكان تشييد جسر الريالتو بعد وفاته أيضا بثمانية واربعين عاما • أى فى عام ١٥٩٢ •

فيليـــب : أرجوك ياصديقى ، لا تجرب القدر ! إنك تروح وتغدو باستمرار كأن إعلان الموت هذا ليس له وجـــود !

اورنـــزو : في اللحظة التى كنت ذاهبا فيها لأقتل كليمنت السابع ، كان قد وضع لرأسى ثمن في روما . وطبيعى أن يكون له ثمن في إيطاليا كلها اليوم ، بعد أن قتلت ألكساندر ، فإذا خرجت من إيطاليا تردد اسمى على صوت النفير في أوربا كلها . وعند موتى لن يفوت الاله الطيب أن يأمر بإعلان لعنتى الأبدية في جميع مشـــارق اللانهـــاية !

فيليـــب : إن مزاحك حزين كالليل ! إنك لم تتغـــير يالورنـــزو !

اورنـــزو : نعم ، في الحقيقة . إننى أرتدى نفس الثياب ، وأسير دائما على ساقىّ وأتثاءب بفمى . ولم يتغير فيّ إلا شيء تافه ، وهو أننى قد صرت أجوف ، خاويا ، أكثر من تمثال من الصفيح !

فيليـــب : فلنبدأ معا . ولتعد رجلا من جديد . لقد فعلت الشيء الكثير ولكنك شاب صغير .

لورنـــزو : إننى أكبر من أبى جد ساتورن(١٧) ! أرجوك : تعال نقم بجـــولة .

فيليـــب : إن روحك تتعذب في حالة السكون ؛ ومن هنا

---

(١٧) هو كرونوس ، رب الزمان ، وابو جوبيتر كبير الآلهة .

كانت تعاستك . إن لك أخطاء ياصديقى .

لورنـــزو : أوافق على ذلك . وإذا كان الجمهوريون لم يفعلوا شيئا من أجل فلورنسا ، فهذا خطأ كبير من جانبي . إن مائة طالب صغير ، ذوى شجاعة وعزم ، قد قتلوا بغير طائل ! وكوم ، زارع الكرنب ، ينتخب بالأجماع ! نعم ! إننى أعترف ، إننى أعترف بأنها أخطاء لا تغتفر ، وأنها تسيىء إلىّ أســاءة كبرى !

فيليـــب : دعنا لا نناقش حادثا لم يتم . المهم أن تخـــرج من إيطاليا . إن دورك لم ينته بعد على الأرض .

لورنـــزو : لقد لحنت آلة للاغتيال ، ولكن ؛ لاغتيـــال واحد فحسب .

فيليـــب : ألم يكن يسعدك هذا الاغتيال ؟ وحيث أنك لن تكون منذ الآن إلا رجلا شريفا ، فلماذا تريد أن تموت ؟

لورنـــزو : لا أستطيع إلا أن أكرر ماقلته : لقد كنت رجلا شريفا ، يا فيليب ! وقد أعود رجلا شريفا ، وأخلو من السأم الذى يتملكنى ! إننى لا زلت أحب الخمر والنساء . وهذا يكفي حقيقة ليجعل منى رجلا فاسقا ، ولكنه لا يكفى ليجعلنى أرغب في أن أكونه . لنخرج ، أرجوك !

فيليـــب : ستقضى على نفسك بالقتل ، في جولاتك هذه كلهـــا ؟

لورنـــزو : إن رؤيتهم تسليني . إن الجائزة كبيرة إلى الحد الذى يجعلهم أشبه بالشجعان ! ولقد تعقبني بالأمس وغد ضخم الجثة ، عارى الساقين ، ربع ساعة بأكمله ، على حافة النهر دون أن يستطيع أن يحسم أمره ويقتلني ! لقد كان المسكين يحمل سكينا طويلة كالسفود . وكان ينظر إليها في ذلة جعلتني أشفق عليه ، فلعله قد كان أبـــا لعائلة تموت جوعا !

فيليـــب : لورنزو ! لورنزو ! إن قلبك مريض جدا ! لقد كان شريفا من غير شك . لمـــاذا تعـــزو إلى جبن الناس احترامهم لمن ساءت حظوظهم ؟

لورنـــزو : تستطيع أن تعزو ذلك إلى ماشثت . ســـأقوم بجولة فوق الريالتو (يخـــرج)

فيليـــب : (وحده) يجب أن أجعل واحدا من خـــدمى يتبعه . أنتم ، هناك ! جان ! بيبو ! ياهؤلاء ! (يدخل خادم) خذ سيفا ، أنت وواحد آخـــر من زملائك ، وابقيا على مسافة مناسبة من السيد لورنزو بحيث تستطيعان إغاثته إذا هاجمه أحد .

جـــون : نعم ، ياسيدى (يدخل بيبو)

بيبـــو : لقد مات لورنزو ، ياسيدى ! لقد كان رجل مختبئا وراء الباب وطعنه من الخلف وهو خارج.

فيليـــب : انطلقوا سريعا ! لعلـــه جريح لاغير !

بيبـــو : ألا ترى كل هذا الزحام ؟ لقد انقض عليـــه

الناس ! يا إلــه الرحمة ! إنهم يلقون به في البحيرة !

فيليــب : يا للفظاعة ! يا للفظاعة ! ماهذا ! ما من قــبر أيضا ؟ !

المشهد السابع

فلورنسا . الميدان الكبير . شرفات عامة غاصة بالنــاس

أناس من الشعب : (يقبلون جريا من كل جانب) عاش مديتشي ! إنه دوق ، دوق ! إنه دوق !

الجنــود : ابتعــد ، أيها الوغــد !

الكاردينال تشيبو : (فوق منصة ، إلى كوم دى مديتشي) سيدى : إنك دوق فلورنسا . وقبل أن تتلقى من يدى التاج الذى كلفنى البــابا وقيصر بتقديمه إليك ، أقول إننى قد أمرت بأن أجعلك تقسم على أربعة أشــياء .

كــوم : ما هى أيها الكاردينــال ؟

الكاردينــال : أن تحقق العدالة بلا قيد أو شرط . وألا تحــاول البتة أن تعمل شيئا تناهض به سلطة شــارل الخامس . وأن تثــأر لموت ألكساندر . وأن تحسن معاملة السيد جول ، والسيدة جوليا ولديه غير الشرعيين .

كــوم : كيف ينبغي أن أؤدى هذا القسم ؟

الكاردينـــال : على الأنجيل (يقدم إليه الأنجيل)

كـــوم : أقسم على ذلك أمام الله وأمامك ، أيها الكاردينال ! والآن ، اعطنى يدك (يتقدمان نحو الشعب . يسمع كوم وهو يتكلم من بعيد) : « أيهـا السادة النبلاء جدا ، والمقتدرون جدا . إن ما أريد أن أتقدم به إلى معاليكم أيها الأماجد ، المحترمون جدا ، من شكر على هذا الصنيع العظيم الذى أدين لكم به ، ليس سوى ما أقطعه على نفسي من عهد هيِّن بالقياس إليَّ ، فأنا صغير السن(١٨) ، بأن أجعل نصب عيني دائما ، مع خشية الرب : الأمانةَ والعدلَ والتصميمَ على عدم إيذاء إنسان ؛ لا في ممتلكاته ولا في كرامته ؛ وألا أحيد البتة في تصريف الأمور عن نصيحة ورأى السادة الحكماء جدا ، ذوى الرأى الســديد جدا ، الذين أتقدم لخــدمتهم بكل جوارحى ، وأقدم اليهم مشورتى بإخلاص تام » (١٩) .

---

(١٨) كان كوم دى مديتشى فى الثامنة عشرة من عمره .

(١٩) اورد فاركي فى « تاريخ فلورنسا » هذا الخطاب المنمق جدا ! ـ انظر حديث جويتشياردينى (٥، ١) وحديث الصائغ (٥ ، ٥) .

فهرست

ماصدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١	ــ مانويل جاليتش	سمك عسير الهضم
٢	ــ جان انوى	القبرة (جان دارك)
٣	ــ هال بورتر	البرج
٤	ــ تساو يو	عاصفة الرعد
٥	ــ هارولد بنتر	١ ــ الخادم الاخرس ٢ ــ التشكيلة او عرض الازياء
٦	ــ جون وبستر	الشيطانة البيضاء
٧	ــ تيرانس راتيجان	الاسكندر المقدونى أو قصة مغامرة
٨	ــ تيرى مونيه	سباق الملوك
٩	ــ جون مورتيمر	استعدوا لركوب الطائرة وغيرها
١٠	ــ فريدريش دورنيمات	النيــزك
١١	ــ يونسكو ــ اداموف ــ ارابال البى	دراما اللامعقول
١/١٢	ــ أوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ــ ١ ١ ــ مس جوليــا ٢ ــ الاب
١٣	ــ نيقوس كازندزاكى	عطيل يعــود
١٤	ــ بيتر هايس	انشـودة انجولا
١٥	ــ اوليفر جولد سميث	تواضعت فظفرت
١/١٦	ــ موليير	(من الاعمال المختارة) موليير ــ ١ ● مدرسة الزوجات ● نقد مدرسة الزوجات ● إرتجاليــة فرساى
١٧	ــ دوجلاس ستيورات	عسكر ولصوص اونيد كيللى
١٨	ــ وليم شكسبير	العين بالعين
١/١٩	ــ أوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ــ ٢ الطريق الى دمشق ــ ثلاثية

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٢٠	رومان رولان	١٤ يوليــو
٢١	انجس ويلسون	شجرة التوت
٢٢	تيرانيس زاتجان	روس او لورانس العرب
٢٣	كارون دى بومارشيه	حلاق اشبيلية
٢٤	وليم شكسبير	هاملت
٢٥	نويل كوارد	الحياة الشخصية
١/٣٦	سوفول	(من الاعمال المختارة) سيوفوكل ـ ١ نساء تراخيس
١/٢٧	جبريل مارس	من الأعمال المختارة) جبرييل مارسل ب ١ ١ ـ رجل الله ٢ ـ القلوب النهمة
٢٨	انريكي خارديل بونثلا	ليلة ساهرة من ليالى الربيع
٣/٢٩	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٣ ١ ـ الاقــوى ٢ ـ الرباط ٣ ـ الجرائم ٤ ـ موسيقى الشبح
٣٠	بيتز شافر	اصطياد الشمس
١/٣١	جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ـ ١ ١ ـ حكاية فاسكو ٢ ـ السيد بوبل
٣٢	هـ . و . فيرمان	انتصار حوزس
١/٣٣	جورج برناردشو	(من الاعمال المختارة) جورج برناردشو ـ ١ ١ ـ بيوت الأرامل ٢ ـ العابث
٣٤	فرناندو اراپال	ثلاث مسرحيات طليعية ١ ـ قرافة السيارات ٢ ـ فاندو وليــز ٣ ـ الشجرة المقدسة

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٢/٣٥	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ٢ ١ ـ اوديب الملك ٢ ـ أوديب فى كولون ٣ ـ اليكترا
١/٣٦	جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو ـ ١ ١ ـ اليكترا ٢ ـ لن تقع حرب طروادة
١/٣٧	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ١ ١ ـ المغنية الصلعاء ٢ ـ الدرس ٣ ـ جاك أو الامتثال ٤ ـ المستقبل فى البيض ٥ ـ الكراسى
٣٨	كوبر ـ تشيرشل ـ شارب ـ مانج	مسرحيات اذاعية
٢/٣٩	جبرييل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ ٢ ١ ـ روما لم تعد فى روما ٢ ـ المحراب المضىء أو (مصباح النعش)
٤٠	انطون تشيخوف	١ ـ شـيطان الغابة ٢ ـ الخال فانيـا
٢/٤١	جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ـ ٢ ١ ـ مهاجر بريسبان ٢ ـ البنفسـج
١/٤٢	لويجى بيرندلو	(من الاعمال المختارة) لويجي بيرندلو ـ ١ ١ ـ ديانا والمثـال ٢ ـ الحياة عطاء ٣ ـ لذة الامانة
٤٣	جيمس جويس	١ ـ ستيفن « د » ٢ ـ منفيون

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٤/٤٤	أوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٤ ١ ـ الغرماء ٢ ـ الاميرة البيضاء ٣ ـ عيد الفصح
٣/٤٥	سـوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ٣ ١ ـ انتيجونة ٢ ـ اجاكس ٣ ـ فيلوكتيت
٣/٤٦	جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو ـ ٢ ١ ـ سدوم وعمورة ٢ ـ مجنونة شايو
٣/٤٧	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٢ ١ ـ ضحايا الواجب ٢ ـ مرتجلة ألمـا ٣ ـ سفاح بلا كراء
٣/٤٨	جبـريل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ ٣ ١ ـ طريق القمة ٢ ـ العالم المكسور
٤٩	البى شيزجال	١ ـ الحلم الامريكى ٢ ـ الطابعان على الالة
٥٠	ارمان سالاكرو	الارض كرويـة
٢/٥١	جورج برناردشو	(من الاعمال المختارة) جورج برناردشو ـ ٢ ١ ـ السـلاح والانسان ٢ ـ كانديدا ٣ ـ رجل المقادير
٥٢	هارولد بنتر	الحارس
٥٣	مارتنيس دى لاروزا	ابن أمية او ثورة الموريسكيين

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٥٤	وليم شكسبير	ماساة كريولانس
٥٥	انطونيو بويرو بايبخو	القصة المزدوجة للدكتور بالمى
٥٦	يوربيديس	● الكتـرا
		● اورستيس
٥٧	فيكتور هيجو	هرنانى
٥٨	ليو تولستوى	المستنيرون
٣/٥٩	موليير	(من الاعمال المختارة) موليير ـ ٢
		١ ـ سجاناريل
		٢ ـ المتحذلقات المضحكات
		٣ ـ مدرسة الازواج
		٤ ـ الطبيب الطائر
		٥ ـ غيرة الباربوزييه
٦٠	روبرت شيروود	الطريق الى روما
٦١	فيليب بارى	● المهرجون
		● قصة فيلادلفيا
٦٢	ماكس فريش	● قصة حياة
٦٣	جون جى	● آوبرا الصعلوك
٦٤	دنيس ديدرو	● الابن الطبيعى
٥/٦٥	أوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٥
		١ ـ رقصة الموت
		٢ ـ الطريق الكبير
٦٦	وليم ساروريان	١ ـ أيـام العمر
		٢ ـ سكان الكهف
٦٧	اندريه شديد	١ ـ العارض
		٢ ـ بيرينيس المصرية
٢/٦٨	لويجي بيرندلو	(من الاعمال المختارة) بيرندلو ـ ٢
		١ ـ المعصرة
		٢ ـ اداء الادوار
		٣ ـ أبو زهرة بفمه

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٦٩	البير كامي	حالة طوارىء
١/٧٠	برتولت برشت	(من الاعمال المختارة) برتولت برشت ـ ١ ١ ـ حياة جاليليو ٢ ـ طبول فى الليل
٧١	جراهام جرين	غرفة المعيشة
٣/٧٢	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٣ ١ ـ المستأجر الجديد ٢ ـ اللوحـة ٣ ـ الخرتيت
٢/٧٣	جورج سحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ـ ٢ ١ ـ السـفر ٢ ـ سهرة الامثال
٧٤	ثورنتون وايلدر	نجونا باعجوبة
٣/٧٥	جورج برناردشو	(من الاعمال المختارة) جورج برناردشو ـ ٣ ١ ـ تلميذ الشيطان ٢ ـ هداية القبطان براسباوند
٧٦	وليم شكسبير	● الملك لـير
٧٧	وول سوينكا	● الطريـق
٧٨	الكسى اربوزف	● عزيزى مارات المسكين
٧٩	هوجو فون هوفمانزتال	زفاف زبيدة
١/٨٠	جون آردن	(من الاعمال المختارة) جون آردن ـ ١ ١ ـ مياه بابل ٢ ـ رقصة العريف
٨١	رومان رولان	روبسبيير
٨٢	سنكا	● أوديب

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١/٨٣	يوجين اونيل	(من الاعمال المختارة) يوجين اونيل ـ ١ ١ ـ ظمأ ٢ ـ عبودية ٣ ـ ضباب ٤ ـ مبحرون شرقا الى كارديف ٥ ـ فى المنطقة ٦ ـ بدر على البحر الكاريبى
٨٤	جان كوكتو	١ ـ فرسان المائدة المستديرة ٢ ـ الآباء الأشقياء
٨٥	تيرانس راتيجان	١ ـ تعلم الفرنسية بلا دموع ٢ ـ الممر المضىء
٨٦	فديريكو غرسيا لوركا	● العرس الدموى
٨٧	كالدرون دى لاباركا	● الحياة حلم
٨٨	وليم شكسبير	● يوليوس قيصر
٨٩	يوربيديس	١ ـ الفينيقيات ٢ ـ المستجيرات
٩٠	الكسندر استروفسكى	● لكل عالم هفوة
١/٩١	جون مليمنجتون سنج	(من الاعمال المختارة) جون ميلنجتون ممنج ـ١ ١ ـ ظل الوادى ٢ ـ الراكبون الى البحر ٣ ـ زفاف السمكرى ٤ ـ بئر القديسين
٢/٩٢	جون ميلنجتون سنج	(من الاعمال المختارة) جون ميلنجتون سنج ـ ٢ ١ ـ فتى الغرب المدلل ٢ ـ ديردرا فتاة الاحزان ٣ ـ عندما غاب القمر
٩٣	آرثر ميللر	١ ـ كلهم ابنائى ٢ ـ الثمن

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٢/٩٤	برتولت برشت	(من الاعمال المختارة) برتولت برشت ـ ٢ ١ ـ أوبرا القروش الثلاثة ٢ ـ لوكلوس ٣ ـ بعـل
٩٥	وليم شكسبير	تيمون الاثينى
٩٦	كارلو جولدونى	خادم سيدين
٩٧	اوجين لابيش	رحلة السيد بريشون
٤/٩٨	لويجى بيرندلو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٤ ● فتاة في سن الزواج ● مشاجرة رباعية ● تحريف ثنائي ● الثغـرة ● لعبة الموت
٣/٩٩	لويجى بيرندلو	(من الاعمال المختارة) لويجى بيرندلو ـ ٣ ١ ـ ست شخصيات تبحث عن مؤلف ٢ ـ كل شيخ له طريقة ٣ ـ الليلة نرتجل
١/١٠٠	تشيكا ماتسو	(من الأعمال المختارة) تشيكا ماتسو ـ ١ ١ ـ انتحار الحبيبين فى سونيزاكى ٢ ـ معارك كوكسينجا
٢/١٠١	يوجين إونيل	(من الاعمال المختارة) يوجين اونيل ـ ٢ ١ ـ وراء الافق ٢ ـ انا كريستى
٢/١٠٢	جون آردن	(من الاعمال المختارة) جون آردن ـ ٢ ١ ـ الحرية المغلولة ٢ ـ صعود البطل
١٠٣	وليم شكسبير	مأساة عطيل
١٠٤	جايلز كوبر . كولين فيثيو	١ ـ الطلبة الشاغبون ٢ ـ قبل يوم الاثنين الموعود ٣ ـ الليلة يوم الجمعة

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١/١٠٥	برانيسلاف نوشيتش	١ ـ حرم سعادة الوزير ٢ ـ الدكتور
١/١٠٦	دنيس جونستون	١ ـ من المسرح الايرلندي ـ ١ القمر في النهر الاصفر
١٠٧	تيرانس راتيجان	١ ـ بينما تسطع الشمس ٢ ـ المهرجـون
١٠٨	فرانسواز ساجان	● ـ الحصان المغمى عليه ● ـ الشوكة
٢/١٠٩	تشيكاماتسو	(من الاعمال المختار) تشيكاماتسو ـ ٢ ● ـ الصنوبرة المجتثة ● ـ انتحار الحبيبين فى آميجيما
٣/١١٠	برتولت برشت	(من الاعمال المختارة) برتولت برشت ـ ٣ ● الام شجاعة ● السيد بنتلا وخادمه ماتى
٥/١١١	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٥ ● الغضب ● الملك يموت ● العطش والجوع
١١٢	وليم شكسبير	● العاصفة
١١٣	وليم كونجريف	● هكذا الدنيا تسير
١١٤	الفونسو ساسترى	● الدراما الثورية الاسبانية ● فصيلة على طريق الموت ● النطحـة ● الكمـامـة
٣/١١٥	يوجين اونيل	(من الاعمال المختارة) يوجين أونيل ـ ٣ مرحلة الواقعية الاولى رغبة تحت شجر الدردار
١١٦	جان كوكتو	الالة الجهنمية
١١٧	يوهان فلفجانج جيته	جيتس فون برلشنجن

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحيـة
١١٨	ـ جان راسين	ماسـاة طيبة او الشقيقان فيـــدر
١١٩	ـ جان انوى	ليوكاديا
١/١٢٠	ـ جاك اودبيرتي	● الشر يستطير ● الصابرون
٢/١٢١	ـ جاك أود بيرتي	مضيفة النزلاء
٢/١٢٢	ـ بويرو بابيخو	أسطورة دون كيشوت ١٩٦٨
٣/١٢٢	بويرو بابيخو	حلم العقل
١٢٤	ـ وليم شكسبير	مكبث
١٢٢	ـ جوزيف اوكونر	القيثارة الحديدية
١/١٢٦	ـ اداردو دى فيليبو	١ ـ هاتلتي ٢ ـ الاشباح
١٢٧	ـ جيمس بروم لين	● الزملاء الثلاثة
٢/١٢٨	برانيسلاف نوشيتس	(من الاعمالالمختارة) برانيسلاف شيتش ـ ٢ ● ممثل الشعب ● الناشزون
١٢٩	ـ آرثر ميللر	
١/١٣٠	ايفان سرجيبيفيتش تورجينيف	(من الاعمال المختارة) ايفان سرجيبيفيتش توجنيف ـ ١ ● العالة ● خيال مريض
١٣١	ـ روبرت بولت	● الكرز المزهر
١٣٢	ـ يوهان فلنجانج حيتة	● توركوا توتاسو
١٣٣	ـ المر رايس *	● مشهد فى الطريق *
١٣٤	ـ وليم كونجريف	● حبا بحب
١٣٥	ـ روبرت بولت	● تحيا الملكة
١٣٦	ـ الفريد دى موسيه	● لورانزاتشو

من الاعــداد القادمة
١٩٨٠/١٩٨١

المؤلف	المسرحية	المترجم
جون هاردى	القلب المحطم	د. منير صلاحى الاصبحى
تورجينيف	العالة ـ خيال مريض ـ الاعزب ـ الريفية ـ شهر فى القرية	د. ستميه عفيفى
جيته	توركواتو تاسو	د. عبد الرحمن بدوى
آرثر ميللر	الناشزون	د. محمد رجاء الدرينى
فرانس جريلبارتسر	الجدة الاولى ـ سابفو	د. باهر الجوهرى
كورنى	ميليت ـ السيد	د. كوثر عبد السلام البحيرى
جيمس بروم لين	الزملاء الثلاثة	الشريف خاطر
براتيسلاف نوشتيش	ممثل الشعب ـ المرحوم ـ ستردولار	د. فوزى عطيه محمد
المر رايس	مشهد فى الطريق	محمد الحديدى
	دنيا زوال	د. محمد رجاء الدرينى
يوجين اونيل	الامبراطور جونز	د. عبد الله عبد الحافظ
	الاله الكبير براون	د. عبد الله عبد الحافظ
	الفوريللا	د . محمد اسماعيل الموافى
روبرت بولت	تحيا الملكة	محمد كامل كمالى
	الكرز المزهر	الشريف خاطر
	النمر والحصان	الشريف خاطر
جولدونى	ثلاثية الاصطياف	سعد اردش
ايسخيلوس	الفرس ـ السبعة ضد طيبه المستجيرات ـ بروميثيوس مقيدا	أمين سلامه
شون اوكيسى	المحراث والنجوم	فوزى العنتيل
	ظل مقاتل ـ نهاية البداية	حسين على اللبودى
ادواردو دى فيليبو	عائلتى ـ الاشباح	د. سلامه محمد محمد سليمان
الفريد دى موسيه	لورانزاتشو	ميخائيل بشاى

المترجم

ميخائيل بشاى بانوب ·· من مواليد المحلة الكبرى ج·م·ع ·· يكتب المقال والقصة ·· ويقدم المسرحيات العالميـة منـذ الاربعينات ·· ترجم العديد من المسرحيات العالميـة للبرنامج الثانى باذاعة القاهرة وسلسلة من المسرح العالمى فى الكويت ·

المراجع

يوسف عبد الله شاهين ·· من مواليد القاهرة ·· أستاذ اللغة الفرنسية بمركز اللغات بجامعة الكويت ·· عضو لجنة الجامعات العربية فى منظمة الاوبيلف ·· يشترك فى تأليف كتب اللغـة الفرنسية بوزارة التربية فى الكويت ·· له أبحاث فى المسرح الفرنسى ·

في العدد القادم

من الأعمال المختارة :

- **الامبراطور جونز ١٩٢٠** **تاليف : يوجين اونيل ــ ٤**
- **الغوريلا ١٩٢٢** **المرحلة التعبيرية**

المسرحيتان أللتان نقدمهما في هذا المجلد الرابع من أعمال يوجين اونيل تمثل المرحلة التعبيرية في فنه الدرامي ·

● **ألامبراطور جونز :**

تكشف باسلوب ملحمي رائع عن مأساة الزنجي الامريكي وهي من افضل مسرحيات اونيل وتقع في ٨ مشاهد يختلط فيها الواقع بالخرافة والأساطير · نهاية الزنجي فيها تشبه نهاية الانسان البدائي في رواية الدوس هكسلي **عالم جديد شجاع** (١٩٣٢) الذي يشنق نفسه في نهايتها كما يقتل الزنجي برصاص أعدائه ·

● **الغوريلا :**

أو القرد الكثير الشعر هو الهوبر أو الهبار يعود بنا الى البدائية مرة أخرى فنرى هانك يتنقل من عنبر نوم الوقادين في عابرة محيطات الى عنبر الأفران وفي النهاية الى بيت للقردة ــ وكلها أماكن توحي بالحبس والسجن ، بالأقفاص والقضبان · لهذا يقول لنا أونيل في المشهد الاول : « الأثر المطلوب هو لمكان مندس في جوف مركب يحيط به صلب لامع من جميع الجهات كأنه قضبان سجن ، وصفوف الأسرة ولا سيما الأعمدة التي تحملها تتشابك كأنها ضلوع قفص من حديد ، والسقف مطبق على رؤوس الرجال فلا يستطيعون الوقوف منتصبين » ·

أهي عودة الى البدائية او اننا ، كما يقول جورج اورويل ، في بطن الحوت !

في هذا العدد

● لورنزاتشو ١٨٣٤ — تاليف : ألفريد دى موسيه

كان ألفريد دى موسيه هو « الولد المزعج » عند أقطاب المذهب الرومانسى الجديد ، فقد كان يصر على أن يجمع العمل الادبى بين الطابع العالمى الذى تتسم به الاعمال الكلاسيكية ، والطرافة التى تميز الانتاج الرومانسى · كان يرفض الوصف ، والاساطير ، والرموز، وجزالة اللفظ ، ويوفق دائما بين بساطة البناء الكلاسيكى ، وحرية اختيار الشكل التى تبيحها الرومانسية لاصحابها ·

المصدر الرئيسى للمسرحية هو ذلك الفصل من كتاب : **تاريخ فلورنسا** للمؤرخ الايطالى بنديتو فاركى ، الذى يتناول حياة لورنزو دى مديتشى ومقتل ألكساندر — دوق فلورنسا — بيده عام ١٥٣٧ · وقد التزم ألفريد دى موسيه الدقة التاريخية تماما فلم يبتكر من أحداث المسرحية شيئا فضلا عن أنه أفاد من ثورة يوليو ١٨٣٠ فى فرنسا ، ومن تأسيس « ايطاليا الفتاة » عام ١٨٣١ ·

قد يذكرنا لورنزو وهو يفكر فى الثأر بهاملت ، وهو نفسه يذكرنا ، فى المشهد الثالث من الفصل الرابع ، بأوريست · ولكن بمن يذكرنا فى الفصل الخامس ، عندما يخرج لملاقاة الموت فى يأس واستهانة ؟ لم يكن لورنزو غير الصورة الدرامية ، والوجه الحقيقى لموسيه ، ذلك العربيد الذى يحن الى الفضيلة ، ذلك السياسى الذى يفسد ارتيابه فى الناس ايمانه بقدرتهم على تغيير مقدراتهم ·